ثقافة الهند

يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية

يونيو ١٩٥٢

ثقافة الهند

تصدر أربع مرات في السنة: مارس، ويونيو، وستمبر، وديسمبر

الاشتراك للسنة

في الهند: ثماني روبيات

في الخارج: ثماني شلنات

ثمن العدد الواحد: روبيتان

تطلب من

مجلس الهند للروابط الثقافية، حيدر آباد هاوس، دلهي الجديدة نمرة ١

طبعت بأمر مجلس الهند للروابط الثقافية

ثقافة الهند

يصدرها مجلس الهنـــد للروابط الثقـافية

المجلد الثالث | يونيو سنة ١٩٥٢ | العدد الأول

محتويات هذا العدد

أبو الريحان البيرونى وجغرافية العالم

لصاحب الفخامة الأستاذ
مولانا أبي الكلام آزاد وزير معارف الهند

(تابع لما قبله)[1]

مساحة الأقاليم ومجموع مساحة الكرة

بدأ البيرونى حسابه لأطوال البلدان من ساحل البحر المحيط، عوضا من جزائر الخالدات. وحساب عروضها من خط الاستواء حسب المعتاد. والجدول الأول من جداوله يتعلق بعدد ساعات النهار، والارتفاعات، والأظلال فى الشتاء والصيف فى الأقاليم السبعة. وذلك لأن تحديد الأقاليم كان يتوقف على تحرير كل ذلك وتصحيحه. ويلى الجدول الأول الجدول الثانى الذى يوضح مساحات الأطوال والعروض، ويقرر مساحة الدور العظيم للكرة الأرضية. ولما كانت هذه المسئلة ذات أهمية عظيمة، وتحتل مكانا هاما فى مباحث البيرونى الجغرافية، يستحسن الكلام فيما بنى من التفصيل. ولكنا لا نجاوز حدا خاصا فى كلامنا، لأن الأستاذ إى. وائدمن (E. Wiedeman) قد فصل ذلك فى مباحثه على المقالة التاسعة من «القانون» وكذلك نشرت «جرنل ايشياتك» (Journal Asiatic) مقالات لعدد من الكتّاب فى الموضوع. فليرجع إليها من شاء التوسع.

أما مساحة الكرة الأرضية بالجملة. فكل ما حققوه فى شأنها، كان مشوبا بأنواع من المسامحة والخطأ. وتشعب طرق القدماء فى تقدير المساحة إلى تقديرات

[1] — فاتنا أن نذكر فى العدد الماضى أن هذه المقالة مترجمة من أصلها الأردى إلى العربية — المدير.

ثلاثة: تقدير حكماء الهند، وتقدير اليونان، وتقدير العرب المبنى على مساحة المأمون الشهيرة، ولكن هذه التقديرات الثلاثة لم تطابق الحقيقة، بل زادت عنها كثيرا أو نقصت كثيرا. إلا ما كان من البيرونى، فانه أول رجل فى تاريخ الجغرافية بالقرون الوسطى، كاد أن يصل إلى الحقيقة. فكل من له إلمام بالجغرافية اليوم، يعلم أن مساحة الدور العظيم لكرة الأرض، تبلغ ٢٤،٨٥٨ ميلا إنكليزيا، وتقدير البيرونى فى جداوله لمجموع المساحة يبلغ ٢٤،٧٦٩ ميلا، أى أن تقدير البيرونى ينقص من التقدير المسلم به فى العصر الحاضر بـ ٦٩ ميلا فقط! وإذا قابلنا وسائل التجارب القاصرة والآلات الناقصة فى عصر البيرونى بوسائل العلم الواسعة العظيمة فى العصر الحاضر، لا يسعنا إلا أن نعترف بأن هذا القصور الطفيف الواقع فى هذه المساحة الكبيرة العسيرة لدليل مدهش على فضل البيرونى ونبوغه العلمى!

أما المساحة التى ذكرها أرسطو لمهندسى اليونان، فانها ٤٠٠،٠٠٠ استاديا (Stadia). وقدرها الحكيم پسىدونيس (Poseidonius) فى سنة ٥١ ق.م. بـ ٢٤٠،٠٠٠ استاديا. والمساحة التى ذكرها بطليموس لدرجة واحدة من الكرة، إن استخرجنا بها مجموع المساحة الكروية، فانها تبلغ ١٨٠،٠٠٠ استاديا. كانت استاديا اليونانية القديمة تساوى ستمائة قدم وتسع بوصة فى عصرنا، فان حولنا مساحة استاديا إلى الأميال الانكليزية، تكون مساحة أرسطو ٤٥،٩٦٤ ميلا، أى أكثر من المساحة الحقيقية بـ ٣١،١٠٧ ميلا، وتكون مساحة پسىدونيس ٢٧،٥٧٨ ميلا، أى أكثر من المساحة الحقيقية بـ ٢،٧٢١ ميلا، وتكون مساحة بطليموس ٢٠،٨٨٤ ميلا، أى أقل من الحقيقة بـ ٣،٩٧٣ ميلا.

وقد نقل البيرونى فى كتاب الهند المساحة التى قدرها اثنان من علماء الهند الفلكيين، «پلهس» و«برهم گپت»، فيقول فى الفصل الحادى والعشرين الذى يتعلق

بأطوال البلدان «إن دور الأرض عند برهم گپت ٤,٨٠٠ يوجن، وقطرها ١,٥٨١ يوجن (كتاب الهند ص ١٦٠)». ونقل فى الفصل الخامس والخمسين الذى خصه للبحث فى أبعاد الكواكب قول يعقوب بن طارق من أن قطر الأرض عند أهل الهند ٢,١٠٠ فرسخا، ودورها عنده ٦,٥٩٦ فرسخا. وقد دحضه قائلا بأن هذا القول لم يجمع عليه حكماء الهند. لأن قطر الأرض عند پلوس ١,٦٠٠ يوجن ودورها ٥,٠٢٦ يوجن (كتاب الهند ص ٢٣٣). وقد أخبرنا البيرونى بأن اليوجن الهندى القديم (योजन Yojan) يساوى ٣,٢٠٠ ذراعا عربيا (كتاب الهند ص ٨٠ و ٢٣٣). وقد أوضح السينيور كارلو نالينو (Carlo Nallino) ومحمود باشا الفلكى المصرى فى حاشيتها أن الميل العربى الذى كان ٤,٠٠٠ ذراعا، يساوى نحو ٦,٤٧٣ قدما انكليزيا. فان حولنا اليوجن الهندى إلى الأميال الانكليزية على هذا التقدير، وجدنا مساحة الحكيم برهم گپت تساوى ٥٠,٩٣٦ ميلا انكليزيا. أى أكثر من المساحة الحقيقية بـ ٢٦,٠٧٨ ميلا. ومساحة الحكيم پلهس تساوى ٥٠,٩٣٤ ميلا. أى أكثر من الحقيقة بـ ٢٦,٠٧٦ ميلا.

وهناك مذهب لحكماء الهند المنسوب إلى «آريابهت» الذى سماه العرب بـ «ارجبهد» وقد سبق الحكيمين المذكورين آنفا. ودور الأرض العظيم عنده ٣,٣٦٤ يوجن المساوى لـ ٣٣,١٠٠ ميلا إنكليزيا. أى أكثر من الحقيقة بـ ٨,٣١٩ ميلا.

أما مساحة الأرض التى قاموا بها فى برية سنجار بأمر المامون العباسى، فقد هدتهم إلى القول بأن الدور العظيم للارض ٢٥,٠١١ ميلا (بحساب الأميال الانكليزية). لا ريب أن هذه المساحة اقتربت من الحقيقة، أى أنها زادت عن المساحة المجمع عليها فى العصر الحاضر بـ ١٥٤ ميلا فقط. ولكن البيرونى أوشك أن يبلغ الحقيقة. فعوضاً من أن تزداد مساحته، نقصت عن الحقيقة

بـ ٦٩ ميلا فقط. وهذا التفاوت لا يهتم به كثيرا فى مثل هذه المساحة العظيمة، ويجوز أن يقال أن أصح مساحة قدرت قبل العصر الحاضر، هى المساحة التى قدرها البيرونى شخصيا.

﴿ خط الاستواء وقبة الأرض ﴾

وقع حكماء الهند فى خطأ عام فظنوا أن لنكا، أى جزيرة سيلون (المعروفة عند العرب بـ «سيلان») واقعة على خط الاستواء، وأن خط نصف النهار لنصف الكرة يقطعها، وأن مدينة أوجين من أعمال مالوا واقعة كذلك فى هذه المنطقة. ولما كانت المباحث الفلكية دخلت فى العربية بادى ذى بدء من باب علم الهيئة الهندية، ورتبها موسى بن محمد الخوارزمى طبقا لـ «سدهانت» («سندهند» عند العرب) لبرهم گپت. شاع هذا الخطأ فى العرب كذلك، فأخذوا يقولون عن سيلون إنها قبة الأرض. والبيرونى وإن ارتاب فى كون سيلون قبة الأرض، ووصف الأوهام التى راجت بالهند فى هذا الصدد بأنها خرافة، إلا أنه كذلك لم يتنبه لخطأ الحساب الأصلى، لأن وسائل السياحة والسفر القليلة وطرق الأعمال الرصدية الناقصة إذ ذاك، لم يكن يسهل معها إصلاح الأخطاء كهذه.

ومن العجيب أن سيلون (سيلان) التى اشتهرت فى عصر الامبراطور أشوكا اشتهارا حتى أنه أرسل اليها أخاه وأخته للتبشير الدينى، والتى كانت المواصلات بينها وبين الهند مستمرة، أصبحت بعد قرون معدودة، مجهولة وذات أسرار إلى حد أن البيرونى على رغم كده وجده لم يفز بمعرفة أحوالها الصحيحة. فانه قد قام بالبحث المفصل فى نوعية سيلون فى الباب الثلاثين من كتاب الهند، وجمع كل ما وصله من المعلومات من العلماء البراهمة من كشمير وپنجاب، وهى تظهر أن أساطير «رامائن» و«پرانا» كانت قد استولت على الأفكار فى ذلك العصر

استقبلا. لم يبق معه أثر للحقيقة. فقد اعتقد براهمة الهند إذ ذاك أن جزيرة سيلون يسكنها العفاريت. وأن الانسان الذى يذهب إليها. لا يعود منها بحياته أبداً!

ويتضح من أقوال البيرونى أن التجار والسياح العرب لم يذهبوا إلى سيلون ولم يعرفوا من أحوالها إلى ذاك الحين إلا قليلا. كانت سفنهم تمر ببحرها وكانوا يعرفونها باسم «سنكل ديب» ويستوردون من بعض سواحلها منتوجاتها الخاصة أيضاً، ولكنهم لعدم تمكنهم من النزول بها والتعارف بأهلها. قبلوا أكثر أساطير الهندوس عنها. فظنوا أن قلعة لنكا التى اخترعتها الأساطير الهندوسية موجودة حقا فى بقعة من بقاعها. وقد ذكر البيرونى رواية عن بعض السياح العرب جزيرة ذات أسرار. كانوا يحملون منها «لونگ» (القرنفل) فى مراكبهم. ثم قال لا يبعد أن تكون هذه هى جزيرة لنكا. ثم ينخدع بالشبه اللفظى بين «لنكا» و«لونگ» ويقول إن كلمة «لونگ» مشتقة من لنكا. فى حين أنه لا علاقة بين الكلمتين، وقد ضمن هذا الباب من كتاب الهند بخريطة القلعة التى أوجدتها الأسطورة الهندوسية. وهى لا أصل لها ألبتة.

والظاهر أن الأساطير الهندوسية جعلت لنكا وسنكل ديپ مكانين، كل منهما مستقل بذاته. وقد تسرب هذا الخطأ فى كتابات البيرونى كذلك. فعين فى جدول «القانون» درجتين مختلفتين للنكا وسنكل ديپ. وقد ذكر فى جدول خط الاستواء الذى يخلو من العروض، طول البلد للنكا ١٠٠، ثم ذكر فى جدول الأماكن الواقعة بين الاقليم الأول وخط الاستواء، سنكل ديپ وسرنديپ وجعل لها طول البلد ١٢٠ والعرض ١٠ درجة. ويعتبر لنكا من الأماكن المجهولة. وسنكل ديپ ليست بمجهولة لديه. فيذكرها من جزائر بحر «هركند». والحاصل إنه لم يتمكن من تحقيق هذا المكان.

﴿ بعض الأماكن القديمة من الهند ﴾

وقد ضبط البيرونى فى هذه الجداول أطوال البلدان وعروضها لجميع المدن، والحصون، والأنهار الهندية التى عرفناها فى الأبواب المختلفة من كتاب «الهند» لا سيما فى الأبواب ١٨، ٢٤، ٢٥، و ٢٩. وقد استفاد الدكتور توكان فى حواشيه بما بذله كل من إليت، وسخاؤ، وفيرند، واستربك، وماركوارت، وغيرهم من السعى للتطبيق بين الأسماء القديمة والحاضرة. إلا أن بعضا منها كان يتطلب المزيد من الفكر والبحث، فحاول ذلك الدكتور توكان.

ذكر البيرونى تهانه (بومباى) وچيمور فى الاقليم الأول قائلا، إنهما واقعتان على حدود «لاران». وكذلك ذكر أبو الفداء وابن خرداذبه «لاران»، هذه وحرفها المسعودى فى مروج الذهب فجعلها «لاردى». وقد توسع إليت وغيره فى البحث فيها. فلا حاجة لتكراره هنا. والظاهر أن القصد من «لاران» البقعة المعروفة الآن بـ «گجرات».

و «چيمور» و «جيول» و «گنگا ساگر» كذلك فى الأقليم الأول. وقد فرغ إليت من تعيين أماكن «چيمور» و «جيول» الحاضرة.

وقد ذكر فى °١٢٠ طول البلد من هذا الأقليم نفسه «سنكل ديپ»، وذكر فى °١٥ عرض البلد الذى يبعد عن عرض البلد لسنكل ديپ بخمس درجة، مكانا آخر، سماه بـ «المعبر» لسنكل ديپ أى المكان الساحلى الموصل إلى سنكلديپ، ولكن هذا المكان صار مشكوكا فيه لخلو اسمه فى جميع نسخ الكتاب من النقط، فقال ياقوت إنه «مندروقين»، وكتبه القزوينى «مندورقين»، وظنه جى، فيرند (G.Ferrand) «مندوريتن» أى «مدورا» الحاضرة. ولكن محل مدورا فى الخريطة لا يسوغ هذا الظن. وقد ذكره البيرونى فى كتابه الآخر «الصيدنة» التى ضمت

حلاصتها إلى هذه المجموعة باسم «مندرى بين» وجاء هذا الاسم نفسه فى الجدول كذلك. والراجح أنه أقرب إلى الصواب. والظاهر أنه «مندا يام» فى الخرائط الدارجة. وهو يقوم مقام المعبر لسيلون.

﴿ الفرق بين أطوال البيرونى والأطوال الحاضرة ﴾

تعول كتاب الجغرافة من اليونان. لا سيما بطليموس منهم. أن البحر المحيط، أى المحيط الأطلسى هو نهاية البر فى الغرب. وذلك لأن القارة الأمريكية كانت مجهولة إلى ذاك الحين. وقد وجدت عدة جزائر فى هذا المحيط ملاصقة للساحل الشمالى الأفريقى. سماها اليونان بـ«كينرى» (Canary) والعرب بـ«الخالدات» و بـ«السعادة». ولما كانت هذه الجزائر تحاذى ساحل أفريقية الشمالى. جعلها اليونان آخر حد للبر. واتخذوها لحسابهم نقطة الصفر. وطفقوا يحسبون منها أطوال البلدان. وقد حذا كتاب الجغرافية من العرب كذلك حذوهم بادى الأمر. ثم رأى بعض أئمة الفن أن اتخاذ الساحل الغربى الأفريقى نقطة الصفر عوضا من الجزائر أسهل وأوضح. فراج هذا الرأى كذلك لحساب أطوال البلدان. وأخذ المؤلفون يتبعون المسلكين من دون التميز بينهما. فكان البعض منهم يبدأ حسابه من الجزائر ولا يتعرض للمسلك الثانى. والبعض الآخر يتخذ ساحل المحيط قاعدة لحسابه. وينقل مساحات المسلك الأول أيضا من دون التنبيه عليه. ولما كان التفاوت بين جزائر الخالدات وساحل أفريقية عشرة أزمان. تسرب هذا الاختلاف فى حساب الأطوال كله. وأخذوا يدونون فى كتبهم درجتين مختلفتين لمكان واحد. ولا يحاولون رفع الاختلاف. وقد تنبه البيرونى لهذا الاختلاف الأساسى وحاول اتخاذ مبدأ واحد لحساب الأطوال. فبنى حسابه على مبدأ ساحل أفريقية. وصحح حساب القدماء من كتاب الجغرافية كلهم. فراجت طريقة واحدة مكان طريقتين. وزالت الاختلافات المنتجة من ذلك الاختلاف الأساسى.

ولما تيقظت أوربا بعد القرون الوسطى وقامت بنهضتها العلمية، اعتمدوا على الكتب الجغرافية لعلماء العرب واستعملوا خرائطهم للسير فى البحر. وقد اشتهرت فى هذا العصر خريطة الادريسى التى وضعها بأمر راجرد، ملك صقليا، وأصبحت عمدة للباحث الجغرافيـة. وقد اختـار الادريسى حساب بطليموس للاطوال والعروض وبطليموس اتخذ جزائر الخالدات نقطة الصفر، فراج هذا المسلك فى أوربا أيضا، ولذلك نجد فى جميع خرائط عصر النهضة العلمية (The Renaissance) نفس هذا الحساب للاطوال والعروض.

ولكن لما بدأ الدور الجديد للبحث والتحقيق الجغرافى فى أوربا، حلت محل الطرق القديمة الطرق الجديدة. وأخذوا يجعلون جزيرة فيرو (Ferro) نقطه الصفر فى الخرائط التى وضعت للطالعة الدولية. واصطلحوا على ذلك بـ ٠ دبليو-٢٠-آف باريز (W. 20 of Paris) إلا أن كل دولة كانت ترغب فى أن تجعل عاصمتها أو مرصدهـا المركزى، مبدأ لحساب الأطوال فى خرائطها، ولا تعترف بمبدأ غيرها. فأدى ذلك إلى اختلاف الخرائط الجديدة، وانفصال حساب كل دولة عن غيرها. ولما كان هـذا الاختلاف قضاء على الاتحاد العلمى الأممى، نظر فيه مؤتمر واشنگتن فى سنة ١٨٨٤، واتفقت الآراء عـلى اتخاذ خط گرينچ لندره، (Greenwich) نقطة الصفر. فراج ذلك فى سائر الخرائط فيما بعد.

وخط گرينچ هـذا يبعد عن ساحل أفريقية شرقا نحو ١٥ درجـة، وعلى هذا وقع تفاوت ١٥ درجة الأساسى فى حساب الأطوال بين القديم الذى اتخذ نقطة صفره الساحل الأفريقى الغربى وبين الجديد الذى يبتدأ من گرينچ، عدا ما ترتب عليه من النـقائص الجزئية التى كانت تسربت إلى الحساب، فان أردنا اليوم أن نعين أطوال البيرونى فى الخرائط الحاضرة، فعلينا أن نعرف التفاوت الحسابى بينهما قبل ذلك. ونجد عند التطبيق على الأماكن الهندية أنه يوجد تفاوت

نحو ٢٦ درجة بين أطوال البيرونى وأطوال الخرائط الحاضرة. أى إن أضفنا إلى درجات هذه الخرائط ٢٦ أو ٢٧ درجة. تكاد أن تتحقق درجات أطوال البيرونى. وقد وضعنا الجدول التالى كنموذج يوضح هذا الفرق:

المكان	الطول الحاضر		طول البيرونى	
	درجة	دقيقة	درجة	دقيقة
كابول	٦٩	٠	٩٥	٢٠
پشاور	٧١	٥٠	٩٧	١٠
ويدراس (متهرا)	٧٧	٤٤	١٠٤[١]	٠
أوجين	٧٥	٥٢	١٠٠	٥٠
قنوج	٧٩	٨٥	١٠٤	٠
قلعة گواليار	٧٨	٤	١٠٤	١٠
نيپال	٨٤	٠	١١٠	٠
پرياگ (اله آباد)	٨١	٥٥	١٠٧[٢]	٢٠

أما عروض البلدان. فحيث لم يقع فيها اختلاف أساسى. كما وقع فى أطوال البلدان. لا نجد فرقا كبيرا بين عروض الخرائط الحاضرة وبين عروض البيرونى. كما ترى ذلك فى الجدول التالى الذى وضعناه كنموذج:

المكان	العروض الحاضرة		عروض البيرونى	
	درجة	دقيقة	درجة	دقيقة
كابول	٣٤	٣٥	٣٣	٤٥

١ — هذا نسخة. وفى نسخة أخرى ١٠٣.

٢ — فى نسخ «القانون» اختلاف. فى نسخة ولاينين جاراقة آفندى هذا العدد. وفى نسخة غيرها ١٠٦. وقد اعتمد الأستاذ توگان على النسخة الثانية.

المكان	العروض الحاضرة		عروض البيرونى	
	درجة	دقيقة	درجة	دقيقة
پشاور	٣٤	١	٣٣	١٥
ملتان	٣٠	٥٦	٢٨	٠
بندرابن (متهرا)	٢٧	٣٣	٢٧	٠
أوجين	٢٣	١١	٢٤	٠
قنوج	٢٧	٣	٢٦	٢٥
پرياگ (الهآباد)	٢٥	٣٦	٢٥	٠
تهانه (بمبئى)	٢١	٢٤	١٩	٢٠
بنارس	٢٥	١٨	٢٦	١٥

وهنا ينبغى أن تتذكر أن البيرونى لم يتح له التوغل فى داخل الهند والقيام بالأعمال الرصدية، فكل ما كتبه فى هذا الصدد، استقاه من روايات البراهمة والسياح. أو مما وجده فى الكتب اليونانية والعربية عن بعض المدن الهندية الشهيرة وقد نوه إلى ذلك بنفسه فى كتاب الهند فقال:

«رصدت قلعة لاهور، فوجدت عرض بلدها ٣٤ درجة و ٣ دقائق. أما المدن الأخرى التى رصدت عروضها غير لاهور، فهى غزنى، وكابول، وكدى رباط الأمير، ودنبور (جلال آباد الحاضرة)، ولمغان، وپرشاور (پشاور)، ودى هند (أتك)، وجيلم (جهلم)، وقلعة نندنه (تلا)، وملتان، وسيالكوت، ومندككور. ولم يتسير لى التقدم من هذه البلاد، ولا وجدت فى كتب الهندوس شيئا من أطوال البلدان وعروضها» (كتاب الهند ص١٠٢).

ولا يخفى أن عروض البلدان وأطوالها التى ذكرها لغير هذه المدن من ولاية بجاب، ليست من مشاهدته ورصده، بل مبنية على القياس والتخمين. أجل إن

ذهنه العلمي قد يكون غير مقصر في تمحيص الروايات. ولكن حقيقة المسئلة ما كانت لتعلم إلا بالرصد والمشاهدة الشخصية. وقد قال بنفسه في كتاب الهند بأن استنباط الحقيقة من أقوال رواة الهند وسياحها لمن أشق الأمور، لأنها مصوغة بأنواع شتى من سوء الفهم، والأوهام، والمغالاة. تترك السامع حيران لا يعرف ما هو الحق فيها وما هو من بنات الوهم والخرافة.

ومن الصعوبات التي لقيها أن أقوال الرواة في شان تباعد المدن الهندية بعضها عن بعض، كانت متخالفة أشد الاختلاف، ولم توجد وسيلة يوثق بها للجمع والتطبيق بينها. ويذكر في هذا الصدد بطليموس أيضا فيقول أنه لقي كذلك صعوبة كهذه (كتاب الهند ص ٩٧).

فكان لزاما، والحالة هذه، أن تتسرب أغلاط متنوعة في الحساب، فنجده على رغم سعيه البليغ وحيطته الزائدة، لم يسلم من النقائص التي تستلزمها هذه الحالة، ووقعت الأغلاط في تقدير المساحات، فمثلا توجد مدينة پتنه الحاضرة في نفس البقعة التي وجدت بها مدينة پاتلي پتر العتيقة، وطول البلد لپتنه °٥٨-َ١٢ وعرضها °٢٥-َ٣٧، ولكن البيروني يكتب طول البلد لپاتلي پتر °١٠٨-َ٢٠ وعرضها °٣٢-َ٣٠. فظاهر أن الروايات التي وصلته في هذا الشان، لم توضح له الحقيقة بالصحة وهو كذلك يقول إن مدينة بنارس تبعد عن پاتلي پتر عشرين ميلا عربيا، وإنها واقعة في شرق بنارس. والقولان ليسا من الصحة في شيء. وهو أخطأ كذلك في تعيين محل گنگا ساگر لأنه لم يتمكن لا من معرفة المسافة الصحيحة ولا الجهة.

ذكر البيروني في مؤلفاته أعماله الرصدية، ومن هذا يظهر ذوقه التحقيق وكيف أن روح العالم المحقق التي حلت به دفعته إلى المواظبة على هذا العمل. وكذلك يتضح من هذا أنه كيف استطاع إصلاح أغلاط القدماء برصده الشخصي

ومشاهدته الذاتية. فيقول فى «تحديد نهايات الأماكن» (وقد ضمت بعض مباحثه الهامة إلى هذه المجموعة):

«وقد رصدت عرض بلدة الجرجانية (گرگانج) دفعتين، أحديهما بقرية فى غربى جيحون فيما بين الجرجانية ومدينة خوارزم، تعرف تلك القرية بـ «بوشكاتر» فى سنة ٣٨٤ هـ، وعرض تلك القرية ٤١-٢٦ وأما الدفعة الثانية فنى سنة ٤٠٧ هـ رصدت بالجرجانية. وعرض الجرجانية بالصحة ٤٢-١٧» (صفة المعمورة ص ٥٨).

ويقول فى محل آخر:

«وكنت رصدت فى سنة ٣٨٥ هـ الميل الأعظم فى قرية تعرف ببوشكاتر من قرى الجانب الغربى من جيحون بجبال مدينة خوارزم. فوجدت عرض القرية ٤٢-٢٦ والمسافة بين هذه القرية وبين الجرجانية بالفراسخ الطوال ١٧ فرسخا وبالأميال ٥١ ميلا».

ويقول فى مكان آخر:

«وعرض مدينة خوارزم ٤١-٣٥ ويوافق ذلك ما وجدته فى حداثتى، وأظنه فى سنة ٣٨٠ هـ أو حولها» (ص ٥٩ منه)

ويقول فى مكان آخر:

«إنى وجدت بالجرجانية فى دار الأمارة كانت بها ارتفاع نصف نهار يوم الاثنين الحادى عشر من شهر ربيع الآخر سنة ٤٠٧ هـ وروزابان ١٠ من مهرماه سنة ٣٨٥ ليزدجرد واليوم ١٧ من إيلول سنة ١٣٢٧ للاسكندر، فوجدته مر مد لأنه أكثر من تمام عرض الجرجانية وهو مر مح فان الفضل بينهما وهو ه ا هو ميل الشمس نحو الشمال والاعتدال الخريفى كائن بعد نصف النهار

بساعة واحدة مستوية. وهذا رصد جعلته أصلا فى تعرف حركة الشمس الوسطى فى 'كتاب التطريق إلى تحقيق حركة الشمس'» (ص ٦٠ منه).

ويقول فى مكان آخر:

«قد رأيت لأبى على الحسين بن عبد الله بن سينا رسالة إلى زرين‌كيس بنت شمس المعالى فى تصحيح طول جرجان. ذكر فيها أنه لما أمرته بذلك ولم يتقدمه مواطأة مع أهل البلاد المعلوم أطوالها. ولا كان فى تلك السنة كسوف قمرى يتمكن منه المتواطئان. احتال من جهة ارتفاع القمر فى فلك البهار وأنه رصده وقتا ما لم يعينه. فوجده ف و ....» ثم شرح طريقة رصد أبى على إلى أن قال «....إلا أن أبا على مع ذكائه وفطنته غير موثوق به فيما يحتاج فيه إلى تقليد وخاصة من جهة طالبة الأمر».

ويقول فى مكان آخر عن بلخ:

«ثم رصد سليمان بن عصمة السمرقندى ببلخ وذلك سنة ٢٧٥ ﻫ وسنة ٢٥٧ ليزدجرد... ومنصور بن طلحة رصد بلخ برصد الميل. وهذا الرجل الفاضل كان بقية الولاة الطاهرية بخراسان وذا حظ من علوم الرياضيات وما حولها» (ص ٦٧ منه).

ويقول عن نيسابور:

«فهذا نيسابور. قد ذكر أن منصور بن طلحة الطاهرى وجد عرضها رصدا لو ى. وحكى أبو العباس بن حمدون أنه رصد ما بين بغداد ونيسابور بعدة كسوفات فوجده يب ل، وأظن هذا مذكورا فى كتاب 'استدارة السماء والأرض' لمحمد بن على المكى» (ص ٧٦ منه).

وفى العصر الحاضر الذى قربت الوسائل الاخبارية والمواصلات الحديثة حتى

بين الأنحاء النائية من الأرض، فتيسر قطع مسافات الشهور فى ساعات، تتم الأعمال الرصدية والمشاهدات الكبيرة بالتعاون بين المراصد العالمية، فيراقبون حادثا واحدا من أماكن متعددة، فيعدون المعدات فى أماكن مختلفة من أوربا وآسيا لرصد الشمس والقمر قبل الكسوف والخسوف ويخبرون بنتائج عملهم تلغرافيا، واستغنوا الآن عن الأسلاك البرقية، لأن المراصد كلها اتصلت باللاسلكية. أما فى القديم فربما تعجب الناس إذا علموا أنه فى القرن الرابع من الهجرة أى فى القرن العاشر الميلادى، عندما كانت المواصلات والمخابرات الحديثة مجهولة بالمرة، كان علماء الفن ينهجون نفس هذا المنهج، ولا تحول بين تعاونهم مسافات الشهور والسنين. فنرى البيرونى يقول فى مؤلفه هذا:

« قد كنت واطأت أبا الوفاء محمد بن محمد البوزجانى، وهو ببغداد وأنا بمدينة خوارزم، على كسوف قمرى رصدناه معا فى سنة ٣٨٧ هـ فاقتضى قياس ما بين العملين قريبا من ساعة مستوية بين نصفى نهاريهما. وكذلك رصدت عدة كسوفات قمرية فكان موجبها حائما حول هذا المقدار لا يخالفه إلا بما لا قدر له » (ص ٥٩ منه).

وقد ذكر البيرونى التجارب الرصدية المشتركة مثل هذه. ومنه يظهر أن هذه الحادثة لم تكن فذة من نوعها. ثم نقلت عن أئمة الفن الآخرين تجارب مثل هذه. لا محل هنا لذكرها.

وقد واظب البيرونى على مساعيه العلمية فى السراء والضراء بعزم واحد وهمة تكل، غير متأثر بتقلبات العصر. فيقول فى نفس هذا الكتاب:

« وقد كنت أزمعت تولى الارصاد فى سنى أربع وخمس وثمانين وثلاثمائة للهجرة وهيأت لها دائرة قطرها خمس عشرة ذراعا مع سائر ما يتبعه، ولم

أتمكن إلا من رصد غاية الارتفاع بقرية على غربي جيحون وجنوب مدينة خوارزم مع رصد الارتفاع الذى لا سمت له. وردف هذا اليوم من التشاويش بين كبيرى خوارزم ما أحوج إلى تعطيل ذلك والتحصن ثم الاستيان والاغتراب عن الوطن. ولم يستقر بى بعدها القرار بضع سنين» (ص ٥٩ منه).

وأما التشويش الذى ذكره البيرونى فى قوله السابق. فشرحه أن بلاد خوارزم كانت مقسمة بين أميرين: يملك بعضها المأمون بن محمد. عاصمته جرجانيه أى گرگانج. والبعض الآخر فى يد أبى عبد الله محمد بن أحمد خوارزم شاه. وعاصمته «كاث». وقد هاجم الأمير المامون فى رمضان من سنة ٣٨٥ (سنة ٩٩٥ م) مدينة كاث. واستولى على بلاد أبى عبد الله بعد أن قتله. وكانت أسرة أبى عبد الله تعرف بـ «آل عراق» وتشمل البيرونى برعايته. ومن هذه الأسرة. أبو النصر منصور بن على الذى مدحه البيرونى فى قصيدة له. فقال:

فآل عراق قد غذونى بدرهم ... ومنصور منهم قد تولى غراسيا

وعند ما كانت خوارزم مسرحا للقتل والنهب. كان البيرونى خارج عمرانها مشغولا بأعماله الرصدية فى قرية من قراها. واليوم الذى أسر فيه الامير المأمون عدوه أبا عبد الله فى قصر أمارته. كان البيرونى زين مرصده بدائرة قطر جديدة ومنطقاتها. وكل ما كان يتمناه ويرجو من الدهر أن يجد فرصة قليلة لتدوين نتائج عمله الرصدى ولكن وا أسفاه!... وما أحسن ما قيل بالفارسية:

نه گويم اى فلك كز بجروى هايت تو بر گردى
شب وصل ست. خواهم اين قدر. آهسته تر گردى!

(يا سماء! لا أقول أن تقلعى عن جورك وعسفك. بل كل ما أرجوه. أن الليلة. ليلة لقاء الحبيب. فهلا فى سيرك لئلا يتعجل الصبح!)

وقد حرم البيرونى من رعاية آل عراق فى عهد أبى العباس المأمون، إلا أنه استطاع مواصلة أشغاله العلميـة ، ولكنه دهم بانقلاب آخر أشد من الأول. فهاجم محمود الغزنوى بلاد خوارزم فى سنة ٤٠٨ هـ (سنة ١٠٨١ م) وقضى على الأسرة المأمونية قضاء تاما. فتعلق البيرونى يبلاط غزنة، ولكن هذا الدور من حياته هو الذى لم تفحصه عين التاريخ بعناية وتفصيل.

وقد قال البيرونى عن غزنة فى مؤلفه هذا:

«ثم اتفق بعد ذلك رصد غاية الارتفاع بغزنة فى المنقلب الصيفى...ووجدت ارتفاع نصف نهار المنقلب الشتوى فى ٣٨٨ ليزدجرد ٣٢ جزوًا وسدس (جزؤ) يكون الميل الأعظم ٢٨-٤٥» (ص ٥٩ منه).

محمود الغزنوى والبيرونى

وقد عاش البيرونى فى العهد الأخير من حياته فى غزنة. وساح الهند، وجميع كتبه التى ألفها فى علوم الهند تتعلق بهذا الزمن. فمن الطبيعى أن نتساءل عن نوعية علاقته بالسلطان محمود الغزنوى، ونرى هل شمل السلطان برعايته حياته العلمية أو كان معرضا عنه غير مبال به. أو كان بينهما شىء أكثر من هذا وذاك؟

ذكر البيرونى فى «كتاب الهند» بعض أحواله أثناء إقامته بالهند، وأشار فى خلالها ما يستنبط منه أنه لم يكن حرا يفعل بارادته ما يشاء فى الهند، بل كان مقيدا ببعض القيود. فمثلا يقول:

«فهذه صورة الحال. ولقد أعيتنى المداخل فيه مع حرصى الذى تفردت به فى أيامى، وبذلى الممكن غير شحيح عليه فى جمع كتبهم من المظان واستحضار من يهتدى لها من المكامن ولمن غيرى مثل ذلك إلا من يرزق من توفيق الله ما حرمتـه من القـدرة على الحركات عجزت فيهـا عن القبض والبسط فى

الأمر والنهى، طوى عنى جانبها. والشكر لله على ما كفى منها».

وقد استنتج من هذا القول الدكتور إيدورد زخاو الذى صحح كتاب الهند وترجمه إلى الانكليزية بأن البيرونى لم تطلق له الحرية التامة فى بنجاب، وأن علاقته مع السلطان محمود لم تصف. ولما كان الدكتور لم يطلع على مؤلفات البيرونى الأخرى، لم يمكنه أن يقول أكثر من ذلك.

وقد وجدت إشارات فى «تحديد نهايات الأماكن» وهو يشكو فى واحدة منها بصراحة تامة حياته التعسة. فيقول فى الفصل الذى خصصه لمعرفة عروض المدن، والميل الكلى والجزئى ما يأتى:

«وإنى يوم كتبى هذا الفصل، وهو يوم الثلثاء غرة جمادى الآخرة سنة تسع وأربعمائة للهجرة كنت بـ «جيفوره» قرية إلى جنب كابل، وقد حملنى شدة الحرص رصد عروض هذه المواضع، وأنا ممتحن بما أظن أن نوحا ولوطا عليهما السلام لم يمتحنا بمثله وراج أن أكون ثالثهما فى نيل رحمة الله والغياث بمنه» (صفة المعمورة ص ٦٠)

فهذه العبارة صريحة لا غموض فيها كالغموض فى عبارة كتاب الهند. ويظهر منها أنه كان يرى حياته بليت ببلاء ذكّره ببلاء نوح ولوط عليهما السلام. وما كان بلاء هذين النبيين؟ جحود قومهما وإنكارهم، فظلا ينصحانهم ويعظانهم زمنا طويلا فلم يزدهم إلا عتوا وكفرا. وهنا لابد للمرء أن يتساءل، هل ابتلى البيرونى بمثل ما ابتلى به النبيان؟ هل كان حقا محاطا بالذين لا يستطيع إقناعهم باخلاص عمله وصدق قصده؟ فكانوا ينظرون إليه بعين الريب والانكار والعناد، حتى يئس من إصلاح الحال؟ فان كانت هذه الأمور هى التى وجدت وراء عبارته المتقدمة فعلينا أن نتوغل أكثر من قبل لنرى هل تطابق صورة الحال هذه بيئة البيرونى الغزنوية؟

علمنا من تاريخ خوارزم أن السلطان محمود الغزنوى استولى عليها فى سنة ٤٠٨ هـ، وبدأت علاقة البيرونى ببلاط غزنة بعد هذه السنة. فتكون سنة ٤٠٩ هـ بلا ريب الزمن الذى كان البيرونى فيه حديث العهد ببلاط السلطان ويكون لم يمض عليه إلا سنة واحدة على الأكثر. وعلى قصر هذه المدة نجده متذمرا أشد التذمر، ويرى نفسه فى بلاء لا يجد له نظيرا إلا فى بلاء النبيين اللذين يئسا من حولهما كل اليأس. ومن البديهى أنه لا مسوغ لتذمره إلا أن نبحثه فى علاقاته مع السلطان ونفرض أنها كانت متوترة جد التوتر. وإذا فعلنا ذلك نجد الستار يرتفع وتبرز أمامنا الصورة بسائر ملامحها.

بدأت علاقة البيرونى ببلاط غزنة فى ظروف غير مرضية، إلا أنه كان يرجو الاعتراف والتقدير بعلمه وفضله وإقناع السلطان بحسن نيته وإخلاص عمله. ومن الواضح أن أمله قد خاب، ولم يفز بإيجاد الثقة فى السلطان. بل يجد نفسه فى ورطة لا مفر منها. فليس له أن يخرج من ربقة السلطان ولا أن يعيش فى غزنة بطمانينة ورفاهية. فكأن القدر قد سد على وجهه هذين البابين للحياة، فلما وجد نفسه فى هذه الحالة الحرجة، تسرب اليأس التام إلى قلبه وجرى قلمه يسجل بأن البلاء الذى ابتلى به نوح ولوط عليهما السلام، قد ابتلى به سواء بسواء.

ولشرح هذه الحالة ينبغى النظر فى الأمور التالية.

١ ـ نشأ البيرونى فى خوارزم تحت رعاية ملوكها. وقد خصه أبو العباس المأمون بثقته. وهذا الذى ناوشه السلطان محمود ثم هاجمه واستولى على خوارزم. وقد اتفقت كلمة المؤرخين على أن السلطان كان شكاكا بطبعه، ينظر إلى كل من سبق له الاتصال ببلاط آخر، بنظر الريب والعداء. فيكون البيرونى، والحالة هذه، محل الريبة فى نظره لاتصاله بملوك خوارزم، ويكون تحت المراقبة لا يملك الحرية فى تنقلاته.

٢ - كيف وصل البيرونى إلى بلاط السلطان؟ تضاربت الروايات فى ذلك. إلا أنها كلها أجمعت على أن تلك الظروف كانت غير مرضية. فذكر ياقوت الحموى فى «معجم الأدباء» نقلا عن بعض أفاضل العصر أن السلطان بعد استيلاءه على خوارزم. أمر بالقبض على البيرونى وعلى أستاذه عبد الصمد الأول بن عبد الصمد الحكيم. وقتل عبد الصمد منهما بالقرمطة. ونجى البيرونى. لأنه قيل للسلطان بأنه منجم كبير. يستفاد بنجوه فى التنجيم. وذكر نظامى العروضى فى «چهار مقاله» وصاحب «نگارستان» فى مؤلفه رواية أخرى. وهى تقول إن السلطان. أرسل قبل فتحه خوارزم. رسولا من عنده إلى بلاط خوارزم يطلب منه توجيه خمسة من حكمائها إليه. وكان إلحاحه فى طلب ابن سينا أكثر من غيره. ولكن أبا على سينا وأبا السهل رفضا الذهاب إلى غزنة وخرجا من خوارزم. ورضى البيرونى. وأبو الخير. وأبو النصر بالارتباط ببلاط غزنة. ولما كان غرض السلطان الحقيقى استدعاء أبى على سينا. وقد تفلت من يده. تنغص السلطان تنغصا شديدا وأمر بأن يمتحن الحكماء الثلاثة فى معرفتهم بالنجوم. ورواية «نظامى» و «نگارستان» هذه قد اجتمع فيها الرطب واليابس واختلطت بأجزاء الحادث التاريخى الأجزاء القصصية. إلا أن ما يستنبط منها. يدل كذلك على أن دخول البيرونى فى بلاط غزنة. لم يكن فى ظروف مرضية. فسنحت الفرصة للقصاصين أن يشيعوا من الحكايات ماشاءوا.

٣ - هنالك أمر لا شك فيه. وذلك أن السلوك الذى خص به السلطان البيرونى. لم يكن من تقدير منزلته العلمية والاعتراف بفضله وحكمته. بل يكون داعيه أن البيرونى عالم بفن النجوم (Astrology).

ومن مسلمات تاريخ العلوم الفلكية أن التميز بين علم الهيئة والتنجيم أى معرفة سعد الكواكب ونحسها بقى غامضا إلى أمد بعيد. والخط المميز الذى يفرق بينهما

كان دقيقا جدا فى العصر القديم لا تدركه الأبصار إلا قليلا ، فكثيرا ما كانوا يعدون عالم الهيئة . منجما ، فاشتهر أبو محمود الخجندى . وابن جابر البتانى ، وأبو معشر الفلكى ، وعمر الخيام ، ونصير الدين الطوسى وغيرهم . كنجمين فى حين أنهم لم يكونوا من أوهام التنجيم وخرافاتها فى شىء . وانما اشتهروا بذلك لأن الناس رأوهم رافعين أنظارهم إلى النجوم . فظنوا أنهم لا يراقبون النجوم إلا للتنجيم . والحكايات التى حكاها النظامى السمرقندى وصاحب « نگارستان » عن البيرونى . قامت على هذا الوهم الباطل ، فى حين أن ذهن البيرونى الصافى لم يكن ليتحمل مثل هذه الأوهام . فانه كان يرتاب فى رأى كل من له ولوع بفن النجوم وأعماله وأحكامه مع الاشتغال بعلم الهيئة والرياضى . لأنه كان يرى أن الاعتقاد بفن النجوم قد يكون أثر فى عمله الرصدى بحيث لا يشعر . فتراه يرتاب فى قول منصور بن طلحة فى البحث عن طول البلد لنيشابور قائلا . إنه « كان مولعا بعلم النجوم » ولكن من عجائب الدهر أن مثل هذا الرجل المحتاط كذلك لم يسلم من تهمة التنجيم . ولله در من قال :

مريم اين را متحمل شد وعيسى برداشت !

وقد ألف بعد البيرونى بنحو خمسين أو ستين سنة الامام فخر الدين الرازى تفسيره الشهير يذكر فى الكلام عن ذى القرنين قول البيرونى فيه . فينعته قائلا « أبو الريحان البيرونى المنجم » !

والرواية القائلة بأن السلطان محمود إنما منحه حياته لكونه منجما ، ممحت لم تصح ، ولكنا نظرا لعقلية السلطان نضطر للاعتراف بأنه لم يكن أهلا لتقدير مكانة البيرونى العلمية . وما كان ينتظر منه إلا أن يحمل انهماكه بالأعمال الفلكية على أنه منجم . إن استعداد السلطان العقلى ما كان ليذهب به أكثر من ذلك . ونحن نرى بجلاء فى صورة الحال هذه أيضا مرارة شعور البيرونى ويأسه

الشديد. إذ كيف كان يمكن له أن يطمئن باله وتقر عينه فى رعاية ملك غير أهل لتقدير مكانة عبقرى مثله فى الرياضيات وعلم الهيئة. وإن أراد التقدير فليس إلا لأن يتصوره منها بأوهام فى النجوم وخرافاته ؟

٤ - إن ما احتفظ به التاريخ من سيرة السلطان محمود العقلية والأخلاقية يسهل لنا خلق صورة لطبع هذا الرجل الفذ. اجتمعت فيه الخصال النادرة من العزم والعمل. والهمة والشجاعة. لقد كان أكبر قائد فى عصره. ولم يتلوث ذيل حكمه بمظالم الحكام المستبدين العامة. وهو. على قول المورخ الانكليزى. گبن. مهما يكن سفاكا فى ميادين الحرب. إلا أنه كان على عرش ملكه منشدا العدل والتساوى بين الناس. ولكنا مع مزاياه هذه. لا يسعنا إلا أن نبرز جانبا آخر من شخصيته العقلية. لقد كان جنديا تركيا فى عصره بمعنى الكلمة. وليس له أن يخطو بخطوة فى مسارح العلوم والمعارف. وكان تصور عقائده الدينية ضيقا منحطا. ولم يكن من سعة النظر فى شيء. وقد انتشر فى ذلك العصر دعاة الطائفة الاسماعيلة فى العالم الاسلامى. وأحدث القرامطة منهم اضطرابا شديدا فى العراق والحجاز. وكانت الخلافة الفاطمية قد توطدت دعائمها فى مصر. ويبث دعاتها فى العالم الاسلامى كله دعوتها سرا وجهرا. ولما كان هؤلاء الناس يمزجون عقائدهم الدينية بالتوجيهات العقلية وينادون بالفلسفة والعقليات. يرى السلطان فى كل من له ميل إلى الحكمة. قرمطيا ومستحقا للقتل. وقد قتل عددا لا يحصى من الناس. لم يكن لهم ذنب إلا أنهم اتهموا بالاسماعيلية والقرمطة كذبا وزورا. وقد روى ياقوت الحموى فى «المعجم» وظهير الدين البيهقى فى «تتمة صوان الحكمة» ما تعرف به عقلية السلطان هذه. فقد وفد سفير من الصين الشمالية. أى الختا. وكان عالما وخبيرا ببعض ما خص به القطب الشمالى[١]. فأخبر السلطان بأن الشمس لا تزال

١— وردت كلمة «القطب الجنوبى» فى المعجم وتتمة صوان الحكمة كليهما. ولكن قال إى وائدمن (E. Wideman) باحثا فى رواية المعجم أنه خطأ من الراوى أو ناسخ الكتاب. ورجح أن تكون الكلمة. القطب الشمالى. وذلك أن رجلا من الصين كيف تكون له المعرفة بأحوال القطب الجنوبى. وأنا كذلك ارى أن الكلمة يجب أن تكون «القطب الشمالى».

بلزغة فى نواحى القطب ولا يظهر الليل هناك ألبتة. فما كان من السلطان إلا أن حمل قوله، كما كان ديدنه، على الالحاد والقرمطة، فى حين أن السفير لم تكن له علاقة بمثل هذه العقائد. وإنما كان يروى ما شهده السياح لا عقيدته الذاتية. وما خابت حكمة البيرونى فى هذه الساعة على الأقل. فشرح العلاقة بين الشمس والأرض وأكد للسلطان أن صورة الحال هذه عند القطبين طبيعية. وإنكارها، إنكار حقيقة علية. (المعجم ج ٦ ص ٣١٠ وتتمة صوان الحكمة، نسخة مكتبة الملا مراد باستنبول).

وكذلك الحكاية التى رواها القفال المروزى عن اختيار السلطان المذهب الشافعى. ترينا ما كان عليه من العلم الدينى. كانت أسرة السلطان كعامة الترك، حنفية. ولكن وجد فى البلاط علماء من الشافعية يلهجون بفضيلة مذهبهم، وكان السلطان لجهله بهذه الأمور، يسمع مناقشاتهم ولا يستطيع البت فيها. وأخيرا قرر عقد مجلس يناظرون فيه. وجعل عالما مسيحيا حكما بينهم. وربما كان هذا المسيحى هو أبو الخير الحسن بن سوار المعروف بابن الخمار. ولم يقع فى المجلس شىء من المناقشة العلمية. بل اتفقوا على أن تقام الصلاة أمام السلطان على الطريقتين: الحنفية والشافعية. والطريقة التى يستحسنها السلطان. يقبلها. فاستحسن الطريقة الشافعية وصار شافعيا!

وكذلك ما وقع لأبى بكر ابن فورك الأصفهانى من مسائل الرؤية والجهة. والذى فصله بنفسه فى كتابه إلى أبى اسحاق الاسفرائينى، يظهر جليا أن ذهن السلطان الساذج العسكرى لم يكن أهلا لفهم مسألة علمية دقيقة، فقد أفرغ ابن فورك جهده فى شرح عقيدة رؤية البارى تعالى لا فى جهة ومحل، ولكن السلطان لم يفهمه مطلقا فكان يكرر قوله بالفارسية «كيف يعقل شىء لا فى جهة؟»!

٦ - وقد علمنا من المصادر التاريخية ما كان عليه السلطان من الريب والجمود

الشديدين. فكان لا يثق بالناس ولا يميز بين صلابة الرأى والجحود. فيرى الجحود من صلابة الرأى. ولا شك أن ملكا كهذا يكون فوق تحمل شخص مولع بالحكمة كالبيرونى، ولا يعلم إلا هو ما كان يكابد من البلاء فى حياته ليلا ونهارا.

وقد صرح البيرونى نفسه ما تدرك به هذه الحالة. فقال فى «كتاب الجماهر» وهو يبحث فى اللآلى ما يأتى:

«وقد شوهد من فعلها (أى النار) باللآلى فى بيوت الأصنام التى أحرقها الغزاة بحدود «برانه» (أى بلندشهر الحاضرة) فكان «لوهرا» صاحبها المأسور فى يد الأمير يمين الدولة راسله بأن هؤلاء المجانين يخسرونك فى الجواهر بما يعظم مقداره، فارفعها ثم خلهم والاحراق. فلم يلتفت إلى قوله إصرارا كعادته كانت فى المخالفة. وكان بعد همود النيران يفتش رمادها فيوجد فيه الحبات الكبار النفيسة كأنما خرطت من طباشير، ولم يوجد ما ينتفع به» (صفة المعمورة ص ٧٦).

والحاصل أن ما أشار إليه البيرونى فى «تحديد نهايات الأماكن» من أحواله، يذهب بنا بعيدا. ونستطيع أن نرسم منه صورة مفصلة لعلاقته مع السلطان. وقد وضح الآن تماما ما أجمله فى كتاب الهند. والظاهر أنه تمكن من الوصول إلى بنجاب، ولكنه لم تطلق له الحرية التامة للتنقل، ووضعت عراقيل شتى فى سبيل نشاطه العلمى. وإلى هذه العراقيل أشار بقوله «عجزت فيها عن القبض والبسط فى الأمر والنهى».

ولكن البيرونى إن كان بلغ من تأثره إلى هذا الحد. فما معنى قوله هذا فى السلطان محمود فى قصيدته التى رواها الحموى فى المعجم؟

ولم ينقبض محمود عنى بنعمة ❊ فأغنى وأقنى مغضيا عن مكاسيا

عفا عن جهالاتى وأبدى تكرما ❊ وطرىٰ بجاه رونقى ولباسيا

وهذه القصيدة مدح بها أبا الفتح البستى وأشار فيها إلى الأدوار المختلفة من حياته.

ويمكن الجمع بين هذين النوعين المختلفين من أقواله بأن يقال إن علاقته مع السلطان مرت بأدوار مختلفة. فكان فى الدور الأول محل ريبة وظنون، لا يعترف بفضله، ثم تغيرت الحالة شيئا فشيئا، حتى جاء الدور الذى فاز فيه بعطف السلطان ورعايته الملكية السخية. نظم البيرونى قصيدته هذه بعد وفاة السلطان، وبحكم «اذكروا موتاكم بالخير» كان يليق به أن يشيد بنعمه فى عهده الأخير، ناسيا ما مر من تقصيره فى حقه. فيثنى البيرونى فى قصيدته على نعمه ولا يريد أن يتذكر جفاءه السابق.

ثم لا ينبغى أن ننسى أن البيرونى نظم قصيدته فى الزمن الذى كان يحكم ابن السلطان محمود، السلطان مسعود الذى أغدق عليه بالنعم. وقد تأثر البيرونى بمنحه الباذلة أيما تأثر، حتى عنون أهم مؤلفاته، وهو «القانون المسعودى» باسمه، فكان من مقتضى الزمن، والحالة هذه، أن يذكر والد الملك الذى خصه بحسن رعايته وبذل عطفه بأحسن الكلمات، وينسى ما نغص حياته فى السابق.

حدود سياحة البيرونى فى الهند

استنتج الدكتور إيدورد زخاؤ من قول البيرونى فى «كتاب الهند» أن حدود سياحة البيرونى فى الهند لا تجاوز ملتان ولاهور، فقبل الناس رأيه هذا كأمر واقع لا ريب فيه، وما زالوا يرون أن البيرونى لم يشهد من الهند إلا ملتان ولاهور.

ولكن لما تسنى لى فى سنة ١٩٠٦ الاطلاع على «القانون المسعودى» وهى نسخة المكتبة الأمبراطورية بكلكتا، شعرت بأن قول الدكتور زخاؤ محل الفحص والبحث، واستطيع الآن، بعد الاطلاع على مجموعة توكان آفندى هذه، أن أقول إن سياحة البيرونى فى الهند لم تنحصر فى حدود پنجاب وحدها.

قال البيرونى فى القانون. وهو يذكر عملا رصديا له. بأنى قمت به وأنا فى الهند بمكان على ساحل البحر. فيا ترى أى مكان ساحلى هذا. إن انحصرت سياحة البيرونى فى حدود بنجاب وحدها؟ ومن الظاهر أن ذلك المكان لا يمكن أن يكون فى بنجاب. إذ البحر يحيط الهند من الجنوب أو الغرب. ووصول البيرونى إلى جنوب الهند كان من أصعب الأمور. وأقواله كلها تعارض أن تكون سياحته امتدت إلى مثل هذه الدائرة الطويلة العريضة. فلا يبقى هنالك إلا الساحل الغربى الذى كان فى وسعه الوصول إليه. والظاهر أنها بلاد السند.

ثم إنه من المستبعد أن يصل البيرونى إلى بنجاب. ولا يقصد سياحة السند. لقد ظلت بلاد السند من عهد محمد بن القاسم تحت حكم المسلمين بلا انقطاع. ودخلت هى كذلك مثل بنجاب فى حكم السلطان محمود إذ ذاك. ولم يوجد ما يمنع البيرونى من التوجه إليها. وقد أيد قوله الآنف الذكر فى القانون هذا القياس كل التأييد. لأن مثل هذا المكان على ساحل البحر لا يجده إلا فى بلاد السند. وقد وثقت هذا الرأى مقتبسات من كتاب البيرونى «الصيدنة» التى ضمت إلى هذه المجموعة. فيقول البيرونى فى صدد كلامه على «الجرجيز»:

«قد وجدت فى البراوى التى بين ملتان والسند نوعين من هذا النبات» (صفة المعمورة ص ١١٦).

ثم يشرح خصوصيات نبتها. ويتكلم فى الكتاب نفسه على أنواع التفاح فيقول:

«وكنت أرى فى جبال كشمير تفاحا لم يخالف الأهلى إلا بكثرة الشوك المانع عن اجتنائه» (ص ١١٣ منه)

فاذا جمعنا قوليه هذين فى كتاب الصيدنة مع قوله فى «القانون» وضحت مسألة حدود سياحته فى الهند. فقد تمكن من ارتياد البلاد الثلاثة: السند

وپنجاب وكشمير. والغالب أنه توجه من غزنة إلى كابول، ومن كابول إلى پرشاور (پشاور الحاضرة) فتجول فى لاهور وجبال كشمير، ثم قصد ملتان، والراجح أنه قضى معظم أيام تدريسه اللغة السنسكرتية وتحقيق أحوال الهند هاهنا. ثم ذهب من ملتان إلى السند، ومن السند قفل إلى غزنة.

استولى السلطان محمود على خوارزم سنة ٤٠٨ هـ. وفى هذه السنة قدم البيرونى إلى غزنة. وقد علم من عبارة «تحديد نهايات الأماكن» التى نقلناها أنه كان فى هذه السنة، أى سنة ٤٠٩ هـ، مقيما بقرية من أعمال كابول. وكذلك علمنا من قوله فى «القانون» عن تصحيحه لطول بلد غزنة أنه كان موجودا فى سنة ٤١٠ هـ بغزنة. وفى هذا زيادة توثيق لقول الدكتور زخاؤ أن سياحته فى الهند بدأت بعد سنة ٤١٠ هـ. والغالب أنها امتدت إلى تسع أو عشر سنين.

﴿ سيرة البيرونى العقلية ﴾

إن أظهر ميزة امتاز بها البيرونى، ذهنه العلمى الصافى المستقيم. وهذه الميزة تلزمه حيثما كان. فليس لعقيدة دينية. أو تقليد شعبى، أو أمر تاريخى مسلم به أن ينال من هذه الميزة شيئا، فعقليته مستقيمة، صافية، منيعة، غير قابلة للتسخير!

وقد تجلت مزيته هذه فى «الآثار الباقية» و «كتاب الهند» استوقفت أنظار أهل العلم. ونحن لا نريد تكرار ما فرغوا منه، إلا أن الشواهد الجديدة التى برزت من مطالعة كتاب «الصيدنة» و «الجماهر» لا بد من إلقاء نظرة عليها.

ذكر جميع مؤرخى العرب والسياح من القرن الثالث والرابع الهجرى، معدن الياقوت فى سنگل ديپ، أى سيلون (سيلان) وكذلك جبلا سموه بـ «جبل البرق». وقد تشعبت من هذين الأمرين قصص وحكايات وهمية لا أصل لها. والظاهر أن هذه الحكايات نشأت فى سواحل الهند الغربية التى يرتادها بحارة

العراق ومصر. ومن هذه الحكايات أن هنالك فى الجزيرة «جبل راون» لا يزال البرق يلمع فوق قمته. وهذا البرق هو الذى يسبب تكوين الياقوت. والغرض من «راون» هو ذلك العفريت من ملحمة «راماثنا» الهندية الشهيرة الذى قيل إنه كان ملكا لسيلان. حرف العرب اسمه فقالوا «راهون». وتسربت أساطير «جبل الراهون» إلى كتب التاريخ العربية. فذكر كل من المسعودى، وابن حوقل، والمقدسى، ونصر بن أحمد الخطيبى وغيرهم «جبل الراهون» موعزين إليه عجائب وخوارق من أنواع شتى. أما البيرونى فيذكر فى «الجماهر» هذه الأساطير ويقول أولا عن «جبل البرق» لعله بركان، وناره دائمة الاتقاد وشدة الخفوق والاضطرام، ولهذا شبهت بالبرق. ثم قال «وهذا من أشباه الخرافات التى سأحكى بعضها عن الفرس» (صفة المعمورة ص ٧٠)

وكذلك اشتهرت خواص عجيبة للكبريت الأحمر بين الناس، بل أنها ذكرت فى الكتب الطبية فى خواص الأشياء. وزعمت الفرس أن معدنه فى جبل «دنباوند». يسخر البيرونى من هذه الخرافات ويقول إنها لا أصل لها. (ص ٧٦ منه).

إن كتاب «المسالك والممالك» للجيهانى مأخذ كبير للمؤلفين بعد المائة الرابعة من الهجرة. وقد اقتبس منه البيرونى نفسه ما شاء. ولكن الكتاب عند ذكره كنيسة اصطفانوس (Santo Stefano) برومية، يروى روايات لا تمت بصلة بالعقل، وقد قبلها المؤلفون بعده. فمنها أن للكنيسة ألف باب. ومذبحها من زمرد، طوله عشرون ذراعا. والبيرونى يذكر هذه الحكايات ساخرا، ويقول «لو صدرت هذه الحكاية عن أرض فارس، لقلت إن ما كان فى الكنز المحترق من الزمرد قد أنسبك، فكان منه ذلك المذبح، بعد أن أتغابى عما بين زمرد وبين النار من النفرة»! وقد ذكر الجيهانى ألف باب للكنيسة، يقول عنها البيرونى «إنه يقتضى عدم حائط لها وإنما يحيط بها أبواب متلاصقة»!

ومن خرافات آسيا الوسطى وفارس القديمة، خرافة «سنگ يده». والغرض من «سنگ يده» حجر زعموا أنه يجلب المطر. وقد تسربت الخرافة إلى الشعر الفارسى، فيقول رضى دانش:

باعث ريزش باران سرشكم شـــده است
دل سنگين تو سنگ يده را مى‌ماند

(أى أن قلب الحبيب، حجر، ولكنه حجر من سنگ يده، لأنه جعل عيونى تمطر الدموع كالسحاب الماطر!).

وقال الميرزا محسن تاثير:

سنگ دل خوبان همه سنگ يده باشد

(إن قلوب الحسان كلهم حجر قد من سنگ يده).

وقال شاعر الهند، شيخ إبراهيم ذوق:

يه آيا جوش ميں باران رحمت بارى
كه سنگ سنگ ميں سنگ يده كى هے تاثير

(ها! إن غيث رحمة البارى قد جاش، فانتقلت خاصية سنگ يده إلى كل حجر).

ويظهر من حوادث تاريخ الهند أن الخرافة تسربت إلى هذه البلاد كذلك، فذكر رائے آنند رام مخلص فى مؤلفه «مرآة المصطلحات»، أنه قدم تركى فى عهد سيف الدولة «دلير جنگ» حاكم ملتان، وكان التركى يملك حجرا كهـــذا، إذا وضعه فى فمه ووقف تحت السماء، نزلت الأمطار، ولما علم سلطان الهند محمد شاه بذلك، أمر باحضار التركى إلى العاصمة، ولكنه غاب قبل أن يصل الأمر السلطانى إلى ملتان!

يقول البيرونى فى «الجماهر» تحت عنوان «الحجر الجالب للمطر»:

«ذكر (ابن زكريا) الرازى فى كتاب الخواص أن بأرض الترك بين الخرلخ والجناك عقبة إذا مر عليها جيش أو قطيع غنم، شد على الأظلاف والحوافر منها صوف. ويرفق بها فى السير لئلا تصطك أحجارها، فيثور ضباب مظلم ويسيل مطر جود. وبهذه الأحجار يجلبون المطر إذا أرادوه بأن يدخل الرجل الماء. ويأخذ من أحجار تلك البقعة حجرا فى فمه ويحرك يده، فيجيء المطر».

ثم يقول:

«وليس يختص ابن زكريا بهـذه الحكاية. إنما هى كالشيء الذايع الذى لا يختلف فيه». وذكر صاحب كتاب النخب كذلك الحجر الجالب للمطر!

وبعد هذا يقول:

«وكان حمل إلى أحد الأتراك منها شيئا، ظن أنى أبتهج بها أو أقبلها ولا أناقش فيها. فقلت له. جئنى بها مطرا فى غير أوانه أو فى أوقات مختلفة بإرادتى وإن كان فى أوانه، حتى آخذها منك وأوصلك إلى ما تؤمله منى وأزيد. ففعل ما حكيت من غمس الأحجار فى الماء ورمى نقيعها إلى السماء مع همهمة وصياح. ولم ينفذ له من المطر ولا قطر سوى الماء المرمى لما نزل!»

وقد ذكر السائح الفرنسى، برنير فى سرد مشاهداته بكشمير عقيدة كهذه كانت شائعة بين الكشميريين. فقال. ولما وصلنا إلى قمة «پير پنچال» وجدنا بها درويشا واقفا وهو يشير إلى الناس بأن يمروا صامتين ساكتين، لأن الصياح يجلب زوابع وأمطارا شديدة.

وقد شاعت خرافة كهذه عن بعض العيون والمستنقعات بين الناس، فكانوا يرون أنها إذا مستها نجاسة، نزلت الأمطار أو الثلوج. يروى البيرونى هـذه الخرافة ويقول:

«وكم من مرة اجتزنا عليها فى العساكر الضخمة، ونزلنا عليها وعلى ذلك الماء، وأكثر الأوباش من العلافة وتباع العساكر لا يعرفون للطهارة اسما فضلا عن استعمالها... والجميع يستسقون من ذلك الماء ويمسونه، ثم لم يتفق مما ذكروا شىء فى الحال ولا قبله ولا بعده!» (صفة المعمورة ص ٩٠).

وقال وهو يبحث فى الحديد وأصنافه:

«ومما يشبه الخرافة فى أصل الحديد، أنه وجد فى القندهار عند افتتاحها سارية حديد طولها فى السماء سبعون ذراعا، فحفر هشام بن عمر أصلها فانكشفت عن ثلاثين ذراعا منها تحت الأرض، فسأل عنها فأخبر عن تبع اليمن: ورد بلادنا مع الفرس، ولما استولوا على الهند، سبكوا من سيوفهم هذه السارية. وقالوا نحن لا نريد مجاوزة هذه البلاد إلى غيرها وملكوا السند»!

ثم يسخر من هذه الحكاية قائلا:

«وقالوا كلام من ليس له بصر بمزاولة الفلزات، وصنعة الأشخاص العظام منها، بل هى حماقة من يحتاج إلى الازدياد فى السلاح عند امتلاك البلاد، فينقص منها بدل الزيادة، كأنه يريد أن يقاتل بالسارية!».

والحكاية، إن كان لها أصل، فالسارية بلا ريب من سوارى الامبراطور أشوك التى نصبها فى أنحاء مملكته لتخليد أوامره بالتسطير عليها. ولا يزال يوجد منها فى الهند أربع سوارى، منها اثنان فى دلهى نفسها. غير أن تقدير طولها مائة ذراع، مبالغ فيه.

والبيرونى يحتاط فى التسليم بما حققه غيره أشد الاحتياط. ولا يقيم لشهرة الرجل العامة وثقافته المسلمة بها وزنا. والذى لا يجده طبقا لمعياره، فلا يبالى

بشهرته مطلقا. وهكذا يجب أن يكون العالم المحقق. فكل ما كتبه معاصره الشيخ ابن سينا عن طول بلد جرجان. لم يطمئن له. فقال فيه ما سبق ذكره آنفا، وهنا نذكر أمرا آخر. فانه ذكر فى «تحديد نهايات الأماكن» وهو يبحث عن طول بلد بلخ، منصور بن طلحة. واعترف بفضله العلمى قائلا «هـذا الرجل الفاضل كان بقية الولادة الطاهرية بخراسان. وذا حظ من علوم الرياضيات وما حولها» ولكنه عندما يذكر عمله الرصدى. نجده مترددا فى قبول آراءه. لأنه علم أن ولعه الحقيقى بالطبيعيات، لا بالرياضيات. وإن كان مهر فيها كذلك، وأدهى من ذلك أنه كان مولعا بعلم النجوم أيضا. ومن اعتقد بالنجوم فلا يصفو ذهنه للعلوم الفلكية وأعمالها وأحكامها. ولذلك يقول فيه:

«ويمكن أن يكون منصور بن طلحة صحح ذلك اعتبارا لا رصـدا بحسب ما أمكنه لحاجته إلى تقويم الكواكب. فقد كان مولعا بعلم النجوم... ومنصور على كثرة فضائله أثبت قدما فى الطبيعيات وأحكام النجوم منه فى الرياضيات. وليس من علم الهيئة بمتمكن بحيث يقلد، وإن كان ثقة» (صفحة ٦٧).

وهذا المثال وحده يكفى لتعرف به عقلية البيرونى. وكيف أنه كان محتاطا فى أحكامه العلمية؟ وكيف تعود النظر فى كل أمر من الوجهة العلمية الخالصة والزاوية العقلية البحتة؟

«الصيدنة» و «الجماهر»

كتاب «الصيدنة» فى تحقيق الأدوية المفردة. كما هو ظاهر من اسمه. و «الجماهر» فى تحقيق الجواهر. ونرى البيرونى فى هاتين الرسالتين كذلك يسلك مسلك الحكيم الرشيد، فهو كحكيم حق متجسس، باحث، منشد الحقيقة فى مطالعة الأشياء. يحقق كل شىء، ويفتن كل قول على فتانة العلم والاختبار ليعرف جودته وزيفه.

ولا يرى الحجة فى أمر لأنه معتقد العامة، أو رواية الخاصة، أو مشاهدة السياح المزعومة، أو قالت به الكتب المعتمدة، بل الحجة والدليل عنده فى الاختبار العلمى والتصديق العقلى!

وقد شاعت فى ذلك العصر أوهام وخرافات عن أنواع وخواص الحبوب، والعشب، والنبات، والجواهر الكريمة. ليست العامة وحدها بل الخاصة كذلك سلمت بها، وذكرت فى الكتب الفنية. ولكن البيرونى لا يتردد فى إبطالها، ويذكر علمه الذاتى واختباره الشخصى بها. والخرافة التى اشتهرت عن مومياى، لا يزال يردد الطب القديم صداه إلى اليوم، فقد اعتقدوا أن مومياى، أكسير لجبر الكسر فى العظم ولا يخطئ أبدا، حتى قيل إن كسرت رجل شاة وضمدتها بموميا، فالشاة تأخذ فى الجرى بعد مدة قليلة. والبيرونى يتردد فى التسليم بخاصية مومياى هذه، ويذكر خلافها مشاهدته الشخصية. وكذلك فعل فى شأن «فادزهر».

وأما المعادن، فما حققه فيها فهو جد ثمين. آراء صائبة لا زيغ فيها. وأبحاثه فى نوعية الفولاذ وأصنافه، قيمة غالية. وكذلك بين أنواع الحديد اللين (نرم‌آهن) الذى تصنع منه السيوف والخناجر النفيسة، وهو يعترف قائلا، أن الصنعة فى الهند قد فاقت جميع البلاد.

(انتهى)

المعتقدات الخرافية فى القبائل الهمجية الهندية

لاتزال توجد فى الغابات والجبال الهندية قبائل من الهنود القدماء الذين توطنوا البلاد وحكموها قبل تدفق الجنس الآرى واستيلاءه عليها. ولما انهزموا بعد حروب طاحنة مع الغزاة المستعمرين، تقهقروا إلى الغابات النائية والجبال الوعرة. وهم يعيشون إلى الآن عيشة تكاد أن تكون همجية، يحافظون على عوائدهم العتيقة ولا يرغبون فى المدنية الحاضرة. ولهم معتقدات خرافية نذكر طرفا منها هاهنا.

الفيلة الطائرة!

تعتقد قبيلة «ساؤرا» (Saora) فى ولاية أوريسا، أن الفيلة كان لها قديما أجنحة أربعة تطير بها وتصيح كالغراب. وإذا تعبت من الطيران، نزلت على سطوح البيوت فدمرتها على من فيها! وكان الطاؤس إذ ذاك ليس له ذنب. فاتفق يوما أن دعى الله الفيلة إلى طعام لذيذ وشراب شهى، فملئت بطونها، واستلقت فى مكانها، ونامت نوما عميقا. فما كان من الله إلا أن فصل أجنحتها عنها، فوهب جناحين منها للطاؤس ليكون ذنبه، والجناحين الآخرين لشجرة الموز لتكون أوراقها!

وتقول الخرافة عند قبيلة «اكاريا» (Agaria) أن الفيلة فقدت أجنحتها لأن جدأ من أجدادها قديما، كان يطير يوما فى شمس محرقة، فعطش عطشا شديدا ونزل على مستنقع من الماء. وبينما هو يروى غلته فى غفلة عن الخطر، إذ برز تنين وأخذ برجله وجره إلى داخل الماء، فأخذا يتصارعا اثنى عشرة سنة وثلاثة عشر جيلا، حتى نهكت قوى الفيل ويئس من النجاة، فتضرع إلى الله. وسرعان

ما لبى الله دعاءه فخضر لنجدته، ولكنه وجد الفيل قد مزقت أجنحته وفصلت عن جسده، وهو نفسه قد غار فى الأوحال فلا يرى منه إلا أنفه وأذنيه. فلم يكن لله إلا أن يجر الحيوان الهائل التعس من داخل البركة بأنفه وأذنيه، فطال أنفه طولا مفرطا، وتوسعت أذناه فصارتا عريضتين. ومن ذلك اليوم فقدت الفيلة أجنحتها، ولم تعد تطير كما كانت تفعل سابقا!

أما خلق الفيل، فتقول الخرافة عند قبيلة «گوند» (Gond) أن رجلا وامرأته صنعتا نطارا عظيما لافزاع الخنازير البرية التى كانت تفسد فى مزرعتهما، فصنعا جسدا هائلا من الحشيش، ووضعا يقطينة كبيرة مكان الرأس، وجعلا من ساقها أنفه، ومن غربالين أذنيه. فكان نطارا عظيما مخيفا، فزعت منها جميع الحيوانات وما كادت تقترب من المزرعة. وقد اتفق أن مر «مهاپربهو» (الاله الأكبر) بالمزرعة، فأعجبت زوجته بالنطار أشد الاعجاب، وقالت لبعلها «ما أحسن هذا الخلق، لو كان حيا يمشى! وكم تعجب الآلهة والناس إذا رأونا نركبه!». فما كان من مهاپربهو إلا أن نفخ فى النطار من روحه فصار فيلا حيا، وركبه الالهان وسبقا عليه جميع الأمراء والملوك!

وتحكى قبيلة «ساؤرا» حكاية خلق الفيل على خلاف ذلك، فتزعم أنه لما تزوج «راما» (البطل الأسطورى الأشهر) قدم الناس إلى الاحتفال على مطايا مختلفة، فكان بعضهم يركب الغزلان، وآخرون الأسود، وغيرهم الطواويس، ولكن رجلا مسكينا من قبيلة «سورا» وزوجته لم يجدا لهما مركبا. فصنع الرجل من خشب «بيجا» مركبا هائلا، دهنته زوجته بدنس جسدها، فتجسد المركب، ونفث الرجل سحره فى داخله، فصار فيلا حيا، فركباه وذهبا إلى حفلة زواج راما تحف بهما العظمة والجلالة!

وتقول قبيلة كوند (Kond) إن أصل الفيل هو الانسان، فتزعم أنه كان فى

زمن ما رجل له أنف طويل، وأذنان عريضتـان، وعجز ضخم جدا. وكان يعيش على لحم الانسان فقط ولا تقبل معدته شيئا غيره. وبعد أن أكل الرجل معظم الناس، فرت البقية الباقية منهم إلى الله شاكين، مولولين، فألقى الله إلى الرجل ثمرا حلوا سحريا فأكله الرجل، فتجنن وهرب إلى الغابات حيث تحول إلى فيل بعد أن عاف اللحم إلى الأبد.

وما زال الهنود يعتبرون الفيل مقدسا ومباركا فيه، فانه رمز النصر فى الحروب، وهو مركب الآلهة. وحسبه افتخارا أن إله الكمال، گنيش (Ganesh)، رأسه، رأس الفيل. ثم إن مركب سيد السماء، الاله إندرا هو الفيل، فهو يمتطى الفيل الأبيض المعروف بـ «إيراوتا» (Airavata). وقد كان الذى يقتل فيلا فى الهند العتيقة، يجازى بالقتل سواء بسواء. وقد أطنب الشعراء القدماء فى مدح الفيل، واعتبروه رمزا للقوة، والرشاقة، والكياسة، وكم شبهوا مشية الحبيبة الجميلة الرزينة بمشية الفيل المتناسقة الناعمة الرصينة.

والقبائل الهندية كذلك تقدس الفيل، فقبيلة ساؤرا تضع تماثيله مع ما تضعه جنب موتاها كهدية مقدسة من الأحياء. وتصوره قبيلة «بانى جاس» على أبوابها. أما قبيلة گوند، فتصنع المحفة على شكل الفيل لحمل العريس والعروس فى حفلة الزواج. وقبيلة سنتال تنقش صوره على الظروف التى تهدى للعروس. والفيل رمز شعبى لقبائل «أورانس» فى ولاية بهار.

خلق الناموس

العالم كله يضج من شر الناموس ويحاول التخلص منه بوسائل لم تقض عليه إلى الآن كل القضاء. فهو لا يزال يعذب الانسان، ويمتص دمه، ويلعب بصحته وحياته، ولكن بعض القبائل الهندية ترى الناموس قد خلق للجمع بين زوجين!

فتزعم قبيلة «برهور» (Birhor) أن «مهاديو» (الاله الأكبر) قد غاب مرة
ى الغابات لمدة طويلة، فضجرت قرينته «پروتى» من فراقه واشتاقت للقاه،
لقت سربا من الناموس من دنس عنقها، وأرسلته حيث زوجها. فأقلقت
سعات الناموس راحة مهاديو، فكر راجعا إلى زوجته!

وتقول قبيلة «أورَاون» إن سرب الناموس إنما أرسلته زوجة «چاندو» الذى
رها بدون سبب. ولكن المرأة لم يقدر لها النجاح كما قدر ل «پروتى» على قول
بيلة «برهور» لأن چاندو لما رأى الناموس، خلق الذباب العمالقة فابتلعت
لنواميس كلها!

والحكاية عند قبيلة سورا تختلف عما سبق، فتزعم أن شابا غضب على
وجته الجميلة، فشتمها وضربها، فما كان منها إلا أن هجرته وهجرت الطعام والبيت،
أخذت تبيت خارج الدار. ولما عاد الشاب إلى رشده، ندم عما بدر منه،
ذهب إلى زوجته معتذرا تائبا، ولكنها كانت عنيدة فلم تقبل منه عذرا. وبعد
لاثه أيام، توجه الشاب يائسا إلى الله يلتمس منه العون على زوجته القاسية قائلا
وقع بينى وبينها نزاع عادى، وقد عجزت عن إرضائها، فهى فى عبوس وتجهم،
أخشى أن تهجرنى نهائيا! فتبسم الله من سجاذته وناوله قبضة من التبن قائلا «إذهب
بهذا ليلا إلى المكان الذى تنام فيه المرأة وانشره هنالك، وارجع إلى بيتك.
إياك أن تقول لها شيئا». ففعل الشاب كما أمره الله. نشر التبن عندما نامت
الزوجة وعاد إلى البيت وقفل بابه من الداخل. ولم يلبث إلا قليلا فاذا زوجته
تدق الباب دقا شديدا باكية مستغيثة. ففتح لها الباب وسألها عما دهمها، فأخبرته
أن الناموس قد أحاط بها من كل جانب، وكاد أن يقضى على حياتها بلسعاته المؤلمة!

وتقص قبيلة «گوند» عن خلق الناموس قصة أخرى، فتزعم أن ملكا حضر
لى كوخ ناسك يلتمس منه ولدا له يرثه فى الملك. فقال له الناسك مشيرا إلى

شجرة من أنبج «اذهب إليها وخذ أول ثمر يقع نظرك عليه. ثم تعطى الثمر زوجتك فاذا أكلته حملت لك ولدا». توجه الملك إلى الشجرة. ولكن لم يستطع الوصول إليها. لأن الساحرات الخبيثات كانت تحيط بها من كل جهة وتحرسها بيقظة تامة. فاما لما رأت الملك يقترب من الشجرة. حولت نفسها إلى ذباب لادغة وهاجمته بشدة متناهية. فهرب الملك إلى كوخ الناسك وأخبره بما وقع. غضب الناسك من وقاحة الساحرات، فأخذ قليلا من رماد النار الموقدة أمامه. ونفخ فيه ونثره نحو الساحرات. فتحولت ذرات الرماد إلى نواميس فتاكة. وأخذت تلسع الساحرات فى أطرافهن وأعينهن. وبينما هن مشغولات بهذه المصيبة التى لم تعرف من قبل. وجد الملك الفرصة. فقطف الثمرة المنشودة من الشجرة!

وهنالك خرافات أخرى تنسب خلق الناموس إلى الاله مباشرة. فتزعم قبيلة «بهترا» (Bhatra) فى ولاية اوريسا أن الاله «بربهو» كان يعمل يوما فى كوره. وتنتشر الشرار من مسبكه وتصيب جسده المتعرق فينحيها عنه. وهى تتحول إلى النواميس، فتحاول أن تلسعه. فيمسكها ويجمعها فى منفاخه. ولما فرغ من عمله رجع بها إلى بيته. وشعرت النواميس بجوع شديد فالتمست منه أن يتركها تذهب إلى ما شاءت، فرضى الاله مشترطا عليها أن لا تلسعه أبدا وتكتفى بمص الدم البشرى

وتشرح قبيلة «كوند» سبب خلق الناموس الأول شرحا ظريفا، فتزعم أ[نه] كان فى بداية خلق العالم أن الناس كانوا ينامون من مغرب الشمس إلى مطلع[ها] نوما عميقا هادئا لا يقلقهم شىء. فلما رأت ذلك الالهة «نرنتالى» (Nirantali) - وهى «أمنا الأرض الحنونة» — لم تستحسنه وقالت فى نفسها، إن هذه الراح[ة] المتناهية تحمل الناس على التيه والوقاحة، فيثورون عليها، فقررت خلق شىء يزعج[هم] عن مضاجعهم وينال من كرامتهم. وكان ذلك الشىء هو الناموس! أمرت الاله[ة] السرطان بأن يأتى لها قليلا من الوحل. فاخذت الوحل وعرضته للشمس ثلا[ثة]

أيام، ثم شكلته فى شكل الناموس، ألصقت به ساقين دقيقتين من الحشيش لتكونا له رجلين. وصنعت له من الشمع عينين، وأضافت إليــه ذنبا صغيرا دقيقا، جعلت فيـه وخزة مولمة، ووهبته جناحين من ورق الزهرة. فلما تجسد الناموس ودبت فيـه الحياة، قال للالهة «خلقتنى، ولم تجعلى فى جسـدى من الدم شيئا، فكيف أعيش ولا دم يغـذينى؟». فأجابتـه قائلة «وذلك لأنك تعيش على دم غيرك!». فأرسلته إلى الدنيا ليمتص دم الانسان والبهيمة!

ومن منا لا يعترف بأن الناموس قد أطاع الأمر «الالهى» أحسن طاعة!

وتزعم قبيلة «كول» أن «شنكرا» العـالم العارف الأشهر كان يدهن جسـده بالرماد وكل ما كان يتساقط منـــه، يتحول إلى الحشرات والثعابين، والعقارب، والذباب، والناموس.

﴿ خلق القرد ﴾

قالت نظرية النشوء والارتقاء أن الانسان ترقى من القرد، ولكن نظرية القبائل الهندية تزعم عكس ذلك. فتقول الخرافات عند قبيلة «لهوتاناكا» (Lhota Naga) أن بعض النـاس طولبوا بجلب خشب من دون أن يفـقدوا منهـا ورقـة، وذلك لاحراق قربان، ولما لم يتمكنوا من القيام بشرط مهمتهم، استحيوا وهربوا إلى الغابة. وفى الغابة وجدوا أنفسهم قرودا عوضا من البشر، فأخذوا يصرخون «كيون! كيون!!»، وعندما تبين للنسوة، زوجاتهم ما وقع لهم، وكن وضعن دقيق الرز فى قـدر كبير لصنع الجعة، دهنّ جباههن به واصبحن قردا صـارخات «ووكا! ووكا!!».

وتربط قبيلة «جنگ» (Juang) كذلك حكاية خلق القرود بالقربان، فتزعم ان رئيس الكهنة قرر إحراق غابة، لتصفو الأرض وتحرق عليها الأضحـية، فأتى

بالنار من بيته، ومن مدرسة الصبيان، ومن بيت عمدة القرية، ومن دار الساحر، ومن دار حارس القرية، ولم تقبل الغابة النار بحال فلم تشتعل. وقد تعب القرويون من هذا العمل الشاق، فجرحت أيديهم وتصبب العرق من وجوههم، فتحدث بعضهم بعضا قائلين «ويا ترى ماذا تقول زوجاتنا عما نحن فيه؟». فما كان منهم إلا أن ربط كل واحد منهم غصنا من الغابة على عجزه، وأخذ الجميع يصيحون «هوپ هوپ! هوپ هوپ!!» وذلك لتلهية زوجاتهم. ولكن الأغصان تحولت إلى الأذناب، والوسخ والعرق إلى الشعور. لقد أصبحوا قرودا. فدخلوا الغابة وبدأوا يعيشون على ثمارها!

وتقول الخرافة عند «گوند» أن رجلا منها تسلق شجرة «تار». ولما نزل وجد كفيه قد اسودتا، فمسح بهما وجهه فاسود كذلك. وكانت معه مدمة فربطها وراءه، ثم تسلق الشجرة كرة أخرى، ونادى امرأته لتأتى وتتفرج عليه، ولكن صوته تغير بمجرد رفعه وأصبح كصوت القرد. وتحولت المدمة إلى ذنب، فكان قردا فوق الشجرة!

وتزعم قبيلة «ساؤلما» أن أول قرد خلق من الانسان عندما وجد الاله شابا من القبيلة يفجر مع امرأة غيره. فاستشاط الاله غضبا، فجز جمته، وسود وجهه، وأنبت على جسده شعرا كثيفا، ثم وضع فى عنقه حبلا وربطه بجذع شجرة. وهنالك تحول الشاب فصار قردا! ومن ذلك الوقت استباحت القبيلة أكل لحم القرد.

وهنالك حكايات كثير عن القرود. فتقول واحدة منها أن قردا من القرود هو الذى منح الرجال اللحى والشوارب! وجاء فى حكاية أخرى أن الآلهة خلقت القرود لتكون عمالا لها فى هذا العالم، وذلك أنه لما كثرت البهائم على الأرض رأى «مهاپربهو» أن البهائم ليس لها من يدير شئونها، فخلق قردا أحمر، وسماه بـ «صاحب قرد» (كلمة «صاحب» يراد بها عامة فى مثل هذا الكلام، الأفرنجى)

جعله ملكا على الحيوانات كلها. ثم خلق قردا آخر بوجه أسود، وجعله شرطيا للقرد الملك. ثم خلق الكلب وجعله حارسا للغابات.

وتقول حكاية من هذه الحكايات أن عجز القرد إنما أحمر لأن إلها قبله فى دبره، وكان الاله يمضغ إذ ذاك التنبول. فانتقل احمرار التنبول من فم الاله إلى عجز القرد!!

وتزعم قبيلة «كوند» أن التزاوج بين القرود وبنات آدم كان شايعا فى عصر سالف، وتحرم القبيلة لحم القرد، لأنها تقول إن قردا تزوج أول أخت لها. وتسلسلت ذريته منها، فالقرود هم أبناء أخت القبيلة ولا يجوز أكل لحم الأقارب الأقربين!

ولا تقدس القبائل الهندية القرود كما يقدسها الهندوس، ولكنها كذلك تحترم النوع الأبيض منها، وذلك لتأثرها بالأساطير الهندوسية. وعلى رغم عدم تقديسها ترى القبائل فى القرود منافع سحرية. فتستعمل صورها وأشكالها لطرد العفاريت. وتزعم قبيلة من قبائل «ناكا» أن من يحلم فى نومه قردا، يحصد زرعا وافرا. وتقول قبيلة «آو» (Ao) إن الانسان تعلم دواء الجروح من القرد. وكذلك تزعم أن الانسان ما كان يعرف النار، حتى رأى القرود تشعلها، فسرقها منها. فغضبت القرود وآلت على نفسها أن لا تقترب من النار أبدا. وهذا الذى حمل القرود على أن توفر الشعر على أجسادها تقية من الحر والبرد!

﴿ خلق السرطان ﴾

السرطان محبوب لدى القبائل الهندية، فهم يأكلونه بشهية، ويستعملونه فى سحرهم، ويكثرون من ذكره فى حكاياتهم. فتزعم قبيلة «موريا» (Muria) أن فتاة من البشر عشقت سرطانا، وجدته لطيف المعاشرة، ظريفا، مجاملا، مجدا، وفيا. وقد كان هو بالحقيقة أميرا، تشكل بشكل السرطان!

وترى قبائل «هو» (Ho) و «سنتال» (Santal) السرطان، شجاعا فى العداء، وفيا فى الصداقة. وجاء فى خرافة عند «هو» أن سرطانة عشقت شابا من البشر، ولما توفى هو، وأخذوا يحرقون جثته، ألقت هى كذلك نفسها فى النار، فاحترقت معه وفاء لحبه!

ويعتبرون السرطان مؤمنا بالزواج الواحد ونموذجا فائقا للوفاء بالزوجة. وقد لاحظ هؤلاء الهمج كيف يشفق السرطان على زوجه ويحافظ عليها باليقظة المتناهية عندما تسلخ قشرتها القديمة. وكيف أن الجحر الواحد لا يعيش به إلا الزوجين فقط. وراما — البطل الأسطورى الخالد — الذى ولد، والشمس فى برج السرطان، لا يزال تضرب بعفته وطهر نفسه الأمثال. وتقول قبائل «مندالا» إن زواج السرطان كان أول زواج على الأرض. قلده الناس بعد ذلك فيما بينهم، وإن السرطان دعى الله أن يباركه فى الزواج، ولا يدعه يتزوج مرة أخرى، فاستجاب له ربه. فهو لا يتزوج إلا مرة واحدة فى حياته!

وأكل السرطان شائع فى الهند كلها. إلا أن الذين يتاجرون بالسرطان وغيره من الأصداف، يعتبرون من الطبقات الدنيا.

وكثير من القبائل تقدم السرطان كقربان إلى الآلهة، فقبيلة «يوراؤن» (Uraon) تحتفل بقلى السرطان عند زرع العدس، وتبتهل إلى الآلهة بأن تجعل قطانيه تزدهر وتلمع كازدهار أرجل السرطان ولمعانها فى النار.

وتحتفل قبيلة «رينگما ناگا» (Rengma Naga) بعيد الحصاد، فيخرجون رجالا ونساء يصطادون السرطان، ثم يأكلونه مع الحبوب الجديدة. وقبيلة «لهوتا ناگا» (Lhota Naga) إن لم تجد الدجاج أو الشاة، تقدم السرطان كقربان فى ضحية فدائية. وتتخذ قبيلة گوند فى بلاد مندالا، درقة السرطان كسراج فى عيد «ديوالى» (Diwali) إن كان هناك طفل مريض، فيدورون بالسراج حول

المريض، ثم يحملون السراج إلى مفرق الطرق لتبديد المرض! وتضع هذه القبيلة، السرج السرطانية داخل زرعهم فى العيد نفسه، متوهمين أنها تنمى الزرع وتبارك فى الحصاد. وهم كذلك يعلقون فك السرطان بعنق الطفل ويزعمون أن ذلك يساعد فى نبت الأسنان ويقويها!

وكثيرا ما يستعملون السرطان فى السحر الجالب للأمطار. فقبيلة «لهوتا ناكا» تعلق السرطان بشجرة وتتركه يموت ويجف، ويزعم أن هذا العمل يوجب الأمطار. وإذا اشتد الجدب، عمدت قبيلة گوند إلى سرطان وضفدع، فعلقتهما معا بساق القصب. زاعمة أن السرطان إذا ربط مع الضفدع، يصرخ ويتضرع إلى إله المطر بأن يرسل الغيث ليتخلص من مصاحبة رفيقه البغيض!

والسحرة من قبيلة «پردهان» يستعملون السرطان فى رقية لدغ الحية، ويرفعون أصواتهم قائلين «أيها السم. إن السرطان ذا الأرجل الثمانية، والعنكبوت ذا الأرجل التسعة. والفتى من قبيلة پوتا. كل هؤلاء يأمرونك بأن تغادر مكانك حالا، وإلا حلت بك نقمة الآلهة!»

ويزعمون أن الساحر إن تمكن من الحصول على عظم صغير من جمجمة فتاة ماتت عذراء، ووضعه مع الزيت فى قشرة السرطان، واتخذه سراجا وهو يضحى بديك أسود. فسحره ضد العدو ناجح لا يمكن مقاومته.

أما كيفية خلق السرطان. فتزعم قبيلة «بهنجيا» (Bhunjia) بأنه كان فى عصر من العصور فخار محتال خبيث، أعجز الناس بخداعه. فتآمروا عليه وقتلوه وألقوا جثته فى النهر قائلين «الآن اصنع أوانيك فى الماء، وجرب خداعك مع الأسماك والتماسيح!» فتحول الفخار إلى سرطان. وبهذا يعللون دهاء السرطان وخوفه من الانسان!

وتقول قبيلة «ساؤرا» بأن الله خلق السرطان لتبقى مياه الأرض نقية صافية وتقول خرافة أخرى بأن الاله خلق النمر والسرطان بعد أن فرغ من الخلق كله وقد أراد الاله عندما سوى النمر أن يزين جبهته . فقطع خشبا من شجرة «كُسُم» واتخذ منها صبغة لمآربه . إلا أن قطعة منه ، لا يجاوز طولها أربعة بوصات بقيت غير مستعملة . واتفق أن الاله بينما كان ينظف مصنعه ، غرست القطعة فى قدمه فأدمته . وقد احتد الاله غضبا من الحادث ، فرمى القطعة فى النهر فتحولت إلى شكل السرطان . رأى الاله ذلك فقال للسرطان «عش فى الماء فأنت النمر فى الأنهار» ، ولذلك سمى السرطان فى لغة القبيلة بـ «نمر الماء» .

وتزعم قبيلة «گوند» أن السرطان كان له خرطوم فى القديم ، ولكن «مهاديو» (الاله الكبير) لما قطع رأس الاله «گنيش» (Ganesh) خطر له أن يعوضه برأس آخر . فقطع رأس السرطان ووهبه إياه . ومن ذلك الوقت أصبح السرطان بدون رأس !

أما مخالب السرطان ، فزعمت هذه القبيلة أن امرأة من أسرة «بائيجا» قبضت على سرطان وأرادت أن تأكله . ولكن السرطان رجى منها أن تبقى على حياته وتستخدمه فى بيتها . وقد وجدت المرأة السرطان خير خادم لا يعصيها أمرا ويقوم بواجباته أحسن القيام . حتى آن آوان الحصاد ، فركبت المرأة سكينين فى جسده وأمرته بأن يحصد الزرع مع الحاصدين . ومن هذا اليوم ملك السرطان مخالبه !

خلق العقرب

إن أشر ما فى العقرب ، هو إبرته اللاسعة . وهنالك خرافة عند قبيلة «بوندو» (Bondo) عن خلق العقرب ، تقول إن الاله الأكبر لما فرغ من خلق الأفاعى ، وجد أن لدغها لا يؤلم الألم المطلوب . ففكر فى خلق شىء آخر يؤلم غاية الألم .

أما كيفية خلق ذلك الشيء فممتع. زعموا أن الاله أخذ سرطانا شابا، فقلبه على ظهره، وركب فى نهايته ريشة من عشب سام لتكون له ذنبا. ثم جاء بخمس حيات وقلع أنيابها وجمع سمها. فركب من الأنياب أربعا فى بطنه وجعل الخامس فى ذنبه، ثم ملأ السرطان بنوع من السم، لا يقتل ولكن يؤلم أشد الألم. ثم أخذه الاله إلى قرية ووضعه تحت حجر قائلا له «كل من يجلس على الحجر فالسعه. ولسعتك ستؤلمه ألما لم يعرفه قبل. فانى منحتك قوة خمس حيات!»

وتقرن قبيلة «بهترا» (Bhattra) إبرة العقرب بالنار، فتزعم أن رجلا منها زرع تبغا كثيرا، فلم يكن له عمل بعد ذلك إلا أن يدخن غليونه طول النهار حتى أن زوجته كانت تدعوه مرارا وتكرارا للمائدة، فلا يبالى بها ولا بأكله. واتفق يوما أن أحرق غليونه فاه. فاستشاط غيظا ورما به بعيدا عن نفسه. وعاد فى اليوم الثانى لينظر إلى ذلك الغليون، فوجده قد أصبح عقربا وهجم عليه. فما كان من الرجل إلا أن هرب، وهو يصيح بأعلى صوته «لا يقربن أحد من هذا المخلوق، فانه يؤلم كألم النار، لأنه خرج من النار!»

وقد نسبوا خلق معظم الحيوانات السامة إلى الاله «مهاديو» فزعموا أن هذا الاله خلق العقرب ليعاقب رجلا متكبرا من قبيلة «گوند» أهان صنمه! وجاء فى خرافة أخرى أن الاله خلق العقرب ليكون قرطا فى أذن الالهة «پروتى» كما خلق الدبور ليلوّن حلية أنفها. والثعابين لتكون لرجليها أسوارا وخلاخل، والضفدع ليزين جبهتها!

وتقول خرافة عند «گوند» إن خلق العقرب إنما كان كخلق الناموس للجمع بين زوجين! وذلك أن رجلا من القبيلة نازع زوجته وضربها، فهجرته وذهبت إلى بيت أمها وهى تحلف بأن لا ترى وجهه البشع إلى آخر الدهر! وكان الرجل من الأطباء والساحرين، وقد زين جدران بيته برسوم سحرية تجلب رضاء الآلهة.

فلما اشتد شوقه إلى حليلته. عمد إلى طين وصنع منه تمثالا صغيرا ثم أمره أن يذهب إلى زوجته الغاضبة ويعود بها ضاحكة أو باكية. فما كان من التمثال إلا أن انقلب عقربا فى طريقه. وأخذ يطارد المرأة حتى تمكن منها فلسعها، فأخذت تولول وتجرى إلى زوجها تائبة مستغيثة، فأزال ألمها بسحره، وأمر العقرب بأن يعيش فى الغابة. إذ قد يحتاج إليه مرة أخرى لمعاقبة زوجته الشرسة!

وتزعم قبيلة «ساؤرا» أنه كانت فى عصر من العصور فتاة حرمت من الجمال، فعاشت طول عمرها فى حزن وأسى. فلما توفيت بعد أن بلغت الشيخوخة، ذهبت إلى الاله الأكبر باكية منتحبة. وقالت له «رب! لا ألتمس منك شيئا. إلا أن تجعلنى أسبب الدموع من الرجال كما أنهم جعلونى أسبك دموعى طول حياتى!» فاستجاب لها ربها، وأعادها إلى العالم بعد أن جعلها عقربا. فانتقمت ولاتزال تنتقم من الرجال!

وخرافة قبيلة «بهترا» تشبه هذه الخرافة. فتقول إن رجلا كان له زوجات ثلاثة. وكان الرجل فظا قاسيا. يضربهن كل يوم. فلما توفيت زوجته الأولى، توجهت إلى «مهاپربهو» متضرعة «يا رب! بما أنى لم أر من زوجى إلا ما أكره وأبغض. فكان يضربنى، ويشتمنى. ويجوعنى ويوقفنى على الباب فى الليالى الباردة أرتعد، ويؤثر على غيرى بحبه. فمكنى منه أوذيه كما آذانى!» فقال لها الاله «لقد أوتيت سؤلك. ارجعى إلى الدنيا. فقد جعلتك عقربا لتنتقم من زوجك القاسى!». فليس العقرب إلا زوجة ذلك الرجل النحس!

التبغ

أعلن «شارلس لمب» قبيل موته، لو كان أمرى بيدى، لجعلت آخر تنفسى بغليونى! ولا شك أن القبائل الهندية تؤيده فى قوله كل تائيد. وقد صرح سجين من هذه القبائل قائلا «أصبر عن الخبز خمسة أيام، ولا صبر لى عن التبغ خمس

دقائق!» وأبناء هذه القبائل يهتمون بتزئين محافظ تبغهم غاية الاهتمام، وكذلك يزينون غليونهم بالرسوم البشرية والحيوانية.

وقد قال شاعر من جنوب الهند: «سأل مرة الاله إندرا، وهو يحاور الاله برهما (الخالق) 'أخبرنى بأحسن ما فى العالم؟' فأجابه برهما برؤسه الأربعة 'هو تباكو، و پوكاكو، هوجيسوپو، وتوبكوا'» أى التبغ (التمباك) فى اللغات الهندية، وتيلكو، وكنارى، وتاميل! وهذا هو قول القبائل الهندية كذلك.

أما كيف اكتشف التبغ؟ فلم تعرف ولا تعرف القبائل الهندية أمريكا وما كان شأن التبغ فيها، وهى تزعم أن التبغ أصله من الهند. فتقول خرافة إن رجلا من قبيلة گداباس (Gadabas) كان يملك شاة. واتفق للشاة ان أكلت أوراق التبغ، فلما حلبها الرجل وشرب حليبها، شعر بسكر لذيذ جديد لم يعرفه قبل، فعرف الناس هذا النبات وأغرموا به!

وتقول قبيلة «جوانگ» إن رقاصا فى حفلة الرقص، تعب تعبا شديدا، فخرج إلى الخلاء واستلقى على الأرض يستريح. وبينما هو كذلك، وقع نظره على عشب غريب لم يره سابقا، فأخذ ورقة منه ومضغه. فوجد أحساسا عجيبا فى نفسه، فأخبر الناس باكتشافه فولعوا بالعشب الجديد!

وقالت قبيلة «گوند» إن طعام وليمة طبخ على النار من حطب التبغ، فاختلط دخانه بالطعام فسكر المدعوون وعرفوا فضل هذا السكر الجديد!

وجاء فى خرافة أن رجلا مرض مرضا شديدا أعيى الأطباء، فأخبره الاله فى الحلم أن شفاءه من دائه فى التبغ!

وتزعم قبيلة «مورا» أن الناس قديما كانوا يقدمون لضيوفهم الرز، حتى ضجر الرز من ذلك، ورأى فيه هلاكه، فخرج يجرى ليهرب من العالم، إلا أن

التبغ برز من أعماق الأرض وجرى وراء الرز وهو يصيح بأعلى صوته «مهلا أيها الصديق. مهلا! اسمع كلامى ثم لك أن تفعل ما تشاء. ها إنى قد برزت للعيان. وإذا رآنى الانسان. أغرم بى. ولا يأكلونك إلا بعد أن يشبعوا منى!» فلما رأى الرز صدق كلام التبغ. رضى بالبقاء فى العالم. ولو لا التبغ لذهب الرز إلى الأبد!

وقالت قبيلة «أوجها» (Ojha) لما اخترع المحراث. أخذ الناس يحرثون الأرض طول النهار من دون أن يستريحوا ويريحوا ثيرانهم. لأنه لم يكن هنالك شيء يلهيهم عن الشغل. فرأى ذلك الاله «بربهو» فأشفق على البهائم، فنزل إلى الأرض وقطع أذنين من آذان الثيران — وكان للثور إذ ذاك آذان أربعة — ورمى بها الأرض. فنبتتا وكانتا شجرتين من التبغ. ثم علم الاله الناس التدخين. فكان بعد ذلك أن الناس يتركون شغلهم بعد كل هنيهة يدخنون، فتستريح ثيرانهم كذلك!

وجاء فى خرافة. وقع نزاع يوما بين «راما» وأخيه «بهيما»، فآلى كل منهم أن لا يكلم الآخر. فلما طال هجرانهم وعجز الاله عن إصلاح ذات البين، عمد إلى طريقة عجيبة. وذلك أن الأخوين كانا من المدمنين على التدخين، فقلع الاله جميع أشجار التبغ من حديقة راما، فلم يبق عنده ما يدخنه، ولكنه ع رغم ذلك، لم يكلم أخاه وصبر عن التدخين. فأمر الاله بهيما أن يخرج من ب ويتمشى أمام بيت راما مدخنا غليونه. فلما رأى راما ذلك، وهنت عزيمته فر من أخيه أن يشركه فى التدخين!

وهنالك خرافة تقول بأن التبغ أصله من فتاة لم يحبه أحد من البشر. فزعم قبيلة «گداباس» (Gadabas) أنه وجد ملك عظيم، ولدت له بنت لم يخلق الله أ أقبح منها شكلا، فلما شبت، جهد الملك كل الجهد لأن يجد لها بعلا، ول

لم ينجح فى مسعاه، وعاشت الفتاة وحيدة، محزونة. ولما ماتت، التمست من الله قائلة «لم أنل طول حياتى حبا، فاجعلنى إذا أنا مت شيئا يحبه سائر الناس، ولا يصبرون عنه فى حال من الأحوال!» وعلى ذلك أخذ الله كسرة من عظمها وغرسها فى الأرض وقال لها «كونى تبغا، والناس يحبونك كما يحبون زوجاتهم سواء بسواء!»

كتاب كرشنا – گيتا Gita

إن الكتب المقدسة عند الهندوس يجاوز عددها المئات ويصل إلى الألوف، ولا عجب فان الشعب الهندى. شعب غارق فى القدم، وفلسفته الأخلاقية من أقدم الفلسفات. وما لا ريب فيه أن كتاب «ريگ‌ويدا» (Rigveda) أقدم الكتب الهندوسية بل أقدم كتاب للجنس الآرى على الاطلاق.

وقد أصبح «ريگ‌ويدا» عسير الفهم لقدمه وغرابة لغته. فألفت كتب كثيرة لشرحه وتفسيره. صعب فهمها كذلك على الناس لبعد عهدها، وثقل عليهم تداولها لضخامتها.

وقد جاء بعد هذه الكتب العتيقة كتاب «گيتا» لسرى كرشنا. فأقبل عليه الناس لسهولته لغة وأسلوبا، ولما حواه من حسن المعنى وجمال المغزى، يحفظونه، ويدرسونه، ويرونه خير مرشد لحياتهم الأخلاقية والاجتماعية والدينية. وقد أعجب به القوم إعجابا حتى قالوا إن لب سائر الكتب المقدسة السابقة يوجد فيه، «فان كانت تلك الكتب بقرة، فگيتا حليب هذه البقرة!».

وگيتا ليس كتابا بذاته، بل إنما هو جزء من الملحمة الكبرى «مهابهارتا» (Mahabharata) التى تصف الحرب الطاحنة التى وقعت فى زمن ٩٥٠ ق.م. على ما قاله أكثر المؤرخين، بين حزبين من أمراء الأسرة الملكية الواحدة. اشترك فيها جميع ملوك الهند وأمرائها، يؤيد بعضهم هذا الحزب والبعض الآخر ذلك الحزب، وكذلك فعل سرى كرشنا – وهو من أكبر أبطال الهندوس المقدسين – فانحاز إلى الحزب الذى تزعمه البطل «أرجنا».

وقد اختلف الباحثون فيما إذا كان الكتاب كله لكرشنا أو بعضه وفى كيفية وزمن تأليفه اختلافا شديدا. وهو لا يعنينا هنا، وحسبنا أنه الكتاب الذى اهتم به الهندوس من القديم ولا يزالون يهتمون به اهتماما لا مزيد عليه. وقد فسره وشرحه أفاضل كثيرون، من بينهم المهاتما غاندى نفسه.

والكتاب مهم من الوجهة التاريخية والثقافية أيضا. فهو يقدم لنا صورة الهيئة الاجتماعية الهندية فى ذلك العصر، فنعلم منه ما كان عليه الشعب من المعتقدات الدينية والعوائد الاجتماعية والأفكار الفلسفية، ووجهة نظره العامة فى الحياة وما بعد الممات. فهو يخبرنا أن الناس ضلوا عن سواء السبيل ووقعوا فريسة باردة للتقاليد والأوهام، فتركوا لب الدين وتمسكوا بقشوره. كانوا يتشدقون بألفاظ ويدا، ويعملون بظواهرها، فيقيمون الطقوس والعبادات الرسمية، وهم مع اعتقادهم بوحدة الله يعبدون آلهة أخرى، وليس هذا فحسب، بل يعبدون أسلافهم وكذلك العفاريت، ويتطيرون ويعتقدون بالفأل. وكان يوجد أناس ينعون على متبعى الظواهر، ولكنهم كذلك غلوا فى مذهبهم فأنكروا العبادات والظواهر على الاطلاق، زاعمين أنهم أخذوا باللب، وكانوا كذلك مقلدين جامدين. وأناس يرون فى الرهبانية والتجرد من الدنيا، النجاة، فيهجرون الكسب ويعيشون عالة على الناس.

وكان أرجنا زعيم أحد الحزبين المتحاربين متأثرا بأحوال بيئته، مؤمنا بمعتقدات عصره، وخاضعا للأفكار الشائعة. فلما اصطفت الصفوف، ودقت الطبول، وآن أوان القتال، تلجلج فى مباشرته، وجرى بينه وبين «كرشنا» حوار، وعظه كرشنا، وحثه على القتال. وكتاب گيتا اشتمل على هذا الحوار والموعظة فى ساحة الحرب.

* * *

قال أرجنا لكرشنا، وهو واقف بين الصفين، ينظر إلى الذين جاءوا لمحاربته:

«سيدى! أرى أمامى أقاربى الأقرباء وأصدقائى القدماء. ففيهم الأخ وابن الأخ، الخال وابن الخال، والعم وابن العم. فيهم الأبناء والأحفاد، وفيهم الشيوخ الذين نشأت على تبجيلهم. أراهم أمامى. وقلبى يرتعد، ويدى ترتعش، وأشعر حلقومى كأنه قد جف. هل يليق بى أن أحارب هؤلاء الأحباء الأعزاء، والأسلاف الأجلاء؟ كلا. لأنى إن حاربتهم، أحرم من راحة البال أبدا. إن حياة الذل والفقر خير من النصر الذى أناله بقتلهم. أجل. لا يحل لى قتالهم. وأنهم لو قتلونى، فانى لا أرضى برفع يدى عليهم. لا ريب إنهم ظالمون. ومع ذلك لا يطاوعنى قلبى فى قتالهم. ثم إنى إن حاربتهم، فنيت أسرتنا العريقة فى المجد بأسرها. وبفنائها تفنى سائر عوائدها وتقاليدها. وإذا ذهبت العوائد والتقاليد. فما الذى يمنع البقية الباقية من الرجال، ولا سيما النساء من الضلال والغواية؟ فينتشر الشر وتعم الفتنة فى النساء. وبفساد النساء تختلط الأنساب. وترتفع فروق المراتب البشرية. إن هذا لشر مستطير. وهو ما ينتج من هذه الحرب وسفك الدماء. فالذين يتحاربون ويسببون هذا الفساد. لا بد من أن يجازوا بالجحيم. وليس هؤلاء وحدهم الذين يصلون بالنار، بل يدخلها أسلافهم كذلك. لأنهم يفقدون أخلافهم الذين عليهم أن يقدموا لأرواحهم ما يجلب لها الراحة والسعادة. هكذا تفنى الرسوم والعوائد، وهكذا يذهب الدين فيصير نسيا منسيا. ونحن ما زلنا نسمع أن الذين كانت حالتهم هذه، يدخلون الجحيم الأبدى، ولذلك مباشرتنا الحرب، إثم ليس فوقه إثم!»

هكذا يبتدأ الكتاب، ويقول إن كرشنا أجابه قائلا:

«إن خورك. يا أرجنا! فى هذه الساعة الرهيبة، لعار ليس فوقه عار. وأنت لن تجد بعده راحة البال طول حياتك. وسيكون ذلك وسمة سوداء على

جبينك لا يمحوها الدهر أبدا. أيها البطل الشجاع ! ما هذا الجبن الذى لا يليق برجل مثلك. وطد نفسك على الحرب وسر إلى النصر الذى ينتظرك ! »

فقال له أرجنا :

« كيف يحل لى أن أحاربهم وأنا أرى فيهم أساتذتى ، وأعمامى ، وأخوالى الذين يجب على احترامهم ؟ أ ليس حياة التسول خير من الملك الذى أناله بقتلهم ؟ »

تبسم كرشنا من قول أرجنا وقال له :

« تتكلم بكلام العقلاء. ثم أراك تهتم بما لا يهتم به العقلاء ! أ لا تعلم أن العاقل فى مثل هذا الموقف لا يبالى بالحياة ومصيرها. هل تظن إنى أنا، وأنت، وجميع هؤلاء الملوك، وسائر هؤلاء الناس، وجدوا بعد أن لم يكونوا شيئا ؟ هذا ما لا يقوله عاقل. لا يمكن وجود شىء من لا شىء. كل من هو موجود الآن، وجد من قبل، وسيبقى موجودا دائما. وكما ترى الحياة تطرأ عليها الطفولة، والشباب، والشيخوخة، كذلك ينتقل الروح من جسد إلى جسد آخر. وهذا التنقل هو الذى تسميه بالموت. ولكن العقلاء لا يزعجهم اسم الموت.

« يا أرجنا ! إن الألم واللذة، مناطهما بالمشاعر التى مآلها إلى الفناء، فلا ينبغى لك أن تقيم لها وزنا. والذى ارتفع فوق الألم واللذة فهو الذى ينال السعادة الدائمة والنجاة الأبدية. لا يمكن أن ينعدم ما هو موجود ولا يمكن وجود شىء من العدم. عليك بهذه المعرفة.

« يا أرجنا ! يفنى الجسم ولا فناء للروح. ليس له بداية ولا نهاية، فعليك يا أشجع الشجعان، أن تبعد الأفكار الباطلة عن نفسك وتأهب للقتال، لأن واجبك هذه الساعة هو القتال !

« عليك أن تعلم أن الروح لا يَقتل ولا يقتل. إنه ليس بأمر حادث، بل

قديم، أزلى، أبدى، لا يتغير ولا يتبدل، ولا يموت بموت الجسد. فالذى يرى الروح خالدا فهو يعلم كذلك أنه لا يقتل أحدا ولا يقتله أحد. وكما يبدل الانسان لباسه، كذلك الروح يغير قشرته، فينتقل من جسد إلى جسد.

«أكرر لك يا أرجنا، إن الروح لا يموت ولا يزول. إنه خالد. لا النار تحرقه، ولا الماء يفسده، ولا السلاح يقطعه. هو دائما على حالة واحدة، لا يقبل التغير والتبدل. وإن كنت فى ريب مما أقول، وترى الروح كالأجسام يموت ويولد، فالحرى أن لا تتأخر عن الحرب. لأن الذى ولد، لا بد من أن يموت، والذى مات، لا بد من أن يولد مرة أخرى. فان كان هذا مقدارا لا مناص منه، فلمَ هذا التردد منك؟ إن هؤلاء الذين تراهم، لم يكونوا فى الماضى، ولا يكونون فى المستقبل. إنهم أبناء الحال لا غير، فلمَ تبكى لهم وتهتم بهم؟ إن الحياة سر، تحيرت منه الألباب. فالبعض يراه بحيرة، والآخر يذكره بحيرة، وغيره يسمعه بحيرة، ولكن لا يفهمه أحد.

«ثم إن تأخرك عن الحرب، يا أرجنا! خلاف لواجبك كرجل من كشترى (طبقة المحاربين). إن القدر قد ساق إليك هذه الحرب التى ليست إلا بابا للجنة. والسعيد من تسنح له فرصة كهذه. وأنت إن ضيعتها، تبوء بإثمك، ويعيرك الناس بالجبن. يظن المحاربون أنك قعدت عن الحرب خوفا وجبنا، فتسقط من الأعين التى ما زالت تبجلك. تفكر أى أسى تكون فوق هذا الأسى؟ وهل هناك عار على الرجل أكبر من أن يقال إنه جبان؟ وأنت إن قتلت، دخلت الجنة. وإن عشت، فزت بملك عظيم. فوطد نفسك على القتال، وباشره غير مبال بالعاقبة!»

ثم قال كرشنا:

لقد أضلت كلمات ويدا عقلك، فصرت لا تفهم قيمة الفرض و

يقبعه من الواجبات. والذين يتمسكون بألفاظ ويدا وحدها ويرونها كل شيء، فقد ركبوا شططا. إنهم إنما يجرون وراء أهوائهم النفسية. يمنون أنفسهم بالجنة، لأنهم حريصون على لذائذ الحياة، فيقومون بطقوس يرونها تضمن لهم الجنة، ولذلك تبلبلت عقولهم، وتشعبت سبلهم، وضلت أعمالهم. فهم فى حيرة وارتباك، يجرون وراء شهواتهم، ولا يستطيعون حصر أفكارهم فى نقطة واحدة.

«أما أنت. فكن فوق القشور الويدية. لا تقلقك أفكار الراحة أو التعب، النجاح أو الخيبة، بل كن مطمئنا منشرحا فى روحك، والعاقل الذى وصل إلى الحقيقة، ليست الكتب الويدية له إلا كبئر فى مكان ذى أنهار، فعليك أن تقوم بواجبك، لأنه واجب عليك، واجمع عقلك على هذه النقطة وحدها . . . ».

سأل أرجنا، كيف للمرء أن يجمع عقله؟ فأجابه كرشنا قائلا:

«إن الذى تغلب على أهوائه النفسية، وملك حواسه كلها، فهو لا يخاف شيئا، ولا يطمع فى شيء، ولا يحب أحدا، ولا يكره أحدا. فهو الذى نال العقل المستقيم. إن الحواس تتبع ميولها، فعلى المرء أن يجذب إلى قبضته حواسه عن مشتهياتها كما تجذب السلحفاة أطرافها إلى بطنها. أجل، إن النفس لطاغية جامحة. إلا أنه يجب السعى لضبطها وتحويلها إلى الله. فالذى لا علاقة له بشيء، ولا يخاف شيئا، ولا يطمع فى شيء، وحواسه تحت أمره، فهو المطمئن حقا، وإن كان يقوم بأعمال الدنيا كغيره من الناس. إنما العمل الحقيق، هو التحرر من سلطة النفس، فمن تحرر منها، فقد فاز بالطمأنينة الحقيقية، واهتدى إلى الله، وفاز بالنجاة».

فقال أرجنا «إن كانت النجاة لا سبيل إليها إلا بالتغلب على الحواس وقهر النفس، فلمَ ذا نهتم بأمور الناس؟»

فأجابه كرشنا قائلا :

«إن الذى يتجرد من الدنيا بترك واجبه، لا يصل إلى الكمال أبدا. والأعمال التى تأمر الانسان، هى التى يقوم بها لارضاء نفسه. لا لأجل المصلحة العامة. فعلى المرء أن يجعل سائر أعماله خالية، منزهة من أهواء النفس. وما عاشت هذه الدنيا إلا بمثل هذه الأعمال النبيلة النزيهة. والذى يطبخ الطعام ليأكله وحده، لآثم. وإذا أكل فلا يأكل إلا إثمه. والذى لا يهتم بمصلحة غيره فهو سارق. والذى يحيى لارضاء حواسه، فحياته كلها إثم. ليس لأحد أن يسخر غيره لاشباع ميوله. وإنما الطريق إلى الله أن تكون الأعمال كلها خالصة له ولنفع خلقه. ترغب الحواس فى بعض الأشياء، وتنفر من بعضها. فلا ينبغى للمرء أن يطيع حواسه فى رغبتها ونفرتها. إذ الرغبة والنفرة هما العدوان اللدودان للانسان. على المرء أن يعمل دائما ما هو واجب عليه. حتى ولو لقى حتفه فى سبيل واجبه.

«اعلم أن أشد أعداء الانسان، اثنان: الشهوة والغضب. وهما اللذان يدفعانه إلى الذنوب. وكما يغطى الدخان النار، ويكدر الغبار صفاء المراية، كذلك الشهوة والغضب يغطيان عقل الانسان. فعلى الانسان أن يقتل هذين العدوين. الحواس لطيفة، وألطف منها النفس: وألطف من النفس، العقل؛ وألطف من العقل، الروح. فالروح هو كل شىء. فعليك أن تفهم هذا، وتتغلب على حواسك، وتقهر شهواتك، وتتقدم إلى الروح. هذا هو الدين الحق. الدين القويم الذى نسيه الناس، فأخذوا يتخبطون فى بيداء الروايات والتقاليد الباردة».

ثم قال :

«وعند ما يضل الناس الصراط المستقيم، وتتغلب عليهم الأهواء فينسو

فريضتهم الانسانية، ويهجرون الدين القويم، يرسل الله أصفياءه، أصحاب الأرواح الطاهرة لهداية الناس.

«والذين تحرروا من هواء النفس. والغضب، والخوف، وتوجهوا إلى الله، وابتغوا رضوانه، فانهم ينالون المعرفة الحقة، ويفنون فى الخالق.

«ليست النجاة منوطة بعوائد وتقاليد قديمة أو حديثة. بل إنما ينالها الانسان إذا طهر نفسه، وتحرر من الرغبة والرهبة، ووقف حياته على مرضات الله. ولا يخدعنك اختلاف الشرائع وتعدد الطقوس، فان الله يقول، أى طريق يسلكه عبدى إلى، فانه يجدنى فيه. وكما يصل الواقفون على الدائرة المدورة إلى وسطها من طرق شتى. كذلك يصل السالكون إلى الله وإن اختلفت مسالكهم، وتعددت مذاهبهم، فعلى العاقل أن لا يزعج بال قليلى العقول بتقبيح مذاهبهم إن كانوا مسددين فى أعمالهم، محسنين فى سلوكهم، بل يتركهم على خيرهم ولا يشككهم».

أما الطبقات الاجتماعية الهندية الأربعة، وهى: «برهمن» (أهل العلم والارشاد) و«كشترى» (أهل الحرب والحكم) و «ويش» (أهل التجارة والحرفة) و «شودر» (أهل الخدمة والمهن الدنيا) فقال كرشنا عنها:

«ليس لانسان أن يقرر هذه الفروق بين الناس، ولا هى خلقية طبيعية، وإنما خلق الناس على طبائع أربعة، كل طبع يميل إلى صنف من العمل ويصلح له. واختلاف الطبائع هذا طبيعى جبلى. فعلى كل واحد من الناس أن يشتغل بالعمل الذى يميل إليه ويصلح له بطبعه. فمن قام بعمله، وهو يبتغى به رضوان ربه، فهو يصل إلى الكمال ويفوز بالنجاة».

وقال:

«إن الذى لا يقصد بعمله نفعه الشخصى، فهو العارف الذى غلب على

نفسه ونبذ الأنانية. والذى لا يحسد أحداً ، ويؤثر مصلحة الآخرين على نفسه ، ويخص عمله كله لله . فقد تحرر من قيود الدنيا. على الانسان أن يرى فى كل شىء صنعة الله وقدرته ، ويومن بكل قلبه أن الله هو الحق الأبدى الذى لا يزول . وكل ما سواه فهو باطل وسائر إلى الزوال والفناء. فمن آمن بكل هذا واعتقد أن كل شىء راجع إليه تعالى، فهو العابد حقا. يقوم الناس بعبادات شتى ذكرت فى ويدا ، ولكن رأس العبادة هو « العرفان » الذى لا ينخدع بعده العابد بالظواهر . وعماد ذلك العرفان أن يرى الانسان المجتمع البشرى فى داخله . ويرى الكل فى الله ، ويرى الله فى كل شىء.

« لا شىء يطهر الانسان أكثر من هذا العرفان . والعارف يدرك بالتدريج أن الله معه وفيه . وعلى ذلك أكبر ما يحتاج إليه الانسان فى سلوكه إلى الكمال ، هو الايمان وقهر النفس » .

وسأل أرجنا مرة أخرى « ما هو خير للانسان : التجرد من الدنيا ومراقبة النفس ، أو تطهير النفس مع التعلق بأمور الدنيا ؟ »

فأجابه كرشنا قائلا :

« إن الذى يفرقون بين الطريقتين ، أطفال لا يعقلون . أما العالم العاقل ، فلا يفرق بينهما . والانسان يصل إلى الكمال ، أى طريق سلكه إن قام بشروطه حق القيام . والذى يرى الطريقتين موصلة إلى المقصود فهو المصيب .

« والناسك الحق هو الذى لا يبغض أحدا ، ولا يشتهى شيئا ، ولا يرى غير الله شيئا . إنه يجرى وراء واجبه دائما . طهر قلبه وتغلب على حواسه ، فنفسه فى قبضة يده ، لا تنازعه ولا تحيد به عن الصواب ، وهو يرى جميع الأرواح كروحه ، ولا يفرق بينهما ، ولا يقصد بعمله إلا وجه تعالى وحده

«فالذى يقوم بواجبه كما قلت ، يبزغ نور العرفان فى داخله كما تبزغ الشمس فى السماء ، فيرى ربه بعين قلبه ، ويسعد بالنجاة بعد أن تذهب ذنوبه وتحل محلها الحسنات.

«والعالم الحق ، هو الذى يرى العالم البرهمى المتواضع ، والبقرة ، والفيل ، والكلب ، والمنبوذين بعين واحدة ، لأن خالقهم جميعا واحد ، فمن استقام عقله فى هذه التسوية بين الخلق ، فقد فاز بكل شىء فى الدنيا. وذلك لأن الربوبية تشمل جميع الخلق ، فمن أدرك الربوبية فقد أدرك الله.

«واللذائذ الحسية ، عاقبتها الألم والحزن ، فلا يجرى العاقل وراءها. والذى ملك حواسه ونفسه فى هذه الحياة ، فهو الناسك حقا ، وهو الذى فاز بنعمة راحة البال. إنه يجد الطمانينة ، والراحة ، والنور فى روحه ، ويصل إلى النجاة بفنائه فى الخالق. ولا يسعد بهذا إلا من نسى نفسه ، وقهر هواه ، ولا يزال فى عمل مستمر لمصلحة الناس عامة.

«وليس الناسك من يتشبث بظواهر النسك وحدها ، فلا يمس النار ، ويفعل هذا ولا يفعل ذلك كالمتنطعين. إنما النسك كيفية قلبية ، لا هيئة خارجية. فالذى لا يبالى بالعواقب فى أداء واجبه ، فهو الناسك الصادق. والذى يتخلى عن واجباته فى الدنيا ، فهو ليس من النسك فى شىء.

«ليس للانسان صديق إلا هو نفسه ، وليس له عدو إلا هو نفسه. ومن تغلب على نفسه فهو صديق نفسه ، ومن قهرته نفسه ، فهو عدو نفسه. فمن غلب نفسه ولا يبالى بالحر والبرد ، بالراحة والألم ، بالسراء والضراء فهو صاحب الروح الأكبر. ومن يرى الصديق ، والعدو ، القريب والبعيد ، السعيد والشقى بعين واحدة فهو المهتدى.

«ليست النجاة للذين افتتنوا بالدنيا. ولا للذين هجروا الدنيا فارين من واجباتهم، بل هي للذين يلزمون الطريقة الوسطى. فلا يفرّطون ولا يفرطون فى مأكلهم، ومشربهم، وملبسهم، ومسكنهم. إنهم وسط فى كل شىء، فيستريحون كما ينبغى وينصبون كما ينبغى.

«والناسك الحق هو الذى يرى وجوده فى وجود الآخرين، ووجودهم فى وجوده. وهو الذى لا يفرق بينه وبينهم، بل يدرك الله فى الجميع ويدرك الجميع فى الله. فمن كان هكذا، فعلاقته بالله وثيقة لا انقطاع لها. فالذى يحمد الله فى خلقه وينسى نفسه، فهو مع الله أينما كان وحيثما كان. ومن يرى سعادة الآخرين وشقاءهم، سعادته وشقاءه فهو حبيب الله حقا».

وسأل أرجنا «أليس قهر النفس الأمارة، كما تقول، لمن أصعب الأمور؟» فأجابه سرى كرشنا قائلا:

«أجل، يا عزيزى! إنه لمن أصعب الأمور. لا يكون قهر النفس إلا بصدق النية، والتمرين، والرغبة عن لذائذ الدنيا. والذى حرم قوة الارادة والعزيمة، فلا يتمكن من قهر نفسه ولا ينال النسك. والشرائع الظاهرية والطقوس الرسمية لا تنفعه شيئا. إن مجرد الرغبة فى هذا السلوك، يغنى المرء عن ويدا وعن شرائع ويدا. هذه الرغبة تجعله فوق كل هذا، ومن سعى مع هذه الرغبة سعيا صادقا، وإن كان قليلا، ينتفع به، وإن اضطرب قلبه ولم ينجح فى النسك كل النجاح، لأن طريق التقدم الروحى ينفتح أمامه، يسلكه إذا وطد عزمه».

ثم شرح كرشنا معرفة الله قائلا:

«تجلت قدرة الله بطريقتين: جلية وخفية، وجد بهما الناس وسائر الخلق. أما القدرة الجلية، فهى تمثلت فى التراب، والماء، والنار، والهواء، والأثير.

والنفس، والعقل، والأنانية. وأما القدرة الخفية الكامنة، فهى الروح الذى به قيام كل شىء وحياته. إن الله هو الخالق وهو المفنى. والعالم كله مع الله كمثل الحبات فى السبحة. فهو الذى جعل الرطوبة فى الماء، والنور فى الشمس والقمر. وهو إسم الذات فى ويدا، والصوت فى الفضاء، والرجولية فى الناس، والرائحة الطيبة فى التراب، واللمعان فى النار، والرقة فى النساك. وهو أصل كل شىء. وهو البذرة الحقيقية للكون. وهو العقل فى العقلاء، والعظمة فى العظماء، والقوة فى الأقوياء الذين تحرروا من الأهواء، وهو الرغبة الطاهرة فى جميع الأحياء. إن السكون، والحركة، والكسل، وغير ذلك من الأحوال، كلها من الله، ولكنه منزه عنها. ابتلى الناس بالسكون، والحركة، والكسل، فهم فى غفلة عن ربهم. وهو تعالى لا يناله الفناء وليس كمثله شىء.

ومن الناس من يتبع هواه، ويعبد آلهة غير الله. وقد جعل الله طمأنينة المرء فى من يعبده، وثمرات هذه العبادة الباطلة كذلك من الله، ولكن ثمرات هولاء الجهال الأغبياء زائلة. إن من يعبد الآلهة، يصل إلى الآلهة. ومن يعبد الله، يصل إلى الله. يعبد الجهال الآلهة لأن مداركهم قصرت عن معرفة الله، ولذلك يشكلونه بأشكال آلهتهم. وحقيقة هذه الآلهة كذلك ترجع إلى الله، غير أن الله لا شكل له، وهو الأزلى الأبدى المنزه عن الخلق وما اتصف به الخلق، وهو فوق كل شىء. لا يفهم الجهال خالقهم الذى لا يخفى عليه شىء، وهو يعلم ما كان وما يكون. والذى يتجرد من نفسه، ويتجنب المعاصى، ويعمل بالحسنى، ثم يعبد الله وحده، فهو الذى يصل إلى الحقيقة، ويفوز بالنجاة.

والعارف الذى يعبد الله، يرى الكثرة فى الوحدة، والوحدة فى الكثرة، وأينما يتولى، يرى وجه الله. إنه تعالى فى كل شىء، وهو الحى الذى لا

يموت، وهو الرب الذى به يقوم كل شىء.

«يا أرجنا، لكن أكلك وشربك، وأخذك وعطاؤك، ومحياك ومماتك لله وحده، لا لنفسك. هذا هو السبيل الحق، وبه تصل إلى خالقك الذى تدركه الابصار وهو يدرك الأبصار. هو الأول والآخر، والظاهر والباطن. هو الذى خلق الخلق. فعليك أن تكون له وحده، وتعمل له وحده».

وكلام كرشنا طويل، وهو يرمى إلى غرض واحد، وذلك أن الانسان يجب أن يقوم بواجبه غير مبال بالعواقب وبما يقوله الناس. وقد شرح كرشنا لصديقه أرجنا أن الروح لا يموت، وأن القتال فى سبيل الحق واجب عليك، فلا تتردد فيه، لأنك مهما قاتلت، لا تقتل الروح الذى لا يزال حيا حتى بعد خروجه من الأجساد!

نموذج من الفن الرسم المغولى

بلاط شاه جهان امبراطور الهنـد

[illegible] نموذجا آخر من أمثلة الرسم الهندى القديم. فقد سجل الرسام صورة البلاط الذى عقده الامبراطور شاه جهان عنـد ما حضرت السفـارة الإ[illegible]

وترى الامبراطور متربعا على عرشه. وقد وقف أمامه إبناه. الأميران: داراشكوه [illegible] مع مؤدبيهما الواقفين وراءهما. وترى تحت العرش فى الجانبـين صفـين متقابلين من أعيان الدولة. وفى اليسار وقف السفير الايرانى رافعا يده إلى رأسه محييا ومسلما. وخلفه صف فى اليسار أعضاء السفارة حاملين فى أيديهم هدايا متنوعة. وترى فى الأمام خارج حاجز البلاط الجياد التى جاءت بها السفارة من نفائس العراق.

وأما ما يستوقف النظر ويدعو إلى الاعجاب. هو اهتمام الرسام بالجزئيات الدقيقه وإظهارها بمهارة مدهشة. فلم يترك منها صغيرة ولا كبيرة إلا جاء بها، حتى يصح أن يقال إن صور الأشخاص. وهيئاتهم. وأزياءهم. رسمها كلهـا طبقا للاصل. فالعمائم على رؤس الرجال من أقشة مختلفة وأشكال متنوعة. أظهرها الرسام كما كانت. ولا يدرك ذلك بالعين المجردة. ولكن الزجاج المكبر يجلى مهارة الرسام المدهشة فى فنه. فنجده قد صور كل لؤلؤة من اللآلى التى وجدت على العمائم.

وقد وجدت تحت العرش الملـكى مصطبة من المرمر. نقرت عليها عدة صور وترى فى أعلاها الميزان. وهو رمز لميزان العـدل. وتحت الميزان ترى شيخين يحمل واحد منهما سيفا. وفى يد الآخر كرة. وترى تحتهما نهرا وقف على حافته الأسد والبقرة يرتويان. فالصورة رمز لكمال عدل الحكومة واستتابة السلام فى المملكة فلا يتجرأ الأسد القوى على البقرة. ولا البقرة الضعيفة تخشى صولة الأسد!

وقد أبرز الرسام هذه الصور بمهارة فائقة. ولما كانت هى منقورة على سطح المرمر. رسمها بلون ضعيف ليدل على أنها نقل للصورة المنقورة.



خطبة وزير معارف الهند فى يونسكو

هذه هى ترجمة الخطبة التى ألقاها صاحب الفخامة مولانا أبو الكلام آزاد، وزير معارف الهند، فى اجتماع يونسكو الذى انعقد فى أواسط السنة الماضية بباريز:

«هذه، وإن كانت أول مرة، أشترك فى جلسة يونسكو جسديا. غير أنى ما زلت معكم روحيا أتتبع مداولاتكم وأعمالكم بكل عطف واهتمام. وذلك لأنى أرى فى يونسكو وحدها بصيص الأمل ازاء الكارثة التى تهدد مستقبل البشر. لقد تقدم الانسان فى خلال القرن الأخير تقدما مدهشا فى ميادين العلم والرخاء المادى، ولكنه لم ينعكس فى مساعيه الأخلاقية والسياسية. لقد زاد التقدم العلمى فى أسباب الراحة والتغلب على الفقر والأمراض، ولكنه، يا أسفا، وهب الأنسان قدرة أى قدرة للدمار والهلاك! بلغت هذه القدرة اليوم مبلغاً إن لم يصحبه الشعور نحو الانسانية العامة، يهلك معه الجميع. وإنه من طريق تجديد التعليم وحده نستطيع إيجاد الشعور فى البشر بالوحدة النفسية وبالقومية العامة التى تتطلبها منا جميعا الوحدة الصناعية التى جاء بها تقدم العلم الحاضر.

وهذا هو السبب الذى حملنى، عند تأسيس اللجنة الهندية القومية للتعاون مع يونسكو، على أن أؤكد وألح على أهمية عمل يونسكو، وقد قلت إذ ذاك بأسف إن تنظيمة الشعوب المتحده التى أنشئت لتحقيق السلام والوحدة، انتهت إلى تقسيم العالم فى معسكرين متحاربين. أجل، قد حازت التنظيمة بعض التقدم، عوضاً من أن جمهرة الشعوب، يكافح كل واحد منها لنفسه، نرى كتلتين وطيدتين تناطحان بينهما. ولكن هذه الصورة كذلك لا تبعث أملا فى قلب من ينتظر التعاون والصداقة بين الشعوب. ونجد الأمل الوحيد فى الحالة الراهنة فى يونسكو

التي تنشد الوحدة في ميدان التعليم، والمعرفة، والثقافة، حتى بين الذين انقسموا سياسيا. وإني لأشعر بأن يونسكو إن نجحت في مساعيها بإيجاد التفاهم بين الشعوب المختلفة في الأمور الثقافية فالأمل قوى أن هذا التفاهم يؤثر كذلك في الاقتصاديات والسياسيات، عاجلا أو آجلا.

وقد ازددت في خلال السنتين الماضيتين أملا في يونسكو ومخاوف عن تنظيمة الشعوب المتحدة، فما زالت الحالة السياسية تسوء يوما فيوما، والتنظيمة، عوضا من أن تكون أداة للسلام والوآم، أصبحت اليوم مسرحا، تكافح فيه الشعوب القوية لمقاصدها المتعارضة. فان كان بقى هنالك أمل، والحالة هذه، لدفع الكارثة التي تهدد أن تبتلع البشرية كلها، فهو من طريق التفاهم العقلي والوجداني والحنو الشامل.

لا ريب إن عمر يونسكو لا يجاوز ست سنين، ولكن هذه السنين القليلة كانت عظيمة الخطورة لمستقبل البشر، فقد حدثت في خلالها شقوق وحفر في وضعنا السياسي والعقلي، إن لم تسد في حينها، تدفع الانسانية كلها إلى الدمار العام، فيجب أن نفحص ونقدر ما قامت به يونسكو من الأعمال في هذه السنين الحرجة، لنتمكن بالثقة الزايدة من وضع الخطة لسيرها في المستقبل.

إن الغاية التي تنشدها يونسكو، هي توحيد الشعوب من طريق التعليم، والمعرفة، والثقافة. وإن يونسكو منذ بدايتها تقرر قرارات وتضع لوائح سنويا للوصول إلى هذه الغاية. ومن أكبر أعمالها أنها ساعدت في وضع منشور جديد عالمي للحقوق الانسانية، اعترفت به تنظيمة الشعوب المتحدة. وإنها كذلك بادرت كثيرا إلى المساعدة الفنية للبلاد المتأخرة، وإلى تقديم التسهيلات التعليمية والثقافية في البلاد التي لاقت ويلات الحرب، وإلى تبادل الرجال والأفكار بين الشعوب المختلفة. وأهم من هذا كله ذلك المشروع الذي تريد يونسكو القيام به لايجاد وسائل

التعليم الاساسى فى الأقطار الشاسعة فى العالم، حيث لا توجد التسهيلات الكافية لحصول غايتها وإن من العار على مدنيتنا أنه لا يزال نحو ثلاثة أرباع من البشر أميين. والأمية والجهل ليكذب رأسا جميع مزاعمنا وتبجحنا بمنشورنا للحقوق الانسانية، وهو خطر على الجمهورية والسلام والرقى العام. وإنى أهنأ يونسكو على أنها أدركت بأن إصلاح المادة الانسانية بالتعليم فى الأقطار السيئة الحظ لهو السبيل الوحيد لتحقيق السلام العالمى.

أجل، إن لائحة يونسكو فى هذه الميادين فوق كل معترض. ولكنى أعتقد، يا حضرة الرئيس، ويا حضرة المدير العام! بأنكما توافقانى إذا قلت بأن يونسكو لا نجاح لها فى مقاصدها ما دام خطر الحرب والدمار يهدد نشاط البشر التعميرى. وإن جميع مساعينا لترقية التعليم، والمعرفة، والثقافة تكون بمثابة السخرية والهزء مما نطمع به حتى ينصرف هذا الخطر عن الانسانية. وإذا أوجبنا على أنفسنا حفظ العالم من الخراب، فعلينا أن نبت كالعقلاء، رجالا ونساء فى الخطط التى تستطيع يونسكو أن تتخذها لدفع خطر الحرب عن العالم. ولا فائدة من التشبث بالقول إن مسائل الحرب والسلام، مسائل سياسية بحتة، لا تمت بصلة ليونسكو التى تخصصت لترقية التعليم، والمعرفة، والثقافة. إذ ما معنى هذه المساعى إن ظل أساس الوجود الانسانى مهددا؟ وكيف لا تهتم يونسكو بأمر الحرب والسلام، وقد سبق لها أن قبلت المسيولية فيه بالاعتراف فى دستورها بأن الحروب كلها تنشأ فى أذهان البشر، وأنه يجب تشئيد معاقل الدفاع عن السلام فى أذهان البشر.

يليق بيونسكو ويحق لها أن تفكر فى تعليم الأجيال القادمة، ولكن إن لم ... ونعمل لدرء الخطر الذى يهددنا هاهنا والآن، فان الأجيال القادمة قد لا ... من الانتفاع بثمرة جهودها وأما أنا فأرى أن الساعة قد حانت لأن ... يونسكو الأمر هل إذا كانت هى تمثل الاختلافات السياسية الموجودة فى

تنظيمة الشعوب المتحدة، أوتريد أن تكون أداة، يجتمع إليها الرجال والنساء من أهل العلم، والفهم، والاخلاص بغض النظر عن الاختلافات السياسية. فعلينا أن نقرر فى يونسكو، هل التحديدات التى تعرقل سير تنظيمة الشعوب المتحدة، تلزمنا أيضا. لم تنجح تنظيمة الشعوب المتحدة من سوء الحظ فى التوفيق بين الأمم فى السياسيات. أليس هذا يدعونا إلى مضاعفة العمل للتوفيق بين الأمم فى أمور التعليم والمعرفة والثقافة؟ مهما كانت الاختلافات فى السياسة، يجب على يونسكو أن لا تغفل أبوابها على قطر من الأقطار. ليس هذا فحسب، بل عليها أن تقدم وتدق الأبواب المقفلة عليها الآن. لا ينبغى ليونسكو أن تنتظر دولة أو قطرا يتقدم إليها بطلب العضوية فيها. بل عليها أن توجه دعوتها الحارة إلى سائر البلاد التى لم تنضم إلى عضويتها بعد. إن التجربة الانسانية العامة لتخبرنا بأن الصداقة تجلب الصداقة والريبة تجلب الريبة. وإنى على ثقة تامة بأن يونسكو إن قدمت مرة معونتها ويدها لسائر البلاد، غير ناظرة إلى الخلافات السياسية، فانها كذلك تهيئ مسرحا، يتيسر للأمم المتشققة المتخالفة أن تجتمع عليه وتعمل بالجهد العام لدفع الريب وعدم الثقة والشقاق.

هنالك منشور جديد عالمى للحقوق الانسانية، ولكنى على ثقة بأنكم توافقوننى أن إعلان الحقوق وحده لا يجدى عنها شيئا. وأملى أنكم لا تظنون بى الظنون — أنتم الذين تمثلون الشعوب المجتمعة هنا اليوم — إن شرحت لكم بأصرح ما أستطيع شعور الشعب الهندى نحو هذه المسئلة. والذى يدفعنى إلى هذا كذلك هو أعتقادى بأن الأمم الشرقية كلها تشارك الشعب الهندى فى شعوره. تشعر هذه الأمم أنه وإن كان المنشور يعترف بالمساواة الانسانية نظريا، لا تزال طائفة من الناس فى الغرب، متمسكة بالاختلافات التى تنشأ من التعصب للجنس واللون. نحن نرحب فى الشرق بمبدأ المساواة الانسانية، ولكنا نريد كذلك أن

ماذا تفعل يونسكو للتحقيق المبكر للمقاصد المعلنة بها. أجل، أعلم ما أبداه المدير العام من الأمل بأنه من طريق التعليم الأساسى تتحقق يوما هذه المثل العليا، ولكن الناس فى الشرق، بينما يرحبون به كلائحة طويلة الأمد، يتساءلون ماذا تفعله يونسكو لتحقيق هذه الغاية فى القريب العاجل.

وإنى أرى أنه ينبغى ليونسكو أن تقود العالم فى إدراك التبدل العظيم الذى طرأ على آسيا خلال النصف أو أكثر من القرن الأخير. استيقظت آسيا بعد سباتها الطويل العميق، وإن يقظتها لرمز ليقظة الشرق كله. لقد ظلت القيادة الفكرية والعملية لمدة قرنين أو أكثر فى يد أوربا، فكان من الطبيعى أن يرى الأوربيون أنفسهم قادة للبشر. غير أن آسيا تتذكر اليوم أنها حملت، قبل أن تنال أوربا مجدها بزمن طويل، رسالة الأمل والنجاة للبشرية كلها. فتتذكر آسيا اليوم تقاليدها الماضية وتستنكف بحق كل إيعاز إلى التفوق والاستعلاء من أى ناحية جاء من الأرض. لتحس يونسكو بهذا الشعور، ولتفهم حق الفهم التبدل الذى شمل الشرق كله، وإنها إن لم تفعل ذلك، فلا تؤثر مساعيها فى آسيا وإفريقيا التأثير المطلوب. ويظهر لى أنه حتى فى يونسكو يقدرون هذه اليقظة الشرقية الكبيرة تقديرا ناقصا. وإنى أقدم لكم مثالين فقط فى هذا الصدد. ففى معرض الحقوق الانسانية الذى نظمته يونسكو، فخموا محصلات الغرب وتصوراته كل تفخيم، ولكن هل يقدر أحد أن ينكر ما للشرق من السهم القيم فى تقرير الشرف، والمساواة، والنجاة الانسانية؟ لننظر إلى ما هو أقرب إلينا، إلى تشكيل يونسكو نفسها، فقد استغربت عندما وجدت أن آسيا وإفريقيا اللتين ربما كان عدد نفوسهما، ثلثين لمجموع العالم، لم تحرزا من المناصب فى الادارة التنفيذية العليا إلا عشرة فى المائة! لست من أولئك الذين يرون وجوب إسناد المناصب حسب الأجناس، والألوان، والقوميات، ولكنى فى الوقت نفسه أكون مقصرا [illegible] أداء واجبى إن لم أنوه بأن هذا التمثيل المقصر جد التقصير الأسيوى

والافريقيين فى إدارة يونسكو ذات المسئولية، قد يخلق فى أذهان الشرقيين الريب بأن يونسكو، لا تعترف بحقوقهم. حتى وإن قامت هذه الحقوق على أساس الجدارة وحدها.

وأستحسن الآن أن أنوه ببعض الوجوه الهامة من البرنامج الذى عرض علينا. لقد سبق لى القول بأننا نرحب بالمساعدة الفنية، ولكنى أحب أن يكون ببال يونسكو أن هذه البرامج لا ينبغى أن تقرر طبقا لرغبات القائمين بها، بل لرغبات الذين يتقبلونها. وكذلك أرى أن أشير إلى أن أحوال البلاد تتخالف مع بعضها. فالمساعدة التى يرحب بها وينتفع بها بلد، قد لا تتناسب مع أحوال بلد آخر وظروفه. وأشكال المساعدة كذلك يجب أن تختلف، فربما كانت حاجة بعض البلاد إلى الرجال، والبعض الآخر يحتاج إلى جهازات ومعدات. وقد آن لنا أن نعيد النظر فى المبادئ التى قام عليها برنامج المساعدة الفنية، ونجعله ملائما لحاجات البلاد التى تختلف أحوالها وظروفها.

وإنى كذلك أرحب، بل فى الحقيقة أهنئ يونسكو على إقدامها على تنقيح وإصلاح تدريس التاريخ والجغرافية فى المدارس والكليات. وإنى أجزم من منذ ثلاثين سنة بأنه لا سلام للعالم حتى نصلح أساليب تدريس التاريخ والجغرافية فى مدارسنا. فاننا نعلم هذه الأيام الجيل الحاضر بطريق يلح على الخلافات والمنازعات فالتاريخ ملآن بالتمجيد القوى وكذلك بالخيلاء القومية. والجغرافية، عوضا من أن تلقن الوحدة العالمية تؤكد الخلافات الأممية. ولم نكتف بوضع خطوط الحدود التى تقسم العالم تقسيما مصتنعا، بل صبغنا كل قطر بلون مختلف، ليفكر الطفل من بدايته فى أنه يختلف عن إخوانه فى الأقطار الأخرى كاختلاف ألوانها. فكيف لنا أن نأمل فى التفاهم بين الأمم، حتى تربى الأجيال الناشئة على فكرة الوحدة العالمية والقومية العامة؟ وإنى أشعر بسرور أن يونسكو لم تكتف بأن أخذت على

عاتقها وضع تاريخ للحضارة البشرية، مؤكداً الوحدة الانسانية، بل هى كذلك مهتمة باصلاح الأساليب والمناهج لتدريس التاريخ والجغرافية بواسطة الدروس المتخصصة المنظمة فى المعاهد العليا.

وهنالك أمر آخر، أحب أن أتعرض له قبل الختام، وذلك إنى أحبذ رغبة يونسكو فى أن توسع دائرة مجهوداتها أكثر ما يمكن، وكذلك أفهم وأعطف على رغبة الدول صاحبة العضوية فى جلب العناية الخصوصية بمسائلها الخاصة، ولكن ينبغى لنا أن نقرر هل نصل إلى أحسن النتائج بالقيام بعدد كبير من المشاريع التى ليس من المستطاع تنفيذها كلية. أو باختيار برنامج أساسى وبتنفيذه بكل ما لدينا من حول وإخلاص. وإنى أعلم أن المدير العام كذلك يرى نفس هذا الرأى ويسعى لتقليل عدد الاقتراحات البرنامجية، ولكن هل لى أن أصرح بأنه لم يذهب بعيداً. وينبغى لنا أن نساعده فى سعيه فنختصر من الاقتراحات البرنامجية، ونحتاط من ضياع الوقت، والجهد. والمقدرة البشرية على مشاريع غير الأساسية. وإنى أعتقد بأنكم كذلك ترون أن هناك مجالا للتنقيص المؤثر من عدد النشرات، والوثائق، واللجان، والمؤتمرات التى تواجهنا كل سنة. ولا بأس من أن أقول لكم إن ما وصلنى من الأوراق والنشرات لهذا المؤتمر وحده أكثر مما كان فى وسعى أن أدرسه، وأظن أن أكثر المندوبين يوافقوننى فى شعورى هذا.

حضرة الرئيس! لقد وصلت إلى نهاية كلامى، إلا أنى أصر وألح مرة أخرى قبل الختام بأن الساعة قد دنت لأن تقود يونسكو العالم بجرأة فى إيجاد التفاهم الحسن فى ميادين التعليم، والمعرفة، والثقافة، غير مبالية بالاختلافات السياسية والمنازعات الاقتصادية، آملة بأن وحدة المقصد إذا تحققت فى الميدان الفكرى، تحققت كذلك فى الميادين الأخرى. وثقتى أنكم جميعا تشاركوننى فى هذا الأمل والاعتقاد، بأن مثل هذه الوحدة تمكن من صون البشرية من الخراب والدمار».

المجالس التشريعية فى الهند العتيقة

كان النظام السياسى فى الهند العتيقة بعد استقرار الجنس الآرى بها ، على نوعين : الجمهورى والملكى . فوجدت جمهوريات هنا وهناك بجنب الملكيات والامبراطوريات . ولم يكن الملوك الهنود مطلق السلطة يفعلون ما يشاءون . بل كانوا مقيدين بالدساتير . والتقاليد . والقوانين . يخضعون لنظام يقرره نواب الشعب.

هذا ما نعلمه من الكتب العتيقة . نخص بالذكر منها الملحمة الشهيرة بـ «راماثنا» (Ramayana) . هذه المنظومة لمن أجمل وأحلى وأنفع ما جادت به القريحة الهندية . وهى تخبرنا بما كان عليه الشعب الهندى من الحالة السياسية والاجتماعية قبل ألوف من السنين . وهى أقدم بكثير من أختها الملحمة الشهيرة بـ «مهابهارتا» (Mahabharta) التى يرجع عهدها عند أكثر المورخين إلى ٩٥٠ ق.م.

وقد حوت «راماثنا» على وصف لمجلسين متخالفين فى جوهرهما : مجلس يرأسه والد راما الملك الطيب ومجلس يرأسه عدو راما ، وهو راونا ، الملك الظالم . فيخبر الكتاب أن المجلس التشريعى فى عصر راما — قبل ثلاثه أو أربعة آلاف سنة — كان يسمى بـ «پرشد سبها» (Parshad Sabha) . وكان يشبه فى وظيفة البرلمانات فى العصر الحاضر من وجوه كثيرة . وكان أعضاؤها يلقبون بـ «آرياگانا» (Aryagana) أى الشرفاء . ويلقب كل واحد منهم بـ «آريا» (Arya) أى الشريف

وكان المجلس يتركب من الرجال الرسميين ، وهم الوزراء والمستشارون . ومن غير الرسميين . وهم النبلاء من طبقة كشتريا (طبقة المحاربين) ونواب العاصمة والمملكة . وكانت كلمة نواب الشعب هى العليا فى مزاولات المجلس ، لكونه مجلسا نيابيا يمثل الشعب كله . لا الملك والنبلاء وحدهم . وجرت العادة كذلك أن توجه

دعوة إلى بعض البارزين من الناس لحضور المجلس كضيوف ممتازين من دون أن يكون لهم حق التصويت.

انتخاب الملك

وكانت تعرض على المجلس جميع المسائل الهامة كانتخاب الملك، أو عزله، أو اختيار ولى عهده، أو إعلان الحرب. وكان واجبا على الملك أن يأمر بعقد المجلس ويستأذن منه إذا أراد اعتزال الحكم لكبر سنه أو لرغبته فى الرهبنة. فيخبرنا الكتاب أن الملك الشيخ «دسارتها» لما أراد أن يعتزل الحكم ويقيم خلفا له فى مقامه، أمر بعقد مجلس خصوصى ليبت فى الأمر. وكذلك عند ما توفى الملك وفرغ ابنه «بهرت» من جنازته، دعى كبير الوزراء «واسيستها» مجلسا خصوصيا لانتخاب ملك جديد. وبعد قرار من المجلس، عرض التاج على الأمير بهرت قائلا «إن مجلس الأمة قد ارتضى بك ملكا».

أما مجلس الشعب فى مملكة الملك الظالم «راونا» فيقول الكتاب إنه كان يتركب من الملك، ووزرائه، وأقاربه، ورجال عسكره من دون عامة الشعب. وما كان الملك يعقد مجلسه إلا إذا تعرض لخطر عظيم، كما فعل عندما حوصرت جزيرته «لنكا» (سيلان) من كل جانب، ورأى الدمار لا محالة واقعا.

حقوق المجلس

وكان من حقوق المجلس أن يختار ابن الملك السابق أو غيره ليخلفه فى الحكم. ولذلك نجد الملك دسارتها عندما أراد التخلى عن الملك، خاطب المجلس قائلا «لكم أن تختاروا ابنى «راما» ليكون ملكا عليكم، أو غيره بعد التشاور بينكم. ولكن نصب أعينكم فى ذلك خير البلاد وحده!»

وكان من حق أعضاء المجلس أن يبدوا رأيهم بأنفسهم أو ينيبوا عنهم واحدا

منهم يثقون بعقله ودينه. كما فعلوا عندما عقد المجلس بعد وفاة الملك دسارتها. فأنابوا عن أنفسهم «كبير الوزراء» واسيستها قائلين له «إننا لا نرتاب فى عقلك ودينك. ووراك نهتم بخير الشعب أكثر منا. فانتخب للملك رجلا من أسرة الملك السابق. أو من غيرها. ونحن نرضى بمن تختاره لنا!».

وجرت العادة أن يجتمع أعضاء المجلس بواسطة رسل الملك أو بالمناداة العامة. وإذا كان الملك غائبا لموته الفجائى أو بسبب آخر، يدعو المجلس كبير الوزراء أو أهل الحل والعقد من الرجال. وقد كانت الحكومة تهيأ للأعضاء الذين يأتون من خارج العاصمة. مساكن لسكناهم. وتبذل الجهد لاعداد المعدات اللازمة لراحتهم.

ويظهر من الكتاب أن القاعة المخصصة لعقد المجلس فى العاصمة «ايودهيا» (Ayodhya) كانت جزءا من القصر الملكى نفسه، وكانت مفتوحة الأبواب يرى المرء من داخلها ما يجرى فى شوارع المدينة، وذلك لأن الكتاب يخبرنا بأن الملك دسارتها رأى راما يمشى فى الشارع متوجها إلى المجلس، وكان الملك إذ ذاك متربعا على عرشه فى وسط المجلس. أما مجلس الملك راونا، فيقول الكتاب أنه كان يجتمع فى بناية بعيدة عن القصر الملكى، مغلقة الأبواب. يحرسها الجنود المسلحون خوفا من ثورة الشعب!

نظام المجلس

وكان من حق الملك أن يرأس جلسات المجلس. وفى غيابه يقوم مقامه كبير الوزراء أو رئيس الكهنة. وكان الملك يرتدى أحسن حلله وأفخرها، وكذلك أعضاء المجلس يلبسون أحسن ما عندهم من الثياب.

وكان الملك أول من يدخل فى قاعة المجلس ويتربع على عرشه. ليس لأنه

الملك بل لأنه رئيس المجلس، ويؤذن للأعضاء بالدخول بعد جلوس الملك. وتكون وجهة سائر المقاعد نحو الرئيس، وتختلف المقاعد فى أنواعها حسب اختلاف طبقات الأعضاء، فبعضها للبراهمة، وأخرى لكشتريا، وغيرها لويسيا (Vaisya) — طبقة التجار — وتخصص بعضها للضيوف الممتازين وللملوك والأمراء الخاضعين لعرش البلاد.

وقد كان الكل، أعضاء المجلس وغيرهم، يجلسون متوجهين شطر الملك. ساكتين، صامتين. لا يتكلمون إلا من أذن له بالكلام.

مسئوليات الأعضاء

أما مسئوليات الأعضاء. فيمكن لنا أن نتصورها من خطبة ألقاها «راما» فى أول مجلس رأسه بعد تتويجه، وهى على رواية الكتاب كما يلى:

قال راما مخاطبا لأعضاء المجلس «ذلك المجلس ليس بمجلس الذى لا يشترك فيه الشيوخ. والذين لا يعرفون واجباتهم نحو شعبهم وبلادهم، فهم ليسوا بشيوخ وإن اشتعلت رؤسهم شيبا. ولا يوجد العدل إلا بالصدق، ويجب أن يكون الصدق محضا صريحا لا تشوبه شائبة من الكذب والباطل. والصدق الممزوج بالكذب، سفالة وهو ممقوت أشد المقت. والأعضاء الذين يعرفون الحق ثم يظلون ساكتين. لا يعلنونه، فهم أشر الكاذبين. والذين يسكتون عن الحق نظرا لمصالحهم الذاتية، أو خوفا من نقمة الأقوياء، أو غضبا على الآخرين، بينما واجبهم باعلان الحق، فهم المجرمون الذين يخلدون فى نار الجحيم. اعلموا انه يجب على كل واحد منكم، أيها الأعضاء، أن يساهم فى مداولات المجلس بكل نوع من الاخلاص، والصدق، والعقل، وحسن النية، والنصيحة لنفسه وشعبه. وأن لا يتأثر مطلقا بالأثرة، أو الخوف، أو الغضب!»

﴿ خطاب الملك فى المجلس ﴾

ويحكى الكتاب أن الملك دساراتها لما أراد أن ينادى بابنه راما، وليا للعهد وخلفه على العرش، أمر بعقد المجلس التشريعى فى عاصمته أيودها. ثم واجه المجلس وخاطبه قائلا:

« اخترتمونى ملكا على أنفسكم، وقد بذلت كل جهدى فى القيام بواجباتى نحوكم. وها أنى قد بلغت من الكبر عتيا، ويحتم على واجبى أن أصارحكم بأن أعباء الملك فوق مقدرتى الآن أرانى أضعف من أن أتحملها، وهى تنتظر رجلا أقوى منى جسدا وعقلا. وإنكم لتعرفون راما ابنى، ولا تخفى عليكم مزاياه التى تؤهله ليكون ولى عهدى وينوب عنى فى الحكم ما دمت حيا، ويخلفنى بعدى. ويخدم شعبه كأبيه. هذا رأيى أنا ولكم الحرية التامة فى قبوله أو رده فان قبلتموه فهو ما أريده، وإن رفضتموه واخترتم رجلا غير راما فانى أنزل على إرادتكم وأقبل قراركم بطيب نفسى، لأن غايتكم وغايتى واحدة — خدمة الشعب وخير البلاد ».

وقد تناقش المجلس فى اقتراح الملك حتى اتفقت كلمته على قبول راما ولـ للعهد و نائبا عن الملك فى حياته وكذلك أن يكون ملكا بعد وفاته إن سا سيرة والده فى الحكم.

﴿ خطاب الملك لولى عهده ﴾

فلما علم الملك ذلك، أمر باحضار راما فى المجلس وخاطبه قائلا:

« لقد وقع اختيار مجلس الشعب عليك لتكون ولى عهدى ونائبى فى ا وخلفى فى الملك بعد مماتى. وبما أنت، اكبر أولادى من زوجتى الأولى التى كفؤ لى فى العز والمجد، فأنت أحق أولادى بالشرف الذى رآك المجلس أهلا

، مزاياك المعروفة جعلتك خليقا لتخدم شعبك. فعليك أن تخفض جناحك لرعيتك وتسهر لراحتها ورفاهيتها. وتعدل فى الحكم، وتنصف لسائر الناس. وليكن الصغير و الكبير سواء عندك فى الحق. ولا تؤثرن نفسك على المصالح العامة ولا تخلدن إلى الراحة والتمتع بلذائذ الحياة. لتكن خزائنك مملوءة بالمال، وجيوشك متأهبة للدفاع. وليكن همك الوحيد، رضا الشعب وهناؤه، و الملك يجب أن يكون محبوبا لدى شعبه، محمودا فى سيرته. وأشقى الناس وأنحسهم الملك الذى تمقته رعيته لأن من يمقته خلق الله، يمقته الله!»

القصيدة الدالية للشيخ أحمد التانيسرى

ضبطها وشرحها

حضرة الفاضل مولانا امتياز على عرشى

• وهو عالم يشبه اللآلى تحريره. وشاعر يحكى السلسال تقريره، المقتبس للنور المعنوى. والمريد للشيخ نصير الدين الأودى الدهلوى. قدس سره (المتوفى سنه ٧٥٧ هـ — ١٣٥٦ م).

• ولما أخذ الأمير تيمور دهلى (سنة ٨٠١ هـ — ١٣٧٩ م) وسمع نبذا من فضائله. وشم عرفا من صنادله، رغب فى الملاقاة، وتعطش إلى الموافاة. وبعد ما عاينه متحليا بفضائل أبهى من النجوم الزاهرة، ومتصفا بشمائل أعطر من الأزهار الناضرة، اختاره للمجالسة، واصطفاه للمؤانسة. وحين توجه الأمير من الهند إلى الروم، تأخر مولانا عن موكبه العازم إلى أقصى التخوم.

• ولما عاد الأمير تيمور من الهند، ولم يبق رونق دهلى على حالها، وتجاوز النسج عن منوالها، هاجر مولانا أحمد من دهلى إلى كالبى، وقطن بهذا المصر الجامع. واشتغل بتدريس العلوم، واستغرق فى عبادة الحى القيوم، إلى أن انتقل إلى أشرف الحضرات. وارتقى إلى أرفع العتبات. ودفن فى داخل قلعة كالبى.

• وله قصيدة دالية منها هذه الأبيات: (سبحة المرجان: ٣٧ وتسلية الفؤاد ١٤ الف - ١٥ ب).

أطار لُبّى حَنينُ الطائر الغردِ ۝ وهاج لوعَةَ[1] قلبى التايهِ[2] الكمِدِ[3]

---

١ — حرقة الحزن والوجد. ٢ — الهالك والمضطرب العقل. ٣ — الحزين.

وأذكرتنى عُهوداً بالحمى سلفتْ ٭ حمامة صدحت[١] من لاعج الكَبِد[٢]
باتت تُورِّقنى، والقوم قد هجعوا[٣] ٭ ما بين مضطجع منهم ومُستند
ما زار طرفى غُمْضٌ[٤] بعد بُعدكمُ ٭ ولا خيالُ سرورٍ دار فى خَلدى
ليت الهوَى لم يكن بينى وبينكمُ ٭ وليت حبلَ ودادى[٥] غيرُ منعقد
كانت لنا لُبثٌ[٦] أيام وغرّتها ٭ وَلّت سِراعا على رغمى[٧] ولم تَعُد
كأنه لم يكن بين الحمى أنس ٭ إلى اللوى وكأن الحىَّ لم تَفِد[٨]
لا عيش بعد لُيَيلات[٩] اللوى رغدا ٭ ولا وصول إلى ذاك الحمى بيدى
خلِ الأحاديث عن ليلى وجارتها ٭ وارحل إلى السيد المختار من أُدَد[١٠]
محمدٍ أحمد الهادى لأمته ٭ إلى الصراطِ صراطٍ غيرُ ملتحد[١١]
بر، رؤف، رحيم، سيد، سند ٭ سهلِ الفناء، رحيبِ الباع والصفد[١٢]
أفديك بالروح والقلب المشوق معاً ٭ والنفس والمال والأهلينَ والولد
قد عاقنى البُعدُ عن مرمىً أؤمّله[١٣] ٭ وطال شوقى إلى لقياك، يا سندى
أرجو الوِفادة فى أرض حللتَ بها ٭ يا لهفَ نفسى، إذا ما كنتُ لم أفِد!

---

١ — أى رفعت صوتها بالغناء.
٢ — يقال «لعج الحب أو الحزن فؤاده» إذا استحر فى قلبه.
٣ — أى ناموا.
٤ — النوم وانطباق الجفن.
٥ — فى سبحة: «وحبله كان فينا غير منعقد».
٦ — فى تسلية الفواد (ورقة ١٥ الف) «كانت مراسم أيام».
٧ — فى تسلية: رغم.
٨ — أى لم ترد رسولا.
٩ — جمع لُيَيلة، وهى تصغير ليلة.
١٠ — هو أبو قبيلة.
١١ — أى غير مائل.
١٢ — أى وسيع الباع والعطاء.
١٣ — فى تسلية: «مرماى، يا سكنى».

عطفاً علىّ، ورفقاً بى، ومرحمة [1] ! فليس غيرك، يا مولاى، ملتحدى [2]

يا ربّ، صلّ وسلّم دائماً أبداً على النبى، نبىّ الحقّ والرَّشَدِ

وصحبه، وذويه الطاهرين، ومن أحبّهم شغفاً فى الغَيب والعَنَدِ [3]

ما لاح برق وما سحّ [4] الغمامُ على رُبَى الفلا [5]، فكساها حُلّةَ القَنَدِ [6]

وما تغرّدَ غِرّيدٌ على فَنَنٍ [7] غضٍّ [8] الأرومةِ [9]، مُخْضَلٍ [10] ومُلْتَبِدِ [11]

---

١ — فى نسخة: «مكرمة».

٢ — أى ملجأى.

٣ — العند، الجانب، يقال: هو يمشى وسطا لا عندا، والمعنى لا يستقيم بهذا، فلعله مصحف.

٤ — يقال: «سح الماء» إذا صبه متتابعاً غزيراً.

٥ — جمع رابية، وهى ما ارتفع من الأرض. والفلا، جمع فلاة، وهى الصحراء.

٦ — القند نبت يشبه القثاء.

٧ — أى الغصن المستقيم.

٨ — الطرى الناعم.

٩ — أصل الشجرة.

١٠ — كثير الأغصان والأوراق.

١١ — يقال: «تلبد الورق» إذا تلبد بعضه على بعض. و «التبدت الشجرة» إذا كثرت أوراقها.

أعيان الهند فى القرن السابع من الهجرة

للعلامة الشريف المرحوم مولانا عبد الحى

﴿ الشيخ أبو بكر بن يوسف السجزى ﴾

الشيخ العالم الكبير العلامة أبو بكر بن يوسف بن الحسين السقرانى الامام سراج الدين السجزى، أحد كبار العلماء المبرزين فى الفقه، والأصول، والعربية. درس وأفاد مدة طويلة بدار الملك دهلى فى عهد السلطان غياث الدين بلبن ومن قبله من الملوك. أخذ عنه جمع كثير من العلماء. وكان السلطان غياث الدين المذكور يكرمه غاية الاكرام. ويتردد إليه فى كل أسبوع بعد صلاة الجمعة، ويحظى بصحبته كما فى تاريخ فرشته.

﴿ الشيخ أحمد بن على الترمذى ﴾

السيد الشريف أحمد بن على بن الحسين بن محمد بن الحسن بن موسى بن على بن الحسين بن على بن الحسين السبط. كان من السادة القادمين إلى أرض الهند. ولد ونشأ بمدينة ترمذ، وانتقل إلى لاهور بعد ما توفى والده، فسكن فيها، وأعقب ونهض من أعقابه جماعة من العلماء، تفوق الاحصاء. وهم يدعون بالسادة الترمذية. وكانت وفاته فى سنة اثنتين وستمائة بلاهور كما فى خزينة الأصفياء.

﴿ الشيخ أحمد بن محمد الهانسوى ﴾

الشيخ الفقيه أحمد بن محمد بن مظفر بن إبراهيم الخطيب جمال الدين النعمانى الهانسوى، أحد كبار المشايخ الجشتية. ولد ونشأ بمدينة هانسى، وأخذ الطريقة

عن الشيخ فريد الدين مسعود الأجودهني. ولأجله أقام الشيخ المذكور بمدينة هانسى اثنى عشرة سنة. وكان إذا استخلف أحدا وكتب له الاجازة بعث بها إلى جمال الدين. فان قبلها الجمال وأثبت عليها خاتمه قبلها الشيخ أيضا وإن ردها الجمال ردها الشيخ. يقول لا يرتق ما فتقه الجمال، ويقول الجمال جمالى. وله رسالة بالعربية. سماها «الملهمات». وله ديوان شعر بالفارسية. مات فى سنة تسع وخمسين وستمائة فى كما أخبار الأخيار.

﴿ نجم الدين أبو بكر ﴾

صدر الملك نجم الدين أبو بكر الدهلوى أحد رجال السياسة، استوزره علاء الدين مسعود شاه سنة أربعين وستمائة وعزله ناصر الدين محمود بن ألتمش سنة إحدى وخمسين وستمائة. وولى الوزارة مرة ثانية يوم الأحد سادس ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وستمائة. وعزل يوم الأربعاء ثامن رمضان سنة خمس وخمسين وستمائة. ذكره منهاج الدين الجوزجانى فى الطبقات.

﴿ الشيخ أبو غفار الحسينى الخوارزمى ﴾

الشيخ أبو غفار بن جمال الدين الحسينى الرضوى الخوارزمى، أحد العلماء المبرزين فى المعارف الالهية. انتقل والده من خوارزم إلى الهند فى فتنة التتر. فسكن فى لاهور. ولما توفى بلاهور تصدر للارشاد بعده ولده أبو غفار.

وكان صالحا، حسن الأخلاق، حلو المنطق. مات سنة إحدى وستين وستمائة بلاهور. فدفن بها، كما فى خزينة الأصفياء.

﴿ شرف الدين أحمد الدماوندى ﴾

الشيخ الفاضل شرف الدين أحمد الدماوندى، أحد الأفاضل المشهورين فى عصره. أدركه نور الدين محمد العوفى بمدينة لاهور، وذكره فى لباب الألباب فى

ترجمة أبي جعفر عمر بن اسحاق الواشي.

﴿ الشيخ إسحاق بن علي البخاري ﴾

الشيخ العالم الفقيه الزاهد إسحاق بن علي بن إسحاق البخاري الشيخ بدر الدين الدهلوي، كان من كبار العلماء يتصل نسبه بعمر الأشرف بن الامام علي بن الحسين السبط. ولد ونشأ بمدينة دهلي وقرأ العلم على أبيه منهاج الدين علي بن إسحاق البخاري. ودرس وأفاد مدة طويلة في المدرسة المعزية بدهلي ثم سافر إلى بخارا، فلما بلغ إلى أجودهن وسمع مآثر الشيخ فريد الدين مسعود الأجودهني، مال إليه ولقيه. فلما آنس منه الشيخ آثار فضله أمره بالاقامة لديه، وزوجه ابنته وألبسه الخرقة فلازمه مدة حياته.

وكان عالما، فقيها، زاهدا، سخيا، شجاعا، شاعرا، من أهل التفنن في العلوم، مقدما في المعارف، كثير البكاء، شديد الخشية، مقروح المقلة لكثرة البكاء وسيلان الدموع. أراد الشيخ الكبير أن يبعثه للهداية والارشاد إلى بعض البلاد — كما بعث أصحابه إلى «كلير»، وبعضهم إلى دهلي — فلم يقبل، وأصر على إقامته في حضرته حتى يموت ويدفن تحت قدمه.

وله مصنفات، منها «أسرار الأولياء» جمع فيه ملفوظات شيخه ومنها منظومة عربية في التصريف. مات في سادس جمادى الآخرة سنة تسعين وستمائة بأجودهن ودفن بها.

﴿ القاضي إسمعيل بن علي السندي ﴾

الشيخ الفاضل إسماعيل بن علي بن محمد بن موسى بن يعقوب الثقفي السندي الفقيه الخطيب القاضي بمدينة «ألور» من بلاد السند، ورث القضاء والخطابة من ... وكان عالما ماهرا بالفنون الأدبية والحكمية تلوح على محياه أنوار التقديس.

ذكره علي بن الحامد الكوفي السندي في تاريخ السند وقال «إني لقيته بمدينة ألور ووجدت عنده أجزاء من تاريخ السند وغزوات المسلمين عليها وفتوحاتهم بها بالعربية، كتبها حدود القاضي. فأخذت منه ونقلتها إلى الفارسية».

﴿ الشيخ أيوب التركماني ﴾

الشيخ الصالح أيوب بن أبي أيوب التركماني الدهلوي الزاهد، كان يلبس الصوف. سكن في «مارهره» زمانا ثم دخل دهلي واعتكف برهة من الزمان في قصر الحوض السلطاني وكان نافذ الكلمة عند السلطان معز الدين بهرام شاه، يعتقد في فضله وصلاحه السلطان ويتلقى إشاراته بالقبول. ذكره القاضي منهاج الدين الجوزجاني في الطبقات.

﴿ الشيخ بدر الدين الغزنوي ﴾

الشيخ الفقيه بدر الدين الغزنوي ثم الدهلوي، أحد كبار المشايخ الجشتية. قدم لاهور في صغر سنه واشتغل بالعلم وقرأ على أساتذة عصره ثم دخل دهلي وسمع نبأ فتنة التتر في بلاده، وبلغه أن أباه وأمه قتلا في تلك الفتنة فألقى عصاه بدهلي وسكن فيها. وأخذ الطريقة عن الشيخ قطب الدين بختيار الأوشي ولازمه. فما فارقه مدة حياته وتولى المشيخة بعده بمدينة دهلي. أخذ عنه الشيخ إمام الدين المتوفى سنة ثمانين وسبعمائة. وكانت وفاته في حالة التواجد على سنة شيخه بدار الملك دهلي في سنة سبع وخمسين وستمائة، كما في خزينة الأصفياء.

﴿ الشيخ بدر الدين الدلموي ﴾

الشيخ الفقيه بدر الدين العلوي الحسيني الدلموي، أحد المشايخ الجشتية من سعد بصحبة الشيخ الكبير عثمان الهاروني. أخذ عنه الطريقة الجشتية وقدم الهند فسكن في، دلمو على عشرة أميال من بلدة رائ بريلي، وقبره بها مشهور يزار.

مات فى سنة ست وأربعين وستمائة.

﴿ الشيخ بدر الدين البدايونى ﴾

الشيخ الكبير بدر الدين أبو بكر البدايونى، أحد الأولياء المشهورين فى الهند. كان صنو الشيخ «حسن رسن تاب». أخذ عن أخيه ثم عن الشيخ قطب الدين بختيار الدهلوى، ولبس منه الخرقة ثم رجع إلى بدايون. وكان كأخيه يتكسب بصناعة الفتل. توفى فى القرن السابع كما فى «مهر جهانتاب».

﴿ الشيخ بدر الدين السمرقندى ﴾

الشيخ العالم الفقيه بدر الدين الفردوسى السمرقندى ثم الدهلوى، أحد المشايخ المشهورين بأرض الهند. أخذ الطريقة عن الشيخ سيف الدين الباخرزى ولازمه مدة من الزمان، وقيل إنه أخذ عن الشيخ نجم الدين الكبرى بدون واسطة الباخرزى والصحيح إنه أدرك الشيخ نجم الدين المذكور ولم يأخذ عنه بل أخذ عن الباخرزى وهو عن الشيخ نجم الدين الكبرى صاحب الطريقة، كما فى مناقب الأصفياء. قدم دهلى فى أيام الشيخ قطب الدين بختيار الأوشى، وكان حسن الصورة والسيرة غاليا فى استماع الغناء، وكان إذا أقبل على أحد من أصحابه فى حالة السماع يحصل له ذوق ووجد. وهو أول من دخل الهند من مشايخ الطريقة الفردوسية وسكن فيها. أخذ عنه الشيخ ركن الدين الدهلوى وخلق آخرون. مات فى أيام الشيخ نظام الدين محمد البدايونى الدهلوى، كما فى أخبار الأخيار.

﴿ مولانا برهان الدين البزار ﴾

الشيخ الفاضل العلامة برهان الدين البزار الحنفى الدهلوى، أحد كبار الفقهاء فى عصر السلطان غياث الدين بلبن. كان يدرس ويفيد بدار الملك دهلى، وكان

السلطان يكرمه غاية الاكرام. ذكره البرنى فى تاريخه.

ـ مولانا برهان الدين النسفى

الشيخ العالم الكبير برهان الدين النسفى، أحد العلماء المبرزين فى الفقه والأصول والعربية. كان يدرس ويفيد بدار الملك دهلى، أخذ عنه خلق كثير من العلماء والمشائخ.

وكان إذا أتى إليه رجل للعلم يشترط عليه ثلاثة أمور: الأول أنه لا يأكل فى اليوم والليلة إلا مرة واحدة ما يشتهيه من الطعام. والثانى أنه لا يتأخر عن الحضور فى الدرس يوما من الأيام فان تقاصر عنه ولو مرة واحدة لا يقربه أبدا. والثالث أنه إذا لقيه فى الطريق فيكتفى بالتحية المسنونة ولا يزيد على ذلك من تقبيل الرجل وغيره. انتهى ما فى فوائد الفؤاد.

ـ مولانا تاج الدين الدهلوى

الشيخ الفاضل تاج الدين الدهلوى الدبير المشهور بـ «ريزه» ولى ديوان الرسائل فى عهد السلطان شمس الدين الايلتمش، وكان فاضلا شاعرا مجيد الشعر. وكان حقير الجثة. ولذلك لقبوه بـ «ريزه» معناه الفتيت.

ـ مولانا تقى الدين الانهونوى

الشيخ الفاضل تقى الدين بن محمود الانهونوى الأودى، كان من رجال العلم والطريقة. يذكره الشيخ نظام الدين البدايونى بالخير. وقبره بـ «إنهونه»، قرية من أعمال رائى بريلى. وكان شقيق داود بن محمود، كما فى «مهر جهانتاب».

ـ القاضى جلال الدين الكاشانى

الشيخ العالم القاضى جلال الدين الكاشانى كان قاضى الممالك بدار الملك دهلى

عزله عنه معز الدين بهرام شاه سنة تسع وثلاثين وستمائة واتهمه بأنه يريد أن يخلع السلطان، فسار نحو أودهـ وولى القضاء بها. ولما ولى المملكة علاء الدين مسعود شاه قربه إليه، وبعثه إلى لكهنوتى سنة إحدى وأربعين وستمائة بالسفارة إلى الأمير طغانخان نائبه على بلاد لكهنوتى، وولى قضاء الممالك مرة ثانية يوم الاثنين عاشر جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وستمائة فى أيام السلطان ناصر الدين محمود بن الايلتمش. مات يوم الجمعة سابع عشر ذى القعدة سنة ثمان وأربعين وستمائة، كما فى طبقات ناصرى.

﴿ حسن بن أحمد الأشعرى ﴾

الأمير الكبير بهاء الملك تاج الدين الحسن بن شرف الملك رضى الدين أبى بكر أحمد الأشعرى، أحد الرجال المعروفين فى الجود والكرم، كان من نسل أبى موسى الأشعرى. استوزره السلطان ناصر الدين قباچه ملك السند فخدمه إلى سنة خمس وعشرين وستمائة. ولما هلك ناصر الدين وملك بلاده شمس الدين الايلتمش الدهلوى لحق به وخدمه إلى وفاته ثم خدم ولده ركن الدين فيروز شاه. ولما خرج على فيروز شاه الأمراء وحبسوه قتل غلمانه جماعة من الأمراء منهم بهاء الملك الأشعرى، لعله سنة أربع وثلاثين وستمائة.

﴿ الشيخ معين الدين حسن بن الحسن السجزى الأجميرى ﴾

الشيخ الامام الزاهد الكبير الحسن بن الحسن السجزى شيخ الاسلام معين الدين الأجميرى الولى المشهور. كان مولده سنة سبع وثلاثين وخمسمائة بلدة سجستان. وتوفى أبوه وهو فى الخامسة عشرة من سنه وأعقب له بستانا ورحى فاسترزق بها مدة. ثم أخذته الجذبة الربانية فترك ما له من العروض والعقار وسافر إلى سمرقند لحفظ القرآن، وقرأ العلم حيثما أمكن له، ثم سافر إلى بلاد أخرى ودخل «هارون» قرية من أعمال نيسابور، وأدرك بها الشيخ عثمان

الهاروني ملازمه وأخذ عنه الطريقة وصحبه عشرين سنة. ثم قدم الهند وأقام بمدينة لاهور واعتكف على قبر الهجويري والزنجاني. ثم قدم دهلي ثم سار إلى أجمير وسكن فيها. وكانت تحت سلطة الهندوس فى ذلك الزمان فأسلم على يده خلق كثير. ويذكر له كشوف وكرامات ووقائع غريبة والاحاطة ببعض البعض من مناقب هذا الامام تقصر عنها ألسن الأقلام. فمن رام الوقوف على ما يكون له من أعظم العبر فلينظر سيرته فى سير الأولياء وأخبار الأخيار وغيرهما من الكتب المعتبرة.

توفى يوم الاثنين سادس رجب سنة سبع وعشرين وقيل اثنتين وثلاثين وقيل ثلاث وثلاثين وستمائة وله خمس وتسعون. وقبره مشهور ظاهر بمدينة أجمير يزار ويتبرك به.

﴿ الشيخ حسن بن محمد الصغاني ﴾

الشيخ الامام الكبير رضى الدين أبو الفضائل الحسن بن محمد ابن الحسن بن حيدر بن على العدوى العمرى الصغاني. ويقال الصاغاني نسبة إلى صاغان (معرب چاغان. قرية بمرو). ولد بمدينة لاهور فى خامس عشر من صفر سنة سبع وخمسين[1] وخمسمائة فى أيام خسرو ملك بن خسرو شاه الغزنوى.

فلما ترعرع وبلغ أشده أخذ العلم عن والده وعرض عليه قطب الدين إيبك القضاء بمدينة لاهور. فلم يجبه إلى ذلك ورحل إلى غزنة يدرس ويفيد بها. ثم دخل العراق وأخذ عن علمائها واستجاز عن جمع كثير من العلماء. ثم رحل إلى مكة المباركة فحج وأقام بها مدة وسمع الحديث بها وببلدة عدن. ثم رجع إلى بغداد سنة خمس عشرة وستمائة فى أيام الناصر لدين الله الخليفة العباسى

---

١ — كذا وفى بغية الوعاة سبع وسبعين.

لله وخلع عليه وأرسله بالرسالة[١] الشريفة إلى صاحب الهنـد شمس الدين لايلتمش سنة سبع عشرة وستمائة فبقى بها مدة. ثم خرج من الهند سنة أربع عشرين وستمائة فحج ودخل اليمن. ثم عاد إلى بغداد ثم أعيد إلى الهند رسولا ن حضرة المستنصر بالله العباسى إلى رضية بنت الايلتمش ملكة الهند. ورجع لى بغداد سنة سبع وثلاثين وستمائة وتوفى بها فدفن بداره فى الحريم الطاهرى، م نقل جسده إلى مكة وكان أوصى بذلك وجعل لمن يحمله إلى مكة ويدفنه ها خمسين دينارا.

قال الدمياطى وكان معه طالع مولود. وقد حكم فيه بموته فى وقته. فكان يترقب ذلك اليوم. فحضر ذلك اليوم وهو معافى فعمل لأصحابه طعاما شكرا لذلك. وفارقناه وعديت إلى الشط فلقينى شخص أخبرنى بموته فقلت له الساعة ارقته فقال والساعة وقع الحمام يخبر بموته فجاءة — انتهى.

وكان الشيخ صالحا صموتا عن فضول الكلام فقيها محدثا لغويا ذا مشاركة امة فى العلوم، سمع الحديث بمكة وعدن والهند من شيوخ كثيرة، وأدرك لكبار وجمع وصنف ووثق وضعف وصارت بتصانيفه الركبان، وخضع لعلمه علماء الزمان. قال السيوطى إنه كان حامل لواء اللغة، وقال الذهبى إن إليه المنتهى فى اللغة، وقال الدمياطى إنه كان إماما فى اللغة والفقه والحديث وإن الصغانى أنشدنا لنفسه:

تسربلت سربال القناعة والرضا ٭ صبيا وكانا فى الكهولة ديدنى

قد أخذ عنه الشيخ شرف الدين الدمياطى، ونظام الدين محمود بن عمر الهروى، ومحيى الدين أبو البقاء صالح بن عبد الله بن جعفر بن على بن صالح الاسدى الكوفى المعروف بابن الصباغ، والشيخ برهان الدين محمود بن أبي الخير أسعد

[١] كـ ... فى البغية والفوائد البهية «بالرياسة».

اللغى وشارح «آثار النيرين فى أخبار الصحيحين» وخلق آخرون.

ومن مصنفاته «مشارق الأنوار النبوية فى صحاح الأخبار المصطفوية»، جمع فيه من الأحاديث الصحاح عددا على ما عد الشارح الكاذرونى ألفين وستة وأربعين حديثا. وبين فى أول كل باب أو نوع عدد أحاديثه، وقال هذا كتاب ارتضيه واستضىء بضيائه والعمل بمقتضاه لخزانة المستنصر بن الظاهر بن الناصر بن المستضىء العباسى. أوله الحمد لله محيي الرمم ومجرى القلم إلخ، ذكر فيه أنى لما فرغت من مصباح الدجى والشمس المنيرة ضممت إليهما ما فى كتابى النجم والشهاب لتجتمع الصحاح. قال وهذا الكتاب حجة بينى وبين الله فى الصحة والرضا. ورمز به بالحروف. فالخاء إشارة إلى البخارى والميم لمسلم والقاف لما اتفقا عليه، ورتبه بترتيب أنيق جعله اثنى عشر بابا. الأول على فصلين الأول فى ما ابتدأ بمن الموصولة أو الشرطية. والثانى فيما ابتدأ بمن الاستفهامية، الثانى فى إن وفيه عشرة فصول. الثالث فى لا. الرابع فى إذ وإذا. الخامس فى فصلين الأول فى ما وأنواعها والثانى فى يا وأقسامها. السادس فيه اثنا عشر فصلا فى بعض الكلمات كقدر، ولو، وبين، وهكذا. السابع فيه سبعة عشر فصلا كالمبتدإ والمعروف وما أشبه ذلك. الثامن فيه ستة فصول. التاسع فى العدد ونحوه. العاشر فى الماضى. الحادى عشر فى لام الابتداء. الثانى عشر فى الكلمات القدسية.

وشروحه كثيرة ذكر جملة من ذلك الجلبي فى كشف الظنون ونحن نطوى الكشح عن ذلك روما للاختصار.

ومن مصنفاته مصباح الدجى فى حديث المصطفى، قال الجلبي فى كشف الظنون وهو كتاب محذوف الأسانيد، ومنها الشمس المنيرة وهو أيضا فى الحديث ومنها العباب الزاخر فى اللغة فى عشرين مجلدا، قال الجلبي فى كشف الظنون الصغانى مات قبل أن يكمله، بلغ فيه إلى الميم ووقف فى مادة «بكم»، ولهذا قيل

إن الصغانى الذى * حاز العلوم والحكم
كان قصارى أمره * أن انتهى إلى بكم

قال وترتيبه كصحاح الجوهرى، وقد جمع تاج الدين ابن مكتوم أبو محمد أحمد ابن عبد القادر القيسى الحنفى المتوفى سنة تسع وأربعين وسبعمائة بينه وبين المحكم.

ومنها مجمع البحرين فى اللغة، والنوادر فى اللغة والتراكيب، وأسماء الفارة، وأسماء الأسد، وأسماء الذئب، وله شرح على صحيح البخارى، ودر السحابة فى وفيات الصحابة والعروض وشرح أبيات المفصل وبغية[1] الصديان وكتاب الافتعال، وشرح القلادة السمطية فى توشيح الدريدية، وله كتاب الفرائض، وله رسالتان جمع فيهما الأحاديث الموضوعة. قال الشيخ عبد الحى بن عبد الحليم اللكهنوى فى الفوائد البهية أدرج فيهما كثيرا من الأحاديث غير الموضوعة فعد لذلك من المشددين كابن الجوزى وصاحب سفر السعادة وغيرهما من المحدثين. قال السخاوى فى فتح المغيث بشرح ألفية الحديث ذكر — أى الصاغانى — فيهما أحاديث من الشهاب للقضاعى والنجم للاقليشى وغيرهما كأربعين ابن ودعان (بتقديم الواو على الدال المهملة) والوصية لعلى بن أبى طالب وخطبة الوداع وأحاديث أبى الدنيا الأشج ونسطور ويغنم بن سالم ودينار وسمعان وفيها أيضا من الصحيح والحسن وما فيه ضعف يسير — انتهى. وكانت وفاته سنة خمسين وستمائة.

﴿ الشيخ حسن البدايونى ﴾

الشيخ الصالح حسن بن أبى الحسن البدايونى المشهور بـ «رسن تاب»، ومعناه الفتال كان من رجال العلم والمعرفة. قرأ العلم على القاضى حسام الدين الملتانى، المقبور بمدينة بدايون. وأخذ عن القاضى حميد الدين محمد بن عطاء الناگورى ولازمه مدة من الزمان حتى بلغ رتبة الكمال. وأخذ عنه صنوه بدر الدين أبوبكر

١ — كذا وفى بغية الوعاة «نقعة».

وكان يتكسب بصناعة القتل. مات ودفن ببدايون كما فى مهر جهانتاب.

﴿ حسين خنك سوار الأجميرى ﴾

السيد الشريف حسين بن أبى عبد الله الحسينى المشهدى أحد الرجال المعروفين بالفضل والصلاح. ولاه السلطان شهاب الدين الغورى أو نائبه قطب الدين إيبك على مدينة أجمير حين ملكها، فلم يزل بها إلى أن مات. وأسلم على يده خلق كثير من الوثنيين، فسخط عليه عباد الاصنام وقتلوه. وكانت له محبة صادقة للشيخ معين الدين حسن السجزى صاحبه مدة حياته بتلك المدينة. وكان يدعى بـ « خنگ سوار » معناه راكب الفرس، مات فى عاشر رجب سنة سبع وستمائة كما فى أخبار الأصفياء.

﴿ حسين بن أحمد الأشعرى ﴾

الأمير الكبير عين الملك فخر الدين الحسين بن شرف الملك رضى الدين أبى بكر أحمد الأشعرى، أحد أجواد الدنيا. كان من نسل أبى موسى الأشعرى الصحابى رضى الله تعالى عنه. استوزره السلطان ناصر الدين قباچه ملك السند فخدمه من سنة اثنتين وستمائة إلى سنة خمس وعشرين وستمائة، ولما هلك ناصر الدين وملك بلاده شمس الدين الايلتمش الدهلوى لحق به فاستوزره لولده ركن الدين فيروز شاه.

وكان فاضلا كبيرا محبا لأهل العلم محسنا إليهم. صنف له نور الدين محمد بن محمد العوفى كتابه لباب الألباب سنة سبع عشرة وستمائة.

﴿ الشيخ حسين بن على البخارى ﴾

السيد الشريف جلال الدين الحسين بن على بن جعفر بن محمد بن محمود بن أحمد بن عبد الله بن على بن جعفر بن على بن محمد بن الامام على الرضا كان من

رجال العلم والمعرفة. ولد بمدينة بخارى ونشأ بها وقرأ العلم وتأدب على والده.

ثم قدم الهند مع ولديه على وجعفر، فلما وصل إلى مدينة بهكر زوجه بدر الدين بن صدرالدين الحسينى البهكرى ابنته زهرة، ثم سار إلى ملتان ولقى بها الشيخ بهاء الدين زكريا الملتانى سنة خمس وثلاثين وستمائة، فصحبه ولازمه وأخذ عنه ورجع إلى بهكر. ولما ماتت صاحبته زهرة تزوج بأختها فاطمة. ولبث بمدينة بهكر مدة من الزمان ثم انتقل إلى مدينة إچ لمنازعة كانت بين ذوى قرابته. ورزق ولدين من فاطمة محمدا وأحمد.

وكان عالما كبيرا عارفا فقيها زاهدا صالحا منقطعا إلى الله سبحانه، وكان يدرس ويفيد. أخذ عنه خلق كثير من العلماء والمشايخ. وبارك الله تعالى فى ذريته الصالحة فملأوا آفاق الهند كما فى تذكرة السادة البخارية لعلى أصغر الگجراتى.

وكانت وفاته فى التاسع عشر من جمادى الأولى سنة خمس وتسعين وستمائة كما فى خزينة الأصفياء.

﴿ الشيخ حسام الدين الملتانى ﴾

الشيخ الصالح حسام الدين الملتانى أحد الرجال المشهورين بالعلم والمعرفة. أخذ الطريقة عن الشيخ صدر الدين محمد بن زكريا الملتانى ورحل إلى مدينة بدايون فسكنها ومات بها. وكان رأى فى الرؤيا الصادقة النبى صلى الله عليه وسلم كأنه توضأ على بركة ماء خارج البلدة فتسارع إلى ذلك المقام فرأى فيه الأثر. فأوصى أن يدفنوه بذلك المقام، فلما مات دفن به كما فى فوائد الفؤاد. وكانت وفاته سنة سبع وثمانين وستمائة كما فى خزينة الأصفياء.

﴿ حسام الدين الماريكلى ﴾

الفاضل الحكيم حسام الدين الماريكلى، كان من الأطباء المشهورين فى عصره.

والفضلاء المعروفين يدرس ويفيد ويداوى الناس بدار الملك دهلى فى عهد السلطان غياث الدين بلبن كما فى تاريخ فيروز شاهى .

﴿ الشيخ حميد الدين السوالى ﴾

الشيخ الكبير حميد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن سعيد السعيدى السوالى الشيخ حميد الدين الناگورى الصوفى المشهور بسلطان التاركين وهو أول مولود ولد بدار الملك دهلى بعد ما فتحها قطب الدين إيبك .

وكان من ذرية سعيد بن زيد الصحابى المبشر بالجنة . أخذ عن الشيخ معين الدين حسن السجزى ولازمه زمانا ولقبه الشيخ بسلطان التاركين لزهده فى زخارف الدنيا واستغنائه عن الناس . وكان آية باهرة فى الفقر والقناعة والتبتل إلى الله سبحانه . كانت له أرض فى سُوالى قرية من أعمال ناگور ، وكانت بقدر فدان . كان يزرع فيها ويعمل ما يحصل له منها قوتا له ولعياله . وله مصنفات ومكتوبات إلى أصحابه . وهو أول من صنف من المشايخ الجشتية وأشهر تصانيفه أصول الطريقة .

توفى لليلة بقيت من ربيع الثانى سنة ثلاث وسبعين وستمائة وقبره ببلدة ناگور كما فى أخبار الأخيار .

﴿ حميد الدين المطرزى ﴾

الشيخ الفاضل الكبير حميد الدين الحكيم المطرزى أحد العلماء المبرزين فى النجوم والطب وسائر الفنون الحكمية . لم يكن له نظير فى عصره فى الحذاقة والتدبير ومعرفة الأمراض ووصف الأدوية . قال البرنى فى تاريخه إنه كان بقراط دهره وجالينوس عصره .

﴿ مولانا حميد الدين الماريكلى ﴾

الشيخ الامام حميد الدين الماريكلى أحد الأفاضل المشهورين فى عصره، مات غرة شهر رمضان سنة سبع وخمسين وستمائة فى أيام ناصر الدين محمود بن الايلتمش، كما فى طبقات ناصرى.

﴿ داود بن محمود الاودى ﴾

الشيخ الفقيه الزاهد داود بن محمود الچشتى الأودى، أحد رجال العلم والطريقة. قيل إنه أخذ الطريقة عن الشيخ فريد الدين مسعود الأجودهنى، ونزل فريد الدين فى قريته مرتين عند سفره فى بلاد أودهـ. وكان الشيخ نظام الدين البدايونى يذكره بالخير. قبره بقرية پالهىمؤ، يزار ويتبرك به.

(لها بقية)

التوفيق بين الفلسفة الشرقية والغربية

عقدت يونسكو مجمعا عليا لفلاسفة الشرق والغرب بدلهى فى الشهر الأخير من السنة الماضية لتبادل الأفكار فى تعريف الانسان وفلسفة التعليم فى الشرق والغرب. وقد افتتح المجمع صاحب الفخامة مولانا أبو الكلام آزاد وزير معارف الهند بخطبة. نعربها فيما يلى:

أرحب بكم جميعا إصالة عن نفسى ونيابة عن الحكومة الهندية بسرور عظيم فى هذا المجمع العلمى. وقد تعودت يونسكو من أول يومها أن تعقد جلسات، ومجامع، وحلق لتبحث فى المسائل التى تؤثر فى العلاقات بين الشعوب والبلاد، وترمى بذلك إلى إيجاد حسن التفاهم من طريق التبادل العلمى وبذل التجارب العامة. وهذه الحلقة التى جمعتنا اليوم، تختص بمسئلة أساسية. لقد اجتمع اليوم فلاسفة الشرق والغرب ليتباحثوا فى تصور الانسان نفسه. ومن الذى يستطيع أن ينكر أن المسئلة أساسية فى العصر الحاضر وعلى حلها المرضى يتوقف مستقبل البشر. وهذا ما يزيدنى سرورا فى الترحيب بكم هاهنا فوق هذه الأرض العتيقة، أرض الفلاسفة والعارفين. وأتمنى بكل قلبى أن روح الهند الشهيرة بالحكمة والروحانية يصحبكم موحيا إليكم فى جميع مداولاتكم.

قطع الانسان مسافات شاسعة من حياته الاجتماعية البدائية فى خلال آلاف سنة أو أكثر. وقد شهدت هذه المدة الانسان يتغلب على عقبات جمة كثيرة، ويواجه تحدى الطبيعة الجامدة والعالم الحى. وعلى رغم كل ما صادف الانسان من التقلبات والعوائق خلال المدة، فانه ما زال فى تقدم مستمر مستخلصا من الطبيعة بعض أسرارها الكبرى، ممزقا عن وجه الطبيعة المنو

سترا بعد ستر، وما بقى من أسرارها خفيا عليه، سيخضع لفتوحه عاجلا أو آجلا.

أجل، تقدم الانسان تقدما منتصرا مستمرا فى كشف أسرار الطبيعة، ولكن هل لنا أن نقول كذلك بمثل هذه الثقة أنه نجح فى كشف ملامح نفسه؟ هل لنا أن نقول إن الانسان بعد ستة آلاف سنة من بحثه عن الحقائق، يرى اليوم نفسه كما هو بالحقيقة؟ أظنكم توافقوننى فى الاعتراف المحزن أزاء المسئلة. إن المراية التى صنعها الانسان، تعكس جميع مناظر العالم، إلا منظره الداخلى. فعلينا أن نعترف بأن الانسان لم يستطع إلى الآن أن يرسم لطبيعة نفسه صورة واضحة، فأسرار الكون أكثر جلاء لعينه من أسرار نفسه. يتساءل الفلاسفة من ثلاثة آلاف سنة ما هو الانسان؟ ومن أين جاء؟ وإلى أين يذهب؟ والسوال لا يزال يتطلب الجواب إلى حد كبير. ومن البديهى أن الانسان لا يصل إلى حل مرضى للمسائل الانفرادية، والاجتماعية، والأممية، والدولية إلا بعد أن يعرف بجلاء طبعه ونفسه، ويقرر أى مكان يحتله فى سعة الكون.

﴿ المسئلة الأساسية ﴾

فالمسئلة الأساسية أمامكم هو البحث فى هذه القضية. إنكم اجتمعتم لتناقشوا فى «تعريف الانسان» كما وضعه مفكرو الشرق ومفكرو الغرب. وأحب أن أصرح لكم فى البداية بأننا عندما نقول الشرق والغرب، فانما نقصد به وجهات خاصته لفكرهاتين المنطقتين. ولا يظن ظان من هذا أنه لا يوجد بينهما اتفاق فكرى كبير.

سلك الانسان فى العالم كله طريقا واحدا للتفكر والتعقل، والعقل الانسانى واحد متماثل، وكذلك العواطف الانسانية متشابهة تشابها كبيرا. والارادة الانسانية تعمل عملها بطريقة واحدة فى ظروف متشابهة فى كل مكان، فمن الطبيعى أن يكون الطريقة الانسانية للنظر إلى نفسه وإلى العالم، عامة إلى حد بعيد فى البقاع

المختلفة من الدنيا.

ووجهات نظرهم إلى أسرار الوجود المجهولة كذلك متشابهة إلى حد بعيد. فاليونانيون الذين نظروا إلى قمم أولمبيا بإعجاب وروعة، اشتركوا فى العواطف مع الهنود الذين اعتكفوا فى وديان همالايا ونظروا إلى ثلوجها الخالدة.

وعلى رغم إلمامهم هذا، سلك الفكر الانسانى سبلا مختلفة فى أقطار مختلفة إزاء المسائل العامة. وحتى عندما اتفقت السبل كانت هنالك نزعة لوضع التاكيدات المختلفة على وجهات مختلفة للمسائل العامة ولحلولها العامة. لا يوجد حالان متماثلان من كل الوجوه. فكان لزاما أن يتفاوت إلتفاتهم نحو الوجهات المختلفة للمسائل العامة. وبسبب هذه الاختلافات فى التاكيد والالحاح نحن نعبر عن أسلوب فكرى خاص كميزة خصوصية لشعب خاص أو منطقة خاصة. ومن وجهة النظر هذه سأحاول عرض الاختلافات التى ميزت الشرق عن الغرب. وأظنكم توافقوننى بأنه حتى عندما تكون الحلول متماثلة فى التفصيل والاجمال، توجد اختلافات فى الطيف واللون. وهذا يسوغ لنا أن ندعوا بعض الحلول شرقية والأخرى غربية.

وهنالك، كما قلت، نقاط كثيرة عامة شاملة بين أفكار الفلاسفة فى الشرق والغرب. ولكن وجد كذلك فرق واحد ميز بين الهند واليونان والصين. وهو يصادمنا من بدء التاريخ المكتوب. ففى الهند كان اهتمام الفلاسفة عامة بشعور الانسانى الداخلى. اجتهد فلاسفة الهند أن يعرفوا طبع الانسان الداخلى. وفى محاولتهم هذه ذهبوا وراء مناطق الحواس والادراك، بل وراء العقل. وحاولوا إثبات وحدة الانسان بحقيقة خفية عميقة. وأما فى اليونان فكان اهتمام الفلاسفة عامة بمعرفة طبع العالم الخارجى. فحاولوا تقرير مقام الانسان فى العالم الخارجى. فكان فكرهم عامة خارجى النزعة أكثر من الفكر الهندى. أما الصين فلم يشتغل فلاسفتها بمعرفة طبع الانسان الداخلى ولا بالطبيعة الخارجية، بل بعلاقة

لانسان مع بنى جنسه. فهذه الاختلافات فى وجهات النظر أحدثت تاثيرا عميقا ى تطورات الفلسفة التالية بكل قطر من هذه الأقطار. فنرى اختلافات مدهشة ى تصورات هذه البلاد نحو الانسان.

﴿ التصور اليونانى ﴾

فكر اليونان فى الانسان من وجهة النظر الخارجية، ولذلك نجد الفلسفة ليونانية من أقدم الأزمان تهتم بعمل الانسان أكثر من اهتمامها بما هو الانسان. لا ريب أن بعض الفلاسفة اليونان الأقدمين رأوا الانسان جوهريا ككيان روحانى، وهذا الأسلوب الفكرى ربما ظل شائعا إلى عصر أفلاطون. ولكن بدأ بروز أرسطاطاليس توجيه جديد تحول فيه الاهتمام بتصور الانسان إلى عمله فى العالم الموجود هنا. وأصبحت الفلسفة تحت نفوذ أرسطاطاليس الذى عرف الانسان كحيوان عاقل، أكثر ايجابية. وعلى مر الايام ساد هذا الوضع الفكرى الايجابى الاختبارى فى الغرب. وهو يقول إن العقل هو الذى يميز الانسان عن غيره من الحيوانات، وباستعمال العقل هو ترقى وابتعد عن أصله الحيوانى البدائى، ولكنه على رغم ذلك بقى جوهريا وأساسيا حيوانا مترقيا، وقد أحسن الفيلسوف الألمانى ريهل (Riehl) فى تعبيره عن هذا الرأى، فقال الانسان على رغم تسلسله من الحيوان وصل المرحلة التى يجب عليه فيها أن ينظر إلى الأعلى، لا إلى الأسفل. إنه الحيوان الوحيد الذى يقف منتصبا، ويظل منتصبا ما دام ينظر إلى الأعلى. والله هو المطمح الذى يجب على الانسان الاجتهاد للوصول إليه إن كان يريد المحافظة على قامته الحاضرة!

أجل، كان نفوذ المسيحية وإلحاح التقاليد الأفلاطونية عنصرا قويا فى الفكر الأوروبى. ولذلك نجد المدرسيات فى القرون الوسطى، لاهوتية أكثر من أن تكون فلسفية. وحتى نرى هنالك فى الزمن الحديث ضغطا تصوريا دينيا على الفكر

الأوربي. وقد خف هذا الضغط من بدء العصر الحاضر وأخذ يتقهقر ليترك المجال للنظر الفلسفي تحت التصور العلمي. وقد بدأ التقدم العلمي المنتصر في القرن التاسع عشر يرد في سلطان الانسان على الطبيعة. وقد بهرت الانتصارات العلمية العقل الغربي وأوجدت الايمان بقدرتها المتناهية، فأخذ الغرب يستعمل تصور العلم ووسائله في سائر مسارح التجارب الانسانية، ويعتبر الانسان كمادة مثل غيره من المواد. ومع امتداد الزمن ساد نوع من المزاج المادى والعلمى على التصور الغربي. وقد بلغ هذا التطور أوجه في القرن التاسع عشر والعشرين. فحاول داروين (Darwin) أن يثبت أن الانسان إنما تسلسل من الحيوانات. بينما ألح ماركس (Marx) على أن عقليته من نتاج محيطه الحيواني. وجاء فرويد (Freud) في القرن العشرين فقال لم يتسلسل الانسان من الحيوان فحسب. بل لا تزال عقليته تحافظ إلى اليوم على بقايا أصله الحيواني.

التصوف وويدانتا

وخلافا لهذا التعريف الذى يقول إن الانسان حيوان مترق، نجد في الشرق تعريفا إنسانيا يخالف التعريف الأول مخالفة تامة. وقد ألح الشرق من الأول على روحانية الانسان الذاتية الجوهرية. وأدى التفكير في حقيقة الانسان الداخلية إلى ظهور فلسفة ويدانتا (Vedanta) في الهند، والتصوف في البلاد العربية. وهذا التعريف الروحاني للانسان قد أثر تأثيراً بليغا في عقلية الانسان في الشرق كله، وهو ليس بمجهول حتى في الغرب. وطبقا لوجهة النظر هذه لا يمكن لنا أن نفهم جوهر الانسان إن قلنا إنه وحدة مادية فقط، بل إن ماهيته الحقيقية إنما تدرك إذا تصورناه فيضا إلهيا. وما زال رجحان وحدة الوجود قويا في الفلسفة الشرقية. وترى مدارس الفلسفة الهندية المختلفة أن جميع الأشياء مظاهر لوجود الله، وعلى رغم ذلك تعتبر الانسان من نوع خاص، إذ هو أرفع مظهر لذات

الله. وهو على قول «گيتا»:

«أنت الذى لا يطرأ عليك الفناء، وأنت فوق أن تدرك، وأنت العماد المحيط للكون، وأنت حارس الناموس الخالد، وأنت الشخص الأزلى السرمدى» (١١-١٨).

وكذلك نجد الصوفية يرون الانسان موجة من البحر الذى لا نهاية له، وذلك البحر، هو الله. وهو شعاع من الشمس التى هى الله. والانسان يرى نفسه غير الذات الخالد ما دامت غشاوة الجهل المشئومة على بصره. وبمجرد بزوغ النور، تذهب الفروق كلها ويعرف الانسان أنه برهة من الخلود.

والتعريف الذى وضعه الشرق للانسان، لا يقول بأن الانسان حيوان مشرف على غيره من المخلوقات الأرضية، بل يراه مختلفا عنها فى ماهيته اختلافا أساسيا. ليس الانسان هو الأول بين أنداده، بل وجوده أعلى من كل خلق آخر. إنه ليس بحيوان متقدم، بل يمثل فى وجوده ملامح الله نفسه. والواقع إن ماهيته بلغت من الارتقاء والعلو درجة ليس للعقل الانسانى أن يتصور فوقها درجة. وهو على قول «چاندوگيا أپنيشد» (Chhandogya Upanishad):

«إنه الحقيقة. إنه الروح. إنه أنت!» (٩: ٤).

وهذه العقيدة أجملتها العربية هكذا:

«من عرف نفسه فقد عرف ربه».

وهذا المبدأ إذا تطور، يخلق الفكرة القائلة بأن الانسان ليس خلقاً منعزلا، بل يحتوى على الكون كله. يقول «گيتا»:

«ها! شاهد اليوم الكون كله، المتحرك منه وغير المتحرك، وكل ما تريد يا أرجنا، أن تراه فالكل قد اتحد فى جسدى» (١١-٧).

وقد صرح صوفى بنفس هذا الرأى فقال بالعربية:

وتحسب أنك جرم صغير ٥ وفيك ينطوى العالم الأكبر

والكل يتفق فى أنه لا يمكن تصور الانسان أعلى من هذا. فالله هو الهدف الأعلى للفكر الانسانى. وباثبات شخصية الانسان مع الله، رفع الشرق بتعريفه الانسان إلى مرتبة الألوهية. فالانسان ليس له هدف إلا أن يحقق شخصيته من جديد مع الله. وهو بعمله هذا يصبح أعلى من الخلق كله.

موقف الدين

قد نظرنا إلى الآن فى تعريف الانسان من وجهة النظر الفلسفية الشرقية والغربية. ولنرى الآن باختصار ما يقوله الدين فى المسئلة. أما اليهودية والنصرانية. فنجد التوراة تقول بصراحة إن الله تعالى خلق الانسان على صورته. ومعنى ذلك أن الانسان يشترك فى صفات الله. وقد أثر التصوف فى موقف المسيحية تأثيرا بليغا فكان عائقا للنزعات المادية الغلابة.

أما الاسلام، فنجد فيه آثار هذا التصور نفسه، بل الواقع أن القرآن تقدم خطوة فزاد فى تعظيم الانسان، فهو يعلن أن الانسان ليس على صورة الله فحسب، بل خليفته فى الأرض. فقال الله عند ذكره خلق آدم «إنى جاعل فى الأرض خليفة».

وفكرة خلافة الانسان قد أحدثت أثراً عميقا فى الفلاسفة العرب، ويتشعب من هذا أن للانسان علاقة مباشرة مع الله، وأنه فوق جميع الخلق ومسيطر ليس على الحياة الحيوانية وحدها بل على قوات الطبيعة كذلك. والقرآن يعلن مرة بعد أخرى: «وسخر لكم ما فى السماوات والأرض....» (٤٥-١٣).

ومن المعلوم أن أرسطاطاليس أثر فى أكثر الفلاسفة العرب تأثيرا عميقا.

ولكنهم فى شرحهم لأرسطاطاليس متشبثون تشبثا واضحا بنظرية خلافة الانسان فى الأرض. فهذا ابن سينا وابن رشد يذهبان مذهب أرسطو عقليا، ولكنهما لاتجاههما الروحى الاسلامى يقولان بأن الانسان لاشتراكه فى صفات الله، يبلغ من العلم والسلطان ما لا حد له. والعلماء المسلمون كالغزالى، والرازى، وراغب الأصفهانى وغيرهم، قد زادوا فى تجميل هذه النظرية فى مصنفاتهم الفلسفية.

ويجب علينا على كل حال أن نعترف بأن تعريف الانسان فى ويدانتا والتصوف، وإن كان يرفعه إلى رتبة عالية، ولكن ليس واحد منهما يبرر نفسه من التناقض، فانه من جهة لا يقيم حدا لمواهب الانسان، ومن جهة أخرى يقول بشىء من الجبر يحدد من قدرة الانسان. وسبب هذا التناقض فى تصورهما علاقة الانسان بالله. وذلك بما أن الانسان فيض إلهى، فكل ما يفعله الانسان هو فى النهاية فعل الله. كل ما يقع، يقع بارادة الله. وليس بعد هذا إلا خطوة واحدة ليقال إن الانسان ليس إلا ألعوبة فى يد القدر.

وقد قيل إنه ما عرف به ويدانتا والتصوف، الانسان، وإن كان أدى الى أعلى المدارك الانسانية، ولكنه كذلك عرقل إلى حد ما التقدم الانسانى من الناحية الدينوية. فالقول بوحدة الانسان مع الله جعل المجتمع الانسانى أقل شعورا بالمصائب البشرية التى زعمها وهما محضا، ولذلك كثيرا ما نجد الهيئات الاجتماعية الشرقية غير مبالية بازالة أسباب الأمراض الاجتماعية. وهذا الاعتراض هو الذى ساق بعض المفكرين العصريين إلى أن يحاولوا تنقيح فلسفة ويدانتا وجعلها مبرأة من الجبر.

ومثل هذا التناقض نجد فى التعريف الغربى كذلك. فالفلسفة المادية، يظهر لأول نظرة، أنها تدل على تصور جبرى فى الحياة. لأن ناموس العلة والمعلول

الذى يسيطر على العالم المادى. يجب أن يسيطر على العمل الانسانى أيضا. ونجد هــذا الرجحان بلغ أقصاه فى نظريات «السلوكيين» النفسية (Behaviourists). والعقل الغربى، على كل حال، ثار على مثل هـذا التصور الجبرى، وأبدى نشاطا روحيا، قلما وجد له نظير أو يفوقه نشاط.

ومن الواجبات الأساسية لهذا المجمع أن يفكر كيف نستطيع التوفيق بين هذين التصورين الذين أثرا تأثيرا بالغا فى الفكر الفلسفى والدينى فى الشرق والغرب.

فتصور الشرق عن مركز الانسان، إن جمع مع تصور الغرب عن التقدم، يفتح على الانسان إمكان التقدم اللانهائى من دون التعرض للخطر المتضمن فى سوء استعمال العلم. وكذلك يمكن أن يدل على طريق التجنب من القدرية التى يظهر أنها تتبع التصور الشرقى القائل بوحدة الانسان مع الله.

وليس التصور الشرقى عن مركز الانسان موافقا للتقدم العلمى الغربى فحسب، بل شرحا مفهوما لما يمكن التقدم العلمى. إذ لو كان الانسان حيوانا مترقيا فقط، لكان هنالك حد لتقدمه. ولكنه لما كان شريكا فى الأبدية الالهية، فليس لرقيه حد. فمع هذا التصور يتقدم العلم ظافرا منتصرا ويحل كثيرا من الألغاز التى تقلق بال الانسان حتى هذا اليوم.

وهنالك سبب آخر يجعل التوفيق بين التصور الشرقى والتصور الغربى من أهم ما يمكن للمستقبل الانسانى. العلم بذاته محايد، واكتشافاته يمكن استعمالها للانشاء أو القتل على سواء. يتوقف على عقلية الذى يستعمل العلم أن يخلق جنة جديدة على الأرض، أو يدمر العالم بحريقة عامة شاملة. فان كنا نقول الانسان ليس إلا حيوانا مترقيا، فما الذى يمنعه من استخدام العلم فى مآربه المبنية على المشاعر

التي هو سواء فيها مع الحيوانات؟ ولكن إن قلنا، أنه فيض إلهي، فينبغي له أن لا يستخدم العلم الا للمقاصد الالهية، وهي حصول السلام على الأرض وفلاح جميع البشر.

لقد حاولت أن أشير إلى أن التعريف الشرقي والغربي للانسان نوع من التمجيد والتكريم له. فان كان أحدهما يقرر تفوق وجوده الذاتي، يؤكد آخرهما التقدم الذي حازه والذي يستطيعه بمساعيه الشخصية. إن كان أحدهما يفخم روحانية فطرته فآخرهما يقول بأن التفوق الروحي يلزمه كذلك الأساس المادي. فان استطعنا التوفيق بين تعريفي الشرق والغرب، على رغم اختلافهما في وجهة نظرهما، فليس هنالك ما يمنع تحويل فلسفة التعليم في هاتين المنطقتين إلى أوسع فلسفة تعليمية واسعة تصلح للعالم كله.

﴿ الأنظمة التعليمية الشائعة ﴾

وإن الأنظمة التعليمية الشائعة في الشرق والغرب أوجدت متناقضات مختلفة. فنجد في الشرق اهتماما غير متوازن بالنجاة الفردية. يطلب الفرد العلم ليتخذه وسيلة لخلاص نفسه. وأسلوب الفكر الشرقي مع انشغاله بالنجاة الشخصية، قد قصرت أحيانا في الاهتمام برفاهية المجتمع وتقدمه. ونجد على عكس ذلك الغرب يهتم اهتماما زائدا بالتقدم الاجتماعي. وقد أدى اهتمامه هذا بالرفاهية الاجتماعية إلى تطور مجتمعات استبدادية، تضاءل فيها شأن الأفراد. أما اليوم، وقد قرب العلم بين الشرق والغرب، فمن الضروري أن يعدل الرجحان، سواء كان مائلا إلى الفرد أو إلى المجتمع، وينشأ نظام تعليمي يعطي كلا من الفرد والمجتمع الحق الذي يستحقه.

وفي هذا أهمية التعليم في العصر الحاضر. لقد أثبتت التجربة أن التعليم يستطيع أن يؤثر تأثيرا عميقا في الأفراد، وبواسطة الأفراد، في المجتمعات. إن

لم يكن الفرد شخصية كاملة . فلا يمكن أن يكون المجتمع متناسقا ، فوظيفة التعليم فى العصر الحاضر أن يخلق أفرادا كملا. فى مجتمع كامل، ويساهم فى هذ التطور تصور الشرق والغرب .

وهنالك مسئلة أخرى. أحب أن أوجه فكركم إليها قبل أن أختم كلامى. كثيرا ما سئل هل التعليم وسيلة أم غاية ؟ وأستطيع أن أقول إن الغرب عامه رآه وسيلة، بيما الشرق جعله غاية. فان قلنا إن التعليم وسيلة ، فعلينا أن نبين ما هى الغاية التى هو وسيلة لها؟ والغرب كثيرا ما رأى خير المجتمع هو الغاية. ولكن خير المجتمع. فكرة يمكن شرحها بطرق مختلفة. والقول بأن التعليم وسيلة. حط من قدر التعليم. وإنى أميل إلى القول بأن التصور الشرقى، هو التقدير الصحيح لقيمته. وباتخاذ التعليم غاية ، نحن نعترف بأن العلم واحد من القيم النهائية. ولا أظن أن فلسفيا غربيا ينكر أهمية العلم، ولكن لا يمكن تقديره حق التقدير إلا بالاعتراف بأن التعليم غاية بذاته. وفوق هذا فان هذا الاعتراف يرفع مركز الانسان. فمن وجهة النظر هذه أميل إلى القول بأن نرى التعليم غاية عوضا من أن نراه محض وسيلة لخير خارجى.

والحاصل يرى الشرق، الانسان أنه فيض إلهى، يشترك مع الله فى صفاته السرمدية، وأنه أهل لأن يسخر الخلق كله. أما الغرب فعلى رغم قوله بأنه حيوان. يراه أهلا للتقدم المادى الذى لا نهاية له. وانتصاراته العلمية، تثبت تفوق محسوسا تفوقه على غيره من الخلق، وقد منحته السلطان على الهواء، والبحر والبر. وهذا يسوغ لنا أن نقول إن الغرب أثبت بعمله دعوى الشرق فى شأن الانسان.

ولكن بما أن تصور الغرب لا يلح على أصل الانسان الروحانى، أصبحت انتصاراته العلمية نفسها خطرا على وجوده. وعلى ذلك أن حول ما حازه من

الغربي إلى الروح الشرقي القائل بعلاقة الانسان مع الله ، يصبح العلم آلة ، ليس للتدمير ، بل لتأسيس دعائم الرفاهية الانسانية ، والسلام ، والرقى.

وإنى آمل أن ينجح هـــذا المجمع لفلاسفة الشرق والغرب فى التوفيق بين التصور القائل بالكيان الروحانى للانسان وبين التصور القائل بالتقدم الانسانى المادى اللانهائى. وهكذا يساعد فى تحقيق الملكوت الالهى على الأرض.

ما برعت به الهنـــد

إلى الأدب العربي

بقلم الدكتور زيد أحمد   تعريب عبد الحميد النعماني

مما لا شك فيه أن الهنـــد بدأت تسجل الاكتابات الخطيرة من عنـدهـا والتبرعات القيمة إلى الأدب العربي منذ القرن العاشر من الميلاد حينما كان الحكم للغزنويين، ولكن عهدها بالعطايا يرجع إلى ما قبل الحكم الغزنوى، حيث أهدت إلى الأدب العربي من مفردات اللغة معجما، ومن فرادى الكلمات مجموعة تستحق الذكر والاعتبار مهما كان من الامر طفيفا تفها. ولا بد قبل البسط فى الكلام عنها والافصاح عن الاحصاء والاستقصاء لها من تعرض لعلاقات بين الأرضين: الهند والعرب قبل الحكم الغزنوى.

ما وراء التاريخ

تذكر الأقاصيص والأساطير منذ عهد قـديم أيام، لم يكن فيها للتاريخ عهد ولا كتاب من صلات بين القطرين، و «الأحاديث» و «الأخـبار» الواردة من الرواة ترى بالصراحة وتشهد على أسطورة أن أبانا أبناء البشر، آدم بعد ما خرج من الجنة استقر على قمة من جبل فى جزيرة سيلون[1]، سميت به بعد، فلما تاب الله عليه أتى به إلى عرفات على مقربة من مكة، حيث التقى الحواء المخرجة من الجنة الملقاة إلى جده. ليست الأسطورة هذه برواية دينية فحسب ولا هى تختص بالديانة الاسلامية فقط، ولكنها توجد كذلك فى أسفار التاريخ ومؤلفات الجغرافية. فابن قتيبة، والمقدسى، والياقوت الحموى[2] كلهم يحدثون عنهـا فى مصنفاتهم ويذكرون

١ــ التاريخ الطبرى، الجزء الأول، صفحة ١١٩. التفسير الطبرى، السورة ١ : ٢٨.
٢ــ معارف لابن قتيبة، صفحة ٩.

والمرويات تختلف فيما بينها فى تعيين أرض مات بها آدم. فرواية أو روايتان حان أنه مات بسيلون[1].

وفى الروايات أنه أكثر من سفره إلى مكة حاجا لا أقل من أربعين مرة فى اته وقد عاد كل مرة إلى سيلون[2].

وكذلك تؤكد الروايات أن الحجر الأسود الموضوع فى ركن الكعبة منزل الجنة مع آدم وكان ناصعا متلألأ كالياقوت الأحمر، فجىء به إلى مكة عند أمر الله أن يبنى البيت[3].

وفى رواية أن أرض الهند هى التى كانت مسرحا لما جرى بين هابيل وقابيل[4].

هذه الأساطير وهذه المرويات، وهى فى غاية الصراحة، تقضى أن الهند والعرب الطت وتواصلت منذ ما بدأ البشر يعمرون الأرض واتخذوا من بقاعها فسهم مساكن ومواطن.

﴿ العلاقات التجارية ﴾

إن العلاقات السياسية، وإن قامت واستقامت بين الهند والعرب فى أواخر قرن السابع بعد الميلاد، ولكن الاتصال بين القطرين فيعود عهده إلى القرن سابع قبل الميلاد من طريق التجارة، ولعله فوق ذلك يرجع إلى زمان قبل مان التاريخ[5]، على أن القطرين يختلفان فصيلة ويتباينان لغة اختلافا كليا تباينا نهائيا.

- سبحة المرجان، لغلام على آزاد، طبع بمبائى، الجزء الأول.
- أيضا.
- أيضا.
- أيضا.
- Rawlinson, Intercourse between India and the Western World, firs[t] [ch]apter

إن القطر العربى فيما غبر من الزمان كان ممرا لطريقين من الطرقات الثلاثة للتجارة بين الهند والبلاد الغربية. فالطريق الأول، وكان مبدئه من نهر السند مصبه ينتهى إلى شاطئ الفرات حيث يتصل بفروع من السبل الممتدة إلى مدن الأنطاكية وميناء الشرق الأدنى. وكان لهذا الطريق أكبر اعتبار وأعظم شأن فى حركات الحمل والنقل لدى الدولة البابلية فى أيامها الذهبية، ثم خرب وانقرض بانقراض الدولة وعاد لا يذكر.

والطريق الثانى وهو يسبق الأول شأنا وخطورة، عظمة واعتبارا بالحركات التجارية. يبتدأ من ساحل الهند وينتهى إلى سواحل اليمن وحضرموت. ثم يتوجه نحو سوريا عابرا بجانبه البحر الأحمر حتى يصل إلى أوربا، إما رأسا من ساحل سوريا وإما من طريق مصر والاسكندرية. وكان هذا الطريق فى غاية من الأهمية. وإليه يرجع الفضل الأكبر للجنوب الغربى من القطر العربى حيث كان أهاليه فى رغد من العيش ورخاء متمتعين بهناء الحياة ولذاتها، وما انفك بعد شارعا تجاريا كبيرا إلى أن تم على يد البطالسة تمهيد طريق برى وتمديده بين الهند والاسكندرية[1].

وقد أشار القرآن إلى هذا الطريق الممتد بين السوريا واليمن والعابر أرض الحجاز معبرا عنه بـ «الامام المبين»[2] أى طريق واضح. وذلك ما يراه المفسرون عامة فيعنون به الطريق الواقع بين السوريا واليمن. وآية أخرى كذلك ترى لنا الرخاء واليسر المتفجر من هذا الطريق وتشهد بقوافل تجارية من «سبا» وهى:

«وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى وأياما آمنين» (سبا).

١— Encyclopaedia Britannica (11th edn.) Vol. II, P. 264

٢— القرآن : ٧٩

فسر الامام الطبرى[١] قرى ظاهرة بالقرى المتواصلة (المدن المتوالية) أى متصلة إحداها بأخراها. وهناك شهادة أخرى من القرآن ولو غير مباشرة تدل على تجارة تقوم بها قريش كما فى سورة الايلاف:

«لايلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف».

فمعنى رحلات الشتاء ورحلات الصيف تلك الرحلات التى كانت تقوم بها قريش على الشارع الكبير الذى عبّر عنه القرآن بـ «الامام المبين»[٢].

من الحق أن العرب كانوا على علم بسيلون منذ أمد بعيد، وأن تجارة اللؤلؤ وتجارة الأحجار الكريمة قادتهم إلى تلك الديار النائية عنهم وقد شيد منهم التاجرون موسسات تجارية قبل الاسلام بثلثة قرون[٣]. متى دخل المسلمون الجزيرة وأنى تيسر لهم الوصول إليها؟ إقتراح ليس له جواب، والذى يظهر مما يحدث البلاذرى أن بعض التاجرين من المسلمين كانوا فى سيلون منذ سنوات طوال قبل أن يقوم محمد بن القاسم على وجه السند مهاجما. وكان هذا الهجوم على ما يرى البلاذرى ثأرا بلصوص البحر من دوئبل ونقمة من نهب القرصان سفينة أرسلها حاكم سيلون وهى ملآنة من يتامى المسلمين[٤].

وكنى بالقول صراحة، نظرا إلى الاتصال السياسى بين الهند والعرب، أن الهند مسّت بأرضها أقدام الغزاة من العرب أول مرة أيام الخليفة الثانى (٦٤٤-٦٣٤/٢٣-١٣)، وأن الغزوات العربية لم تطرق إلى داخل البلاد ولم تتوغل فيها حتى عهد الوليد، فقد خضع فى أيامه ملتان وبلاد السند لمحمد بن القاسم (٧١٥-٧٠٥/٩٦-٨٦).

١- تفسير الطبرى، الجزء ٢٢، الصفحة ٥٨.

٢- تفسير الطبرى، الجزء ٣٠، الصفحة ١٩٧.

٣- Encyclopaedia of Islam.

٤- فتوح البلدان، الصفحة ٤٣٥.

﴿ عطايا الهند للأدب العربى ﴾

كل ما ذكر من شؤون الاتصال وأحوال الصلات بين الهند والعرب فيما مضى قبل العهد الغزنوى جعل تخطيط اكتتابات الهند فى تلك الأوان وتصميم تبرعاتها إلى الأدب العربى هين الدرك وميسور المنال كما يأتى.

١ ـ إن رواية هبوط آدم إلى قمة جبل سرانديپ نفسها هى نوع من الاكتتاب. ولما استوطن المسلمون أرض سيلون وتبين لهم ما هنالك من التقاليد المحلية المنوطة بمخفض القمة فكأنهم أرادوا أن يجعلوا من تلك التقاليد ما تلائم معتقدات أنفسهم.

٢ ـ إن المواصلات التجارية بين هذين القطرين قد عرفت اللغة العربية بعدد وفير من الكلمات الهندية وأهدته إليها. ولما كانت من صادرات الهند وسلعها إلى البلاد العربية، العطورات، والأقمشة، والتوابل وأشياء أخرى غيرها، لجأ العرب بالطبع إلى أن يستعيروا لتلك الأشياء كلمات من اللغة الهندية. فمن أمثالها: صندل. مسك. كافور. قرنفل. فلفل، هيل، زنجبيل، جائفل، نارجيل، موز، ليمن. تنبول وغيرها من الكلمات التى عربوها. وفى بعض الأحوال ألحقوا كلمة «هندى» أعقاب الكلمات العربية، كعود هندى، وقسط هندى، وتمر هندى، والكلمة الأخيره صارت تمرند فى اللغة الانكليزية.

إن الأقمشة الهندية كانت تصدر إلى اليمن ومن طريقه إلى الحجاز، فكلمة شاش للقماش القطنى الرفيع (Muslin)، وكلمة شيت للنسيج القطنى المرسوم (Calico)، وكلمة فوطة للقماش المخطط (Striped Cloth)، كلها كلمات عربية من جنس المذكور[1].

إن الملاحة العربية على ساحل الهند أدخلت ستة كلمات كانت هندية الأصل

١ــ تاج العروس: مادة «فوطه»، وأرض القرآن لمولانا السيد سليمان الندوى، باب الحادى عشر فى اللغة العربية

إلى الكتب العربية من الرحلة والجغرافية، فكلمة بارجة التي جمعها بوارج ومعناها لصوص البحر معربة عن الكلمة الهندية «بيرا»، وكذلك كلمة دونيج التي جمعها دوانج ومعناها السفينة الصغيرة عربوها عن الكلمة الهندية «ڈونگی»[1].

ويقول جرجي زيدان العالم العصري المصري الشهير أنه يظهر كأن كلمات الصبح، والضوء، والبهاء، سنسكرتية الأصل، فانها تخلو عن أخوات اللغة العربية ولا توجد فيها[2].

وإن كلمة طوبى التي وردت في القرآن هي اسم للجنة في بعض لغات الهند عند البعض من علماء العربية[3].

وللصارم الهندي شان كبير لدى الناطقين بالضاد، فهم يعبرون عنه بالمهند والهندواني والهندي، وهي الكلمات التي أكثر ما نقرأها في الأدب العربي. وأما «الهندي» فقد بلغت الكلمة بهم مبلغ السحر والافتتان وأنهم كانوا يسمون بها نسائهم تسمية الحب والغرام.

٣- وإن الرقوم أي الأعداد في اللغة العربية لفضل من الهند عظيم ومنة لها كبرى على الأدب العربي، والأدب العربي ما زال شاكرا لها ذاكرا صنيعتها باسم الرقوم الهندية إلى يومنا هذا. كانت الأمة العربية تخط الأعداد بالأحرف بدل الرقوم في كتاباتها حتى القرن الثامن من الميلاد، إلى أن عم البلاد العربية هذا النمط الهندي (للرقوم) ولعله انتشر بين القطر العربي عندما تقدم مفوض هندي بجدول فلكي مختص بعلم الهيئة في بغداد أيام ٧٧٣. وقد أوضح العالم الكبير

١- انظر كتاب الهند للبيروني، صفحة ١٠٢. وعجائب الهند، طبع باريس، صفحة ١١٤، لكلمة «بارجة». والجزء السابع من معجم البلدان للحموي، لغيرها من الكلمات تحت كلمة «كيس». والكلمة الأربعة البقية في كتاب «عرب و هند کے تعلقات» لمولانا السيد سليمان الندوي، صفحة ٦٣.

٢- آداب اللغة العربية. لجرجي زيدان، الجزء الأول، صفحة ٤١.

٣- القاموس وتاج العروس: مادة «طوبى».

محمد بن موسى الخوارزمى مسئلة الأعداد فى اللغة العربية أوائل القرن التاسع. فجرت الرقوم منذ ذاك العهد، وسرت متباطئة الخطوات فى فاتحة الأمر متثاقلة الأقدام. ثم نشطت حتى عمت العالم العربى من أدناه إلى أقصاه[1].

شهد البيرونى بالحق واعترف أن النمط الاسلامى للرقوم مأخوذ من أبدع أساليب الهند[2] ولا ريب أنه انتقل من القطر العربى إلى أوربا التى زعمت أنها رقوم عربية.

٤ - ومن تبرعات الهند إلى الأدب العربى أدوات علم الهيئة ومعداته. من الحق كان للعرب أنفسهم علم فى الهيئة والفلكيات مختص بهم ولعلهم أخذوه عن الكلدانيين. ولكن ليس منا من يأبى تأثير الحضارة الهندية ومدى نفوذها على مدنية العرب أيام القرن الثانى من الهجرة، وكانت الخلافة العباسية يومئذ فى أقصى الكمال من التقدم والارتقاء. وقد بذلوا فى تعريب المصنفات الأجنبية جهد المستطاع. واحتملوا فى سبيل الترجمة عناء فوق الاحتمال. فنقلوا كثيرا من كتب السنسكرتية إلى اللغة العربية. وكتاب «سندهند» أول كتاب من كتب الهيئة خلب العرب واجتذب من عواطفهم إليه. وقد سبق الفزارى (المتوفى ١٥٤/٧٧٠) إلى ترجمته. ثم نقله محمد بن موسى الخوارزمى المذكور إلى العربية. وانتهى الأمر إلى أن وضع البيرونى عليه كتابا سماه بـ «جوامع الموجود لخواطر الهنود فى حساب التنجيم»[3].

٥ - إن علم الطب كذلك سهم خطير غير منقوص من السهام المهمة من الهنود للأدب العربى، والأستاذان الطبيان «چرك» و «ششرت» كما يصرح به الأدب

١— Encyc. Brit. 11th edition. XIX, 867

٢— كتاب الهند، البيرونى، صفحة ٨٢.

٣— Al - Biruni. Chronology of Ancient Nations by the editor, P. 370

السنسكرتي كانا شغلا مركزا عاليا وبلغا مبلغ المراجعة والاستناد في الطب[1]. وقد نقلت كتب كليهما في أواخر القرن الثامن من الميلاد إلى اللغة العربية واستشهد بها الطبيب الشهير أبو بكر الرازي[2] (المتوفى ٩٣٢/٣٢٠)، وقد ذكر ابن النديم عند تأليفه الفهرست[3] خمسة عشر اسما لمن نقلت كتبهم إلى اللغة العربية من مصنفي الهنود، ولم يبق لنا من هذه التراجم تعرف اليوم إلا كتابا وجيزا يبحث عن السموم، اسمه «شنق» وهو موجود في دار الكتب ببرلن متنه[4]. وكما يستنبط من مقدمة الكتاب أنه ترجم أولا من أصله إلى الفارسية بقلم أبي حاتم البلخي للخالد البرمكي في ٨١٥/٢٠٠، ثم نقله عباس بن سعيد الجوهري إلى العربية (٨٢٥–٢١٠)، وقد ذكره الحاجي الخليفة تحت اسم «كتاب السموم»[5]. وأما أصل الكتاب فوجيز جدا لا يتجاوز أربع وثمانين صفحة موزعة على أربع مقالات. فالأولى منها وهي كالمقدمة للكتاب، يقول فيها المصنف، كيف أحدث الأطباء وكونوا من ضروب السموم القتالة وألوانها ليصونوا بها حياة الملوك المقدسة ويحفظوها؟ ويرى المصنف أن أمثال هذه السموم لم تكن توذن إلا أن تأخذ منها الملوك. والمقالة الثانية تبحث عما تعرض وتطرأ من العلامات تحت عوامل السموم ومؤثراتها على اختلاف أنواعها. والمقالة الثالثة ترسم لنا أعداد السموم القاتلة وتدابيرها، مثلا خذ فرخا من أبابيل وحية سامة التهمت الفرخ واجعلها في تنكة نحاسية مطبقة موصدة فأدفنها في مزبلة من سماد البقرة تحت كوم الروث لتفك ما في التنكة بعد أيام معدودات وتنحل فتختمر وتثور، واترك المزيج حتى تجعله الشمس ناشفا يبسا، فأقل كمية منه يكفي للقضاء على من ذاقه حتما. والمقالة

---

1 — Macdonnell's History of Sanskrit Literature, P. 434

2 — أيضاً، الصفحة ٤٢٧.

3 — ابن النديم، الصفحة ٢٧١.

4 — Berlin Catalogue, No. 6411

5 — Khalifah, V, 96

الأخيرة تفصل المعالجة والتدابير ضد السموم فتذكر المضادات والترياق. وقد وضع المصنف وصفة طبية لترياق تكون لمتعاطيها مسيكا لا يؤثر فيه السم أثرا. ويظهر مما كتبه الناسخ على الصفحة النهائية من الكتاب أنه بناء على طلب الخليفة، حذفت من الكتاب عملية فى تربية البنت لو قام بها لمات المجامع بها على الفور، لما فيه من التوحش والبربرية. ولا ينكر ما للكتاب من مزية الخطورة ومسحة الرغبة لما فيه من ضروب الأساليب وصنوف التدابير لابادة الحياة الانسانية فى غابر الزمان.

٦ - كليلة ودمنه وألف ليلة وليلة. كتابان قصصيان يملكان من الأدب السهل مركزا ومبلغا لم يبلغه أى كتاب. فالأول حكاية هندية عربها ابن المقفع أولا من الفارسية فى القرن الثامن من الميلاد، والثانى فمواضيع الكلام منه أكثرها هندية الأصل[١]. وقد أورد ابن النديم أسماء لعدة كتب قصصية نقلت من السنسكرت إلى العربية[٢]. فهذه الكتب كلها كالعطايا المكتوبة فى سجل اكتابات الهند للأدب العربى.

٧ - ولعبة الشطرنج الممثلة دورا هاما فى الأدب العربى كذلك هبة تذكر من الهند وتبرع يعتبر. فالمراجع كلها أكبرها وأوثقها أجمعت على أن الشطرنج كان فى الهند قبل أن يلعب به فى أى مكان غير الهند. والشطرنج كلمة أجنبية لدى الفرس والعرب ولكنها كما لا يخفى مشتقة من كلمة «چترنج» السنسكرتية اشتقاقا فطريا[٣]. وما نبطت وتفرعت من الاستعارات والتشبيهات فى الأدب العربى والفارسى من كلمة شطرنج ما يغنى عن أن يذكر.

٨ - وليكن كتاب الهند للبيرونى[٤] وما يماثله من الكتب من مندرجات قائمة

---

١ — (i) Encyc. of Islam, under Alf laylah wa laylah
(ii) Professor Macdonald. J. R. A. S., 1924, 353

٢ — ابن النديم. الصفحة ٣٠٥.

٣ — Encyc. Brit., under "Chess"

٤ — ولعل ذكر البيرونى وما جادت به قريحته من العلم والأدب كتبرع من الهند إلى الأدب العربى قبل الغزنوى خطأ فى الترتيب التاريخى، ولكن لا بأس به كشهادة عامة فى هذا الفصل إذا استثنينا البيرونى وكتاب الهند ومصنفيها.

تبرعات من الهند، لا لأن الواضع من رجال السند كما ذهب إليه بعض البارعين لمعروفين من كتاب العرب، بل لأن مواضيع مصنفاته وموادها بحذافيرها مأخوذة قتطفة من الهند، وإن اسمه اتحد بالهند اتحاداً يصعب علينا أن نفكر فى ما كنزت ديار الهند من سبائك الأدب العربي مجردين عن فكرنا رسم البيرونى عن ذاكرتنا اسمه، وأن السمعة والصيت التى يتمتع بها عالما فلكيا متضلعا ياضيا إنما ترجع إلى ما استفاد وانتفع وما فحص ودرس من آداب علماء الهند كتبهم. وأنه بما له من المعرفة والاحاطة بعلوم الهند لا يستطيع أحد أن ينكر أياديه على علماء الهند ومعلميها، ودع عنك ما ناله من النصرة والتعضيد من أول سلطان الهند الاسلامية وابنه من اليسر والسهالة ومن قبل الحاشية الغزنوية.

- كان أبو حفص ربيع بن صبيح أحد من تبع التابعين كما تقول به المصطلحات الاسلامية، أى رفيق الرفقاء لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. فأبو حفص هذا هو كما يشهد به أحد الاسناد أول مسلم وضع كتابا[1]، وكان من ثقات رواة الحديث. هاجر فى أواخر أيام الحياة إلى السند وتوفى هناك (٧٧٦/ ١٦٠)[2]. وقد ذكر غلام على آزاد، ورحمان على، ونواب صديق حسن خان فيما كتبوا عنه أنه أول مسلم من العلماء نزل الهند فاستوطنها[3].

وانقلبت بلاد السند كمستعمرة عربية أيام القرن الثالث من الهجرة، وعمرتها لمس من العشيرة غير واحدة فعسى أن ظل هؤلاء المهاجرون المتوطنون متمسكين العربية، كلغتهم الأمية إلى أمد بعيد وعسى أن نشأ فيهم الشعراء. ولكن يا للاسف! م يصل إلينا من حركاتهم الفكرية وفعاليتهم الذهنية لا خطيرة ولا حقيرة، لا من هؤلاء المتوطنين من العرب ولا من أولئك الأهالى الذين تعلموا لغة ولاتهم

[1] - الخليفه. الصفحة ٨٠.
[2] - سبحة المرجان، لآزاد. الصفحة ٣٦.
[3] - أيضاً، ٣٦. وتذكرة، لرحمان على. وأبجد العلوم، لصديق حسن خان.

الموضوع حديثا، ولا غيره من بالطبع. ولا يذكر كتاب فتوح البلدان، عن مثيلاته من الأسفار تحدث عنه ذكرا. ولكن الذى يخمن أن بعض القاطنين من مهاجرى العرب لم يفتهم أبدا أن يقصروا دون وضع كتاب عربى. فالحاجى الخليفة يذكر كتابا موسوما بتاريخ السند من بين الكتب التاريخية التى صنفها المسلمون، ولكنه لا يذكر عن الواضع شيأ ما[1]. وعلى غالب الظن أنه وضعه أحد أعراب من السند. والذى صرح به مولف «ساس نامه» أن مأخذ تأليفه كان كتابا عربيا فى التاريخ وضعه جد رجل التمس إليه ترجمة كتابه إلى اللغة الفارسية. ولعل هذا هو الكتاب الذى نوه عنه الحاجى باسم تاريخ السند. وليس لنا أن نحكم بشىء بالقطع ما دام الأمر لا تؤيده شهادة قاطعة ولا يوثقه سند معتبر.

ارتحل من أهالى السند إلى البلاد العربية عدد غير قليل مثل ما هاجر إلى السند جمع من أبناء العرب، إما عبيدا وإما أحرارا، واتخذوها مقرا لهم وموطنا. ولا نعلم من أحوالهم إلا قليلا. فالسمعانى لم يزد أن أتى باسمين تحت المنسوبين إلى السند[2]، أبو معشر وأبو العطاء أفلح الشاعر السندى، فالأول كان محدثا ومرجعا للسيرة النبوية وكفى بسمو مركزه تقديرا أن الخليفة هارون الرشيد حضر بنفسه احتفال جنازته عندما توفى فشيعها وصلى بالناس صلوة الجنازة. وسنأتى ببعض التفاصيل من ذكر أبى العطاء على موضوع اكتتاب الهند إلى الشعر العربى. والسمعانى يذكر أسماء أخر منسوبة كالمنصورى والدوئبلى، واللاهورى، والهندى ويقول عنها إنها للعلماء والمحدثين، ورواة الحديث إلى من سواهم.

١— الخليفة، صفحة ١٣٣.

٢— كتاب الأنساب، السمعانى، صفحة ٣١٣.

ملحوظة: ذكر جرجى زيدان فى كتابه آداب اللغة العربية فى الجزء الثانى على صفحة ٢٥١ اسم شاعر سندى باسم خوشازم ويقول بالقطع أنه هندى الأصل ولكن يظهر أن ما ذهب إليه جرجى زيدان غير صحيح، طبقا لما قال به السمعانى أن كلمة سندى نعت وكذلك اسم كخوشازم وراجا الهندى الحدث

٣— أيضاً ٢٣٦، ٤٧٩، ٥٤٣، ٥٩٢.

وعندما نزل الهند أبو القاسم المقدسى زائرا فى أواخر القرن العاشر، وجد عديدا من المحدثين فى السند ولقى بهم واختص بالذكر منهم أبا محمد المنصورى[١] الذى كان محدثا ومصنفا لعدة كتب.

فهــذه الأحاديث وهؤلاء المحـدثون، الأهالى كانوا أم النازلون، وما رووا وما دونوا من كتب الحديث، إن كل ذلك إلا كأول قسط من أقساط التبرعات من الهند إلى الأدب العربى.

أما أبو العطـاء أفلح السندى الذى عرفناه آنفا مع أبى معشر المحدث فكان مولى لبنى الأسـد وكان شاعرا مجيـدا، كفى باجادته تحسينا أن اختار أبو تمـام الحبيب ثلثة أبيات من أشعاره لديوانه «الحماسة» مقتبسا منها.

وقد آثر صاحب الأغانى[٢] فخصص من كتابه لذكره خمس صفحات، وهو من الشعراء الذين مدحوا بنى أمية وقرضوا فيهم من القصائد والأشعار. وترعرع أبو العطاء وازدهر عنـدما ذبلت من بنى أمية نضارتهـا، وذوى من دولتها ماءها ومرعاها. فعاش بعد ما فقد من ناصريه الأمويين إلى أن أدرك من بنى العباس خليفتين الأولين، وانتقل إلى رحمة الله أيام المنصور. ونهض أبو العطـاء باذلا جهد المستطاع منشدا بكل حماسة وحمية قصائد يمدح فيها أوليائه الجدد، ولكنهم لم يرضوا بذلك عنه، لما أسلف منه من قريض مسرف مدح به أعدائهم الغابرين — اسمه أفلح وكنيته أبو العطـاء. وكان فى لسانه نوعا من العقدة لا تمكنه أن يتلفظ ببعض الأحرف بمخارجها كالجيم والشين، وكانت أشعاره معجبة مستحسنة من الناس إلى أرقى درجات الاعجاب والاستحسان، ولكنه لم يكن لينشـدها أمام

١ — أحسن التقاسيم، المقدسى، ٤٧٩.
٢ — كتاب الأغانى.

فرحا الناس لعقدة من لسانه. فاتفق له مرة أن فرح به رجل «سليمان» فرحا منحه مدفوعا به ولدا جيلا يدعى بالعطاء، يسمع به أناشيده فاطمأن الشاعر به واستراح إليه وأصبح الولد خير ساعد لمسيساته، فأعجبه وأحبه حتى اتخذه ابنا له وتكنى به. وكان للناس فى عقدة لسانه متعة يلذون لها ويعبثون بها، ولكنه كان دقيق الحس قوى الشعور، فلم يكن يؤذن لأحد أن يلتمس التلفظ بتلك الكلمات المحددة. وأما مكيدة حماد الراوى الشهير التى تمكن بها على أن يتلفظ أبو العطاء بما أبى أن يفوه بها فلا حاجة إلى ذكره.

فأشعار أبى العطاء أفلح السندى هى كذلك من التبرعات التى قدمتها الهند إلى الأدب العربى قبل العهد الغزنوى.

من أخبار الهند الثقافية

افتتحت وزيرة صحة الهند جناحا خاصا بالطلاب فى مصح السل الحكومى فى نمبارم فى الهند الجنوبية، وهو أول جناح عصرى من نوعه فى آسيا. وسيفتح مثل هذا الجناح فى كل من ميسور وشيلانگ. وتتجلى أهمية هذه الأجنحة فى تمكين الطلبة المصابين بالسل من تتبع دراستهم أثناء بقائهم فى المصح، إذ ألحقت بالجناح الخاص بهم غرفة مطالعة ومكتبة.

* * *

أهدى وزير الهند المفوض فى فنلندا تسعين كتابا إلى جامعة هلسنكى قائلا إنه يؤمل بأنها ستزيد المعلومات عن الهند وتعزز العلاقات بين البلدين، فأجاب عميد الجامعة قائلا «إننا نتشرف كثيرا بهذه الهدية التى تضيف شيئا ثمينا إلى مكتبتنا» هذا وإن معظم الكتب التى أهدتها الهند باللغة الانكليزية، ومواضيعها تدور حول تاريخ الهند واقتصادياتها وصناعتها وتجارتها وفنونها وآدابها وفلسفتها وقصص نادرة. وبين هذه الكتب كتاب من تأليف رئيس الجمهورية وآخر من تأليف نهرو وبضعة كتب من تأليف غاندى وطاغور.

* * *

صرح معالى الدكتور نجيب الله خان سفير الأفغان فى الهند. بمناسبة الاحتفال باليوبيل الفضى لمجلس النساء الوطنى الهندى قائلا، إن جميع شئوننا الرئيسية تتوقف على مساهمة نسائنا فيها مساهمة فعالة، وإن ما جرى فى القرون الماضية من أعمال فى آسيا باسم الأديان لخنق حرية المرأة ومنعها من القيام بدورها فى الحياة كان بمثابة ضربة وجهت لمبادئ الأديان نفسها. وأشار السفير إلى الأعمال المجيدة التى

أنجزها مجلس النساء الوطنى فى الهند فى حقل الخدمات الاجتماعية والعناية بالطفل ورفع مستوى القرويين الثقافى والنشاط الفنى والخدمات الصحية والطبية وأعمال الاسعاف وإعادة الاسكان. فقال إن هذه الأعمال لم تنل تقدير وإعجاب سكان المدن من المتعلمين فحسب بل القرويين أيضا. وأبلغ معاليه المجلس النسائى الهندى أخلص تهانى جمعيتى الترفيه الاجتماعى والعناية بالطفل فى أفغانستان.

اشترك فى مدينة بونا فلاسفة أجانب شهيرون فى مجمع «إدراك المرء وفلسفة الثقافة الشرقية والغربية» ومن جملتهم فلاسفة الهند. وقد أكد الفلاسفة الحاجة إلى تعليم غير متحيز لكل الأديان فى المدارس ودراسة التاريخ لذاته بغية إزالة الفروق والخصومات بين الشرق والغرب.

فى أول شهر من السنة الجارية انعقدت بمدينة كلكتا الدورة التاسعة والثلاثون لمؤتمر العلوم الهندى. وقد شهر المؤتمر نحو ٤٠٠ مندوب هندى. وألقى البندت نهرو فى المؤتمر كلمة قال فيها، على العلماء فى جميع أنحاء العالم أن يدرسوا بعناية موضوع الربط بين التقدم الفنى ودراسة الانسان، فدراسة الانسان لم تتمش مع العلوم الأخرى إلى الآن. تحدث فى العالم اليوم أمور كثيرة لا يرضى عنها الناس فبينما نرى تقدما مطردا فى بعض الميادين. نشاهد استعدادات ضخمة فى ميدان آخر للتدمير والتخريب.

° ° °

افتتح رئيس جمهورية الهند حديثا مركز الأطفال الثقافى فى بومباى. وهذا المركز يضم مكتبة ومسرحا لعرض الأفلام السينمائية وحديقة داخلية للرياضة واللعب فى الهواء الطلق، كما يضم مكتبة تحوى كتبا ومجلات خاصة بالأطفال بجميع اللغات التى تتكلم بها ولايات الهند، وغرفة مطالعة مؤثثة بأثاث وريش

بسيطة، وضعت تصميماتها خاصة للأطفال. وقد خصصت حكومة بومباى لهذا المركز مبلغا، قدره ٧١،٠٠٠ روبية.

٭ ٭ ٭

يجرب الدكتور س. ت. بنرجى بكلكتا تجاربه لاسقاط المطر الصناعى تحت اشراف المجلس الهندى للأبحاث العلمية والصناعية. وقد أقيمت لهذا الغرض غرفتان. ارتفاع كل منهما ٢٧ قدما تمثل فيهما عملية المطر الطبيعى تمثيلا دقيقا.

٭

اجتمع فى دلهى أخيرا علماء، قدموا من جميع جامعاتها الكبرى لدراسة مشكلة زراعة صحراء راجپوتانا التى ثبت أن تربتها خصبة صالحة للزراعة. وذكر رئيس لجنة الرى والكهرباء المركزية أن راجستان تشغل ما يقرب من ١١٪ من مساحة الهند كلها، وتأوى ٥٪ من مجموع سكانها، ولكن ندرة الماء الشديدة جعلت من تاريخ المنطقة سلسلة متصلة من المجاعات والقحط.

٭

قررت مؤسسة كستوربا غاندى الوطنية التذكارية (وهى التى أسست تخليد لذكرى زوجة المهاتما غاندى) أن تنفق مبلغ ١،٨٠٠،٠٠٠ روبية هذا العام على عدد من مشروعات الاصلاح الاجتماعى. وسيخصص من هذا المبلغ ٣٠٠ ألف روبية لتدريب النساء على التوليد، وكيفية رفع مستوى المعيشة فى الريف. ومما يذكر لهذه المؤسسة بالفخر أنها تدير حاليا ٢٩٠ مركزا من مراكز الترقية فى طول الهند وعرضها.

٭ ٭ ٭

اتخذت الاجراءات العاجلة لاصلاح تصدع لوحظ مؤخراً فى جانب إحدى مآذن مسجد الجمعة بدلهى الذى كان شيد منذ ٣٠٠ سنة. وستعنى دائرة الآثار التابعة للحكومة الهندية فى قيامها بأعمال الترميم على أن تحافظ على طراز وفن بناء

المسجد المذكور الذى بنى على الطراز المغولى . وكان قد شيد بين عامى ٥٠ - ١٦٤٨ . وذلك عقب بناء القصر الملكى الذى أمر ببنائه الأمبراطور شاه جهان المغرم بالتعمير . وقد كتب عن المسجد فرجيوسن قائلا «إنه من المساجد التى يندر وجودها فى الهند أو فى أى مكان آخر من حيث تصميمه وروعته» !

° °

تألفت فى مدينة «لكناؤ» جمعية تعرف باسم «جمعية نشر اللغة العربية» ترمى إلى تعميم اللغة العربية الحديثة فى أرجاء الهند .

اجتمع فى دلهى الجديدة أخيرا معلمون من جميع أنحاء آسيا فى هيئة مؤتمر يعقد تحت إشراف الأمم المتحدة . وقد صرح مندوب «بورما» بأن الهند قامت بخطوة مدنية ممتازة يجدر بالآخرين أن يقلدوها ، وأبدى أمله فى أن يعقد اجتماع قادم فى بورما . وعبر وفد إيران عن تقديره للمودة والكرم اللذين أبدتهما الهند . وقال «منذ ١,٦٠٠ سنة قدمت إلى الهند بعثة إيرانية للبحث عن المؤلفات النفيسة . ثم عادت بها لتنشر الثقافة الهندية والرسالة الروحية فى العالم الغربى» .

ثقافة الهند

يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية

المجلد الثالث | سبتمبر سنة ١٩٥٢ | العدد الثانى

محتويات هذا العدد

الصفحة

بحوث المسلمين العلمية فى المساحة التطبيقية (Geodesy)

تعريب مقال الأستاذ السيد حسن البرنى

نشر المجمع الايرانى بكلكتا مجلدا ضخما لاحياء ذكرى أبى الريحان البيرونى بمناسبة مرور ألف سنة على ميلاده. جمع فيه مقالات العلماء المستشرقين البارزين فى شأن البيرونى وأعماله العلمية الجيدة. وقد اخترنا منها أوليها. وهى هذه المقالة التى نعربها لقرائنا، بعد حذف بعض الحواشى والذيول الثلاثة للمؤلف — المدير.

«وإنما فعلت ما هو واجب على كل إنسان أن يعمله فى صناعة من تقبل اجتهاد من تقدمه بالمنة، وتصحيح خلل إن عثر عليه بلا حشمة.... وتخليد ما يلوح له فيها تذكرة لمن تأخر عنه بالزمان، وأتى بعده». — (البيرونى فى القانون المسعودى)

إن تاريخ العلوم، كغيره من الأعمال الانسانية العظيمة، لحكاية مجازفة متسلسلة لا نهاية لها. وقد تساهم أحسن العقول من شعوب وبلاد شتى فى عصور مختلفة فى ترقية العلوم بأسهم مختلفة. والدور الذى لعبه المسلمون فى تاريخهم القديم لا يزال ينتظر أن يعترف به. إذ جل ما اعترف لهم به هو أنهم كانوا ناقلى حكمة الغرب والشرق العتيقة[1]، فى حين أن سهمهم الحقيق فى ترقية العلوم لأكبر

---

[1] — مثلا قال المفكر والكاتب الشهير، رسل (Bertrand Russel) فى الباب العاشر المخصص للثقافة والفلسفة الاسلامية من كتابه «تاريخ الفلسفة الغربية»: «وكانت المدنية الاسلامية أيام مجدها تستحق الاستحسان والاعجاب فى الفنون الجميلة وفى كثير من الصناعات والفنون، ولكنها لم تظهر أهلية التفكر المستقل فى الأمور العلمية والنظرية». وكذلك يقول «وجل أهميتها، التى لا ينبغى بخس قدرها، فى كونها كالناقل» — (ص ٤٤٨).

بكثير من سهم الوسيط. ولو أن حفظ العلوم العتيقة المختلفة ونقلها سليمة كاملة للعصور الحديثة، لفضل كبير بذاته، ولكن المسلمين فى برهات قد فعلوا أكثر من ذلك، فحسنوا العلوم القديمة، وحصلوا على نتائج أحسن أو أوثق ممن سبقهم، وفى برهات أخرى فتحوا ميادين جديدة، وابتكروا أفكارا جديدة، بل أحدثوا علوما لم يكن لها أثر ولا خبر قبل. وإن من واجبات المؤرخ المحايد النزيه أن يزن بصحة أعمالهم ومحصلاتهم العلمية.

وقد تدرجت العلوم التى نعرفها إلى موقفها الحاضر خطوة بعد خطوة بطرق معوجة ذات عوائق كثيرة. غير أن تقدمها، لحقيقة ثابتة. ولكل خطوة إلى الأمام، لها خطورتها، لأنها تخلف ورائها تراث مكاسب حقيقية، إن ادخرت ادخارا صحيحا. تقدم اكتتابها الذاتى للمخزن العام، وعلمنا الحاضر كذلك تعتبره الأجيال الآتية منظرا خلفيا عندما تسبقنا كثيرا فى المعرفة، بعد أن ترث منا تراثا قيما من الأرباح الصافية. وكذلك نحن مدينون كثيرا للماضى، والطريق الوحيد لمكافاتهم هو اعترافنا بالخطورة الحقيقية للأتعاب السابقة. وتقدير مشكور منا للجهابزة العظام من الأجيال السالفة.

هذه الملاحظات التمهيدية لا صلة لها مباشرة بدرسنا الحاضر الذى يعالج أتعاب الملكيين المسلمين فى ميدان المساحة التطبيقية (Geodesy)، العلم الذى يعالج شكل الأرض، وحجمها، وانحنائها. وهو فرع لعلم الهيئة (Astronomy) والجغرافية الطبيعية (Physical Geography) على السواء. وهما العلمان اللذان اهتم بهما المسلمون اهتماما زائدا، وخلفوا بعض النتائج البارزة. وقد قاموا فى فن المساحة التطبيقية نفسه ببحوث جليلة، وهى لا تزال تنتظر المعالجة التامة الصحيحة، وإن كان تعرض لها بعض الدارسين أحيانا.

وقد انفرد بأحسن المعالجة بين المستشرقين العالم الايطالى الكبير نلينو (C.A. Nallino) مؤلف البيرونى ومترجمه[1]، وصاحب المحاضرات القيمة التى ألقاها فى الجامعة المصرية فى السنتين ١٩٠٩ و ١٩١٠ بعنوان «علم الفلك، تاريخه عند العرب فى القرون الوسطى».

وكذلك حاول كاتب هذه السطور معالجة الموضوع معالجة حرة مفصلة من بعض الوجوه فى الطبعة الثانية لمؤلفه «حياة البيرونى». وها إنى أتناول الآن الموضوع من جديد. لأنه بجنب ما تحصل حديثا من المواد الجديدة الهامة، قد راجعت ونقحت وغربلت سائر المعلومات السابقة، وأصلحتها، بل صححت أحيانا دراساتى ومباحثى الماضية.

فالدراسة الحاضرة، مع ما انتفعت فيها بدراساتى السابقة وبدراسات «نلينو» القيمة، جديدة جوهريا فى محتوياتها ومعالجتها. وقد اجتهدت أن أجعلها كاملة مستوعبة إلى حد المستطاع، ولذلك أكثرت فيها من اقتباس النصوص الأصلية من النسخ الخطية أو الكتب المطبوعة.

والفلكيون المسلمون من المتأخرين[2]، وإن قاموا بالبحث فى المساحة التطبيقية، إلا أن الهدف الأعلى منه قد سبقهم إليه الفلكيون الممتازون جدا فى العصر المأمونى، وكما سبق إليه أكبر الفلكيين والرياضين بين المسلمين على الاطلاق، ألا وهو البيرونى الذى تحتل دراساته العلمية أعلى مكان على الدوام، وتستحق منا اهتماما خاصا، لأنها كثيرا ما تبحث بقطرنا — مسرح أهم دراساته الجيودسية، وكذلك مسرح أتعابه الشاقة الأخرى فى ساحات اللغة والأدب والعلوم والثقافة

١ — «كتاب الزيج الصابي» (البتانى) روما، ١٨٨٩.
٢ — فمثلا أرسل ألغ بيك، قوشجى إلى الصين ليقيس دائرة قوس. ذكرت نتائج مباحثهم فى مؤلفى «البيرونى» (الطبعة الثانية).

الشعب الهندوسى العتيق الذى خلف عنه بيانا جد ثمين فى مؤلفه التذكارى الفخم الشهير به «كتاب الهند» (Indica of A-Birune).

الجيوديسى فى العصر الحاضر، علم مستقل بذاته، فله أخصائيون، وجامع خصصت له كلية. وكان له قبل الحرب نظام عالمى[1].

وقد علم العلماء منذ ٢٫٥٠٠ سنة، إن لم يكن أكثر، بأن الأرض مدورة كرة فى شكلها. فقد كان هذا معروفا لدى الفلكيين القدماء من اليونان والهند، ومنهم علمه علماء العالم الذين جاءوا بعدهم. والفلكيون المسلمون الذين اقتبسوا فى البداية علمهم من هذين المنبعين الأصليين، قبلوا ذلك حالا واجتهدوا فى إثباته بأحسن الدلائل وأحدثها. ولكن هؤلاء الفلكيين من اليونان، والهنود، والمسلمين ظنوا الأرض كروية تامة. وقدر للفلكيين العصريين: كنيوتن (Newton) وغيره الذين جاءوا بعده لأن يكتشفوا ويقرروا بأن الأرض ليست كروية تماما بل مفلطحة تشبه بشكلها الخصوصى (Geoid) مع انخفاض على نهايتيها عند فوق القطبين، وانتفاخ خط الاستواء.

وبمجرد ما علم أن الأرض كرة، بادر الفلكيون إلى معرفة مساحتها الحقيقية. وعندنا تقارير عن مثل هذه المساحات لقدماء اليونان والهند. وبما لدينا من العلم عن الوسائل التى اتخذوها لهذا الغرض والنتائج التى وصلوا إليها، يصح لنا أن نقول إن نتائجهم كانت قليلا أو كثيرا من نوع التجربة، وليست بمحكمة متقنة. ومفخرة الوصول إلى المساحة الحقيقية تقريبا كانت مقدرة للمسلمين فقد لجأ الفلكيون منهم إلى وسائل واضحة، فأولا باشروا مساحة قوس ذى دائرة ومعرفة قدره الحقيقى، وثانياً عملوا بواسطة عملية حساب المثلثات جد العويصة الطول

[1] – راجع المقالة على "Geodesy" فى دائرة المعارف البريطانية.

الحقيقى انصف قطر الأرض، ومنه طول قطر الدائرة ومحيط الدائرة، وأخيراً استنتجوا مساحة كرة الأرض كلها وحجمها.

وقد اتبع الطريقة الأولى الفلكيون المأمونيون فى أوائل القرن الثالث من الهجرة (النصف الأول من القرن التاسع الميلادى)، والطريقة الثانية هى طريقة البيرونى فى أوائل القرن الخامس من الهجرة (أوائل القرن الحادى عشر الميلادى).

إن فن المساحة التطبيقية قد خطى خطوات واسعة فى العصر الحاضر، ولكن كما سبقت الاشارة إليه. اتخذ القدماء كذلك نصف قطر الأرض كوحدة لمساحاتهم الفلكية.

وقد حاول من بين قدماء اليونان ديكيركس (Dicaerchos) (٣٢٠ ق.م.) و ايراتوستين (Eratosthenes) (٣٩٥ ق.م.) وهباركس (Hipparchus) (١٦٠ ق.م) ... مساحة الأرض بطرق مختلفة. ويخبرنا أرسطاطاليس بأن الفلكيين القدماء قدروا دائرة نصف النهار بـ ٤٠٠،٠٠٠ ستاديا ووجدها ايراتوسنين ٢٥٠،٠٠٠ ستاديا، و بوسى دوسنيس (Posedonius) (٥٧ ق.م.) ٢٤٠،٠٠٠ ستاديا، أما بطليموس، (١٥١ م.) أشهر الفلكيين الأسكندريين، فقد وجد الدرجة الواحدة ٥٠٠ ستاديا ومحيط الدائرة ١٨٠،٠٠٠ ستاديا[١].

أما الهندوس الذين اشتغلوا كذلك بالموضوع، فوجد آريا بهتا (ق. م وهو أشهر من عرف من فلكييهم. قطر دائرة الأرض ١،٠٥٠ يوجنا ومحيط الدائرة ٣،٣٦٤ يوجنا. ويقول مؤلف «سدهانتا» إن قطر الدائرة ١،٦٠٠ يوجنا. ويقول «برهما گپتا» (القرن الخامس أو السادس الميلادى) مرة إن محيط الدائرة ٥٠٠٠

١ — راجع المباحث اليونانية، محاضرات نلينو.

جنا ومرة أخرى ٤٫٨٠٠ يوجنا. وقطر الدائرة ١٫٥٨١ يوجنا. ويذكر بهشكر أچاريا»، وهو آخر الفلكيين العظام من الهندوس، والظاهر أنه يقصد ى برهماگپتا إن قطر الدائرة $\frac{1}{24}$ ١٫٥٨١ يوجنا ومحيط الدائرة ٤٫٩٦٧[1].

وقد تفاوت طول ستاديا اليونانى ويوجنا الهندى باختلاف الزمان والمكان، يست لدينا معلومات يقينية نمتحن بها ونجزم بنتائجها بالدقة واليقين. وقد ماولنا فى مكان آخر (حياة البيرونى ص ١٩٩-٢٠١) درسها درسا قياسيا، ولكنا عترف بأنه لا سبيل إلى البت فى صحة نتائجها. وكل ما نستطيع أن نقول الآن و إنها كانت من نوع التجربة، وإن بعضها أقرب إلى الحقيقة من بعض.

ويظهر لنا أنه ربما كان آريا بهتا من الهندوس، و (Posedonius) من اليونان د وصلا إلى أحسن النتائج، وإن بقيا بعيدين جدا من التقدير الصحيح.

وقد بدأ الاهتمام الحقيقى فى المسلمين بالدراسات الفلكية فى أواسط القرن الثانى بعد قيام الخلافة العباسية، وبلغ أوجه فى عصر المأمون الكبير الذهبى. وقد كان الخليفة (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م) النصير الحق لسائر العلوم فى زمنه. وقد استقى مسلمو ذلك العصر الأول جل علمهم بالفلك أولا من الهند ثم من المنابع الفارسية واليونانية.

وقد وجدوا بعد أن أسرعوا إلى قبول نظرية كروية الأرض بطبية القلب أن ما وصلهم من القدماء عن مساحة الأرض يختلف اختلافا شديدا، ولا يمكن التميز بينها لجهلهم أطوال آلات المساحة عند القدماء، متمر الفلكيون المسلمون عن سواعدهم ليكشفوا بأنفسهم وبطريقتهم مساحات الأرض الحقيقية.

[1] – راجع (Hindu Astronomy) سنة ٨٩٦. ص ١٢٠ و ١٩٨ و ١٩٣، وكتاب الهند للبيرونى (النص العربى، ص ١٦٠ و ١٦١، وترجمته الانكليزية ج ١، ص ٣١٢ و ٣١٣).

وقد كان بأمر المأمون نفسه أن عمد فلكيوه المشهورون لأول مرة فى تاريخ العالم إلى العملية العلمية البحتة المتقنة ليقيسوا جزءا من دائرة نصف النهار، ويحققوا بواسطته محيط الدائرة وكذلك قطرها. لقد كانوا أعظم الفلكيين فى عصرهم حقا. وأثبتوا أيضا بما وصلوا إليه من النتائج، أنهم كانوا أساتذة كاملين فى صنعتهم.

وإنهم ربما دونوا مفصلا عملياتهم، ولكن من الأسف تلفت تقريبا جميع تلك النصوص الأصلية، بل تلفت كذلك الشهادات المعاصرة[1] لها، ولعله لم يبق أمل فى العثور عليها. ولذلك أصبحنا عالة على الكتاب المتأخرين فى معلوماتنا. ويظهر أن لبعضهم كان اتصال بهم فخلفوا بيانات قيمة. ولدينا منها عدد، وقليل منها مستقلة بذاتها لأهميتها، وأكثرها ثانوية، اقتبست من منابع متوسطة أخرى. ويظهر لأول نظرة أن هنالك اختلافات فى التفاصيل حتى فى أحسن مراجعنا الموجودة. ولكن قبل أن نعالج هذه الاختلافات ونحاول التوفيق بينها، أو نصل إلى نتائجنا النهائية، يجب علينا أن ندرس المواد الموجودة كلها، ثم نحكم بجدارة كل منها.

ولعل أقدم شهادة[2] وجدت فى «مروج الذهب» للمسعودى الذى يقول:

---

١ — والاستثناء الوحيد، هو حبش الذى عاش له مؤلف، وهو «الزيج» (Opus Astronomicum) فى المكتبة الامبراطورية ببرلين (راجع ترجمة نليبو للبتانى، القسم الأول ص LXVI).

٢ — والأول بالضبط فى الترتيب هو ما ذكر فى المؤلف الطبى «فردوس الحكمة» (برلين ١٩٢٨) لأبى الحسن على بن سهل ربان الطبرى (وسط القرن التاسع الميلادى). فانه يقول عن مساحة الأرض فى الصفحة ٥٤٧ من الباب المتعلق باستدارة المحيط السماوى وكرة الأرض ما يأتى:

«قال بطلاميوس وغيره من الفلاسفة إن الأرض، والماء، وسائر الطبائع مستديرة كرية، و... استدلوه الأرض كلها. وجبالها، وبحارها أربعة وعشرين ألف ميل، وإن قطرها. وعمقها وعرضها سبعة آلاف وستة وثلاثين ميلا. وإنهم إنما استدركوا علم ذلك بأنهم أخذوا ارتفاع القطب الشمالى فى مدينتين هما على خط واحد من خط الاستواء، مثل مدينة تدمر والرقة، فوجدوا ارتفاع القطب فى مدينة تدمر أربعة وثلاثين جزءا، وفى مدينة الرقة خمسة وثلاثين جزءا وثلث جزء، بينهما زيادة جزء وثلث. ثم مسحوا مابين الرقة وتدمر، فوجدوا سبعة وستين ميلا، فعلموا أن لكل جزء وثلث جزء من أجزاء الفلك الأعظم (مثل ذلك)». [بقية التعليق على الصفحة ...]

«ذكر حبش المنجم صاحب كتاب الزيج فى النجوم عن خالد بن عبد الله المروزى وغيره، وقد كانوا رصدوا الشمس لأمير المؤمنين المأمون فى برية سنجار من بلاد ديار ربيعة، أن مقدار درجة واحدة من وجه الأرض ستة وخمسون ميلا، فضربوا مقدار درجة واحدة فى ثلاثمائة وستين، فوجدوا دور منطقة كرة الأرض المحيطة بالبر والبحر عشرين ألف ميل ومائة وستين ميلا. ثم ضربوا دور الأرض سبعة فاجتمع مائة ألف وأحد وأربعون ألف ميل ومائة وعشرون ميلا، فقسموا ذلك على اثنين وعشرين، وخرج القسم الذى هو مقدار قطر الأرض ستة آلاف وأربعمائة وأربعة عشر ميلا ونصف عشر بالتقريب، ونصف قطر الأرض ثلاثة آلاف ميل ومائتا ميل وسبعة أميال وست عشرة دقيقة وثلثا ثانية، يكون ربع ميل وربع عشر ميل. والميل أربع آلاف ذراع بالأسود، وهى الذراع التى وضعها أمير المؤمنين المأمون للثياب، ومساحة البناء، وقسمة المنازل. والذراع مائة وعشرون أصبعا»[1].

وعاد المسعودى إلى الموضوع فى مؤلفه المتأخر «كتاب التنبيه والاشراف» فقال:

ـفة التعليق السابق)

وقد نقل المسعودى فى «مروج الذهب» هذا القول حرفيا باختلاف طفيف جدا. (راجع المجلد الأول ص ٧٥ طبعة بغداد).

والمؤلف مع كونه من أطباء الاسلام الكبار، إلا أنه، كما هو ظاهر، ليس متضلعاً بالعلوم الفلكية والرياضية ولذلك نجد قوله المذكور آنفا لا يخلو من الاضطراب والخطأ. والظاهر أنه اعتمد على بعض الروايات الشائعة فى عصره عن المساحة فى زمن المأمون قام بها الفلكيون بين تدمر والرقة. وهو مخطىء بداهة فى بيان طول الدرجة، إلا أن نقول إن الناسخين أخطأوا، فكتبوا عدد ٧٧ مكان عدد ٦٧، إذ الأول على رغم كونه يزيد زيادة يعتد بها، قريب من طول الدرجة وثلث الدرجة كما حققه بعثة واحدة من فلكى المأمون.

وإنا نترك الأمر على حاله، لأنه ينجلى بتقدمنا فى دراستنا هذه.

[1] ـ المجلد الاول. ص ١١٨ و ١١٩ على حاشية تاريخ ابن اثير (القاهرة) و ص ٧٣ طبع بغداد.

«وفيما ذكرناه من مقدار حصة الدرجة من الأميال تنازع، فمنهم من رأى أن ذلك سبعة وثمانون ميلا، ومنهم من رأى أن ذلك ستة وخمسون ميلا وثلثى ميل. والمعول فى ذلك على ما حكيناه عن بطليموس» (ص ٢٦-٢٧).

ويأتى بعده ما ذكره الفلكى المسلم المصرى الكبير، ابن يونس (سنة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٠ م) فى كتابه «الزيج الكبير» المهدى إلى الخليفة الفاطمى، الحاكم بأمر الله. ننقله فيما يلى من نسخة خطية فريدة (١٤٢. عدد ١,٠٥٧ المجلد الثالث من الفهرس المطبوع لمكتبة ليدن) كما اقتبسه نلينو (ص ٢١٨ من المحاضرات):

«الكلام فى ما بين الأماكن من الذرع

«ذكر سند بن على فى كلام وجدته له أن المأمون أمره هو وخالد بن عبد الملك المروروذى أن يقيسا مقدار درجة من أعظم دائرة من دوائر سطح كرة الأرض. قال فسرنا لذلك جميعا، وأمر على بن عيسى الأسطرلابى وعلى بن البخترى بمثل ذلك. فسارا إلى ناحية أخرى.

«قال سند بن على، فسرت أنا وخالد بن عبد الملك إلى ما بين وامة (الرقة) وتدمر، وقسنا هنالك مقدار درجة من أعظم دائرة تمر بسطح الأرض. فكان سبعة وخمسين ميلا، وقاس على بن عيسى وعلى بن البخترى، فوجدا مثل ذلك. وورد الكتابان من الناحيتين فى ذلك فى وقت واحد بقياستين متفقتين.

«وذكر أحمد بن عبد الله المعروف بحبش فى الكتاب الذى ذكر فيه أرصاد الممتحن بدمشق أن المأمون أمر بأن تقاس درجة من أعظم دائرة من دوائر بسيط كرة الأرض. قال فساروا لذلك فى برية سنجار، حتى اختلف ارتفاع النهار بين القياسين فى يوم واحد بدرجة. ثم قاسوا ما بين المكانين فكان «نو» ميلا وربع ميل، و (كل ميل) منها أربعة آلاف ذراع بالذراع

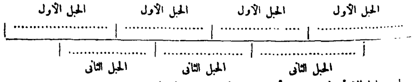
السوداء التى اتخذها المأمون .

« وأقول أنا ، وبالله التوفيق ، إن هـــذا القياس ليس بمطلق ، بل يحتاج* مع اختلاف ارتفاعى نصف النهار بدرجة إلى أن يكون القائسون جميعا فى سطح دائرة واحدة من دوائر نصف النهـار . والسبيل إلى ذلك بعد أن نختـار للقياس مكانا معتدلا ضاحيا ، أن نستخرج خط نصف النهار فى المكان الذى يبتدى منـه القياس ، ثم نتخـذ حبلين دقيقين جيدين ، طول كل واحد منها نحـو خمسـين ذراعا ، ثم نمر إحــداهما موازيا بالخط نصف النهـار الذى استخرجناه إلى أن ينتهى ، ثم نضع طرف الحبـل الآخر فى وسطـه ، ونمره راكبا عليه إلى حيث بلغ ، ثم نرفع الحبل الأول ونضع أيضا طرفه فى وسط الحبل الثانى ونمره راكبا عليه ، ثم نفعل دائما ليحفظ السمت ، وارتفاع نصف النهار يتغير دائما بين المكان الأول الذى استخرج فيه خط نصف النهار والمكان الثانى الذى انتهى إليه الذين يسيرون ، حتى إذا كان بين ارتفاعى نصف النهار فى يوم واحد درجة بآلتين صحيحتين ، تبين الدقيقة فى كل واحدة منها قيس ما بين المكانين ، فما كان من الأذرع فهو درجة واحـدة من أوسع دائرة تمر ببسيط كرة الأرض .[1]

« وقد يمكن أن يحفظ السمت عوضا من الحبلين بأشخاص ثلاثة تسير بعضها بعض على سمت خط نصف النهار المستخرج ، وينقل أقربها من البصر متقدما ،

---

[1] — وهذه العملية لحفظ السمت يمكن توضيحها بشكل هندسى كهذا :



وليس علينا إلا أن نحرص على أن يذهب الحبلان على خط واحد .

ثم الذى يليه. ثم الثالث دائما إن شاء الله تعالى[١].»

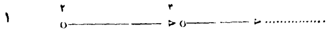
وقد حوت مؤلفات البيرونى تفاصيل المباحث العلمية فى العصر المأمونى نعرف منها أربعة على الأقل. نقتبس منها حسب ترتيبها التاريخى.

لجا. فى كتابه «تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات الأماكن» (٤١٦ هـ — ١٠٢٥-١٠٢٦ م) الذى يوجد نسخته الفريدة بخط المؤلف فى جامع الفاتح باستنبول (نمرة ٣٣٨٦). ونشر اقتباسات منه زكى وليدى توجان فى «صفة المعمورة على البيرونى»[٢] وهو كما يلى:

«وإنما رصد المأمون كان لما طالع من كتب اليونانيين حصة الجزء الواحد خمس مائة استاذيا. وهو مقدار لهم، كانوا يقدرون بها المسافات، ولم يجد عند المترجمين علما شافيا بمقداره بما يتعارف عليه حينئذ، أمر على ما حكى حبش عن خالد المروروذى، جماعة من علماء الصناعة، وحذاق الصناع من النجارين والصفارين بعمل الآلات. واختيار موضع لهذه المساحة، فاختير موضع من برية سنجار من حدود الموصل، يبعد عن قصبتها تسعة عشر فرسخا، وعن سُرّ من رأى ثلاثة وأربعين فرسخا. فارتضوا استواءها، وحملوا الآلات إليها، وعينوا منها موضعا رصدوا بها ارتفاع الشمس نصف النهار، ثم افترقوا منه فرقتين. فتوجه خالد مع طائفة من المساح والصناع إلى جهة القطب الشمالى، وتوجه على بن عيسى الأصطرلابى، وأحمد بن البخترى الذراع مع جماعة نحو

---

١ — لنوضح هذا كذلك بشكل هندسى:



يسير الثانى نحو الثالث، والاول يسير نحو الثانى، والثالث يتقدم نحو المكان الآخر الذى يحل به ثم مرة أخرى، يتبعه الثالث، وهكذا دائما.

٢ — No. 53 Memoirs, Archaeological Survey of India
(صفة المعمورة على البيرونى — ملتقات من القانون وغيره)

القطب الجنوبى، ورصدت كل طائفة منها ارتفاع الشمس نصف النهار، حتى وجدوه قد تغير جزءا واحدا، سوى التغير الحادث من الميل، وكانوا يذرعون الطريق فى ذهابهم وينصبون السهام على طريقهم، فلما عادوا اعتبروا المساحة ثانية، واجتمعت الطائفتان حيث افترقتا، فوجدوا حصة الجزء الواحد من الأرض ستة وخمسين ميلا، وزعم أنه سمع خالدا يملى ذلك على يحيى بن أكثم القاضى، فالتقطه منه سماعا. وهكذا حكاه أبو حامد الصغانى عن ثابت بن قرة. وحكى عن الفرغانى ثلثا ميل تتبع الأميال المذكورة.

«وكذلك وجدت الحكايات كلها مطبقة على هذين الثلثين، ولا يجوز أن أحمل ذلك على سقوطه من نسخة كتاب الأبعاد والأجرام، لأن حبش استخرج من ذلك دور الأرض، وقطرها، وسائر الأبعاد، وإذا امتحنت وجدت حاصله ثمن الستة والخمسين ميلا للجزء الحاصل، بل أولى من ذلك أن يظن بالروايتين صدور عن الفرقتين، وهو موضع تحير باعث على تجديد الامتحان والرصد، ومن لى به، وهو محتاج إلى إقتدار بسبب الانبساط فى دهستان المصاقب لجرجان، وبين المكان، والاحتراس من غوائل المنتشرين فيه. وكنت أخترت له البقاع التى بين ديار الأتراك الغزية، فلم يساعد المقادير ثم الهمم المسترفدة على ذلك» — (ص ٦٥-٦٦).

وجاء فى «كتاب التفهيم لصناعة التنجيم» للبيرونى نفسه ألفه فى اللغتين، العربية والفارسية. وإنى اقتبس فيما يلى من النص الفارسى الذى طبع فى إيران حديثا:

«فكم مساحة الارض؟

«يكفى لمعرفة أجرام النجوم وأبعادها، أن تتخذ الأرض أو قطرها كمقياس مفرد وذلك كما تتخذ بالقياس بحجر أو ذراع أو كيل مقياسا مقرراً.

• ولكن إن أراد مريد أن يعرفها بالأبعاد المعروفة المصطلحة بين الناس، فليعلم أن قطر الأرض ٢,١٦٣ فرسخ وثلثا فرسخ. ومحيطها ٦,٨٠٠ فرسخ. وبهذا الحساب مساحة سطح الأرض من الخارج بالأذرعة المربعة ١٤,٧١٢,٧٢٧ فرسخ وربع فرسخ. ومساحة جرمها كله (ككرة) بضرب الذراع بالذراع أي المكعب. ١٦٦,٧٤٤,٢٤٢ فرسخ وخمسا فرسخ.

• ولما كان الأمر هكذا. خذ بعد الكوكب واضربه في النصف من قطر الأرض وقطر الكوكب في فراسخ قطر الأرض، وجرم الكوكب في مساحة كرة الأرض.

• هل هنالك اختلاف في مساحة الأرض؟

• نعم. لا مناص من الاختلاف، لأنه من الأمور التي يتوقف أولا على تحقيق المحيط ثم على أشياء أخرى من الأرض.

• وقد عرف ذلك كل شعب بالمقاييس الشائعة فيه، فمثلا عرفته اليونان بـ "أستاذيا" والهند بـ "يوجنا".

• ولما عربت الكتب، ولم تعرف العرب هذه المقاييس، أمر الخليفة المأمون بن هارون الرشيد بمساحة الأرض من جديد، فأرسل بعضا من علماء عصره كخالد المروروذي، وأبي البختري الذراع، وعلي بن عيسى الأصطرلابي وأمثالهم إلى برية سنجار، فقاموا بمهمتهم فوجدوا طول الجزء الواحد من الدائرة العظمى ستة وخمسين ميل وثلثي ميلا. وضربوه في ٣٦٠ فخرج محيط الأرض ٢٠,٤٠٠. والفرسخ، ثلاثة أميال، والميل ٤,٠٠٠ ذراع أسود. والذراع الأسود، قياس معروف بالعراق. يقيس به الناس الأماكن في بغداد. وهو يساوي أربعة وعشرين أصبعا. وقد حققت ذلك أنا بأرض الهند بطرق أخرى، فلم أجده يختلف كثيرا عن القدر الذي ذكرته آنفا. —

(ص ١٥٦-١٦٤).

وعاد البيرونى إلى الموضوع مفصلا فى أعظم مؤلفاته «القانون المسعودى». وقد ا من عبارة البيرونى نفسه فى رسالة كتبها لصديق له عن مؤلفات الرازى يب، والتى ذكر فيها مفصلا عدد مؤلفاته إلى سنة ٤٢٧ هـ (١٠٣٥-١٠٣٦ م)[١] لم يتم تأليف «القانون» إلى ذاك الحين، ولكن مساحة الأرض استجلبت بهاته الخصوصية، وكان قد ألف كتابا صغيرا يحتوى على ١٨٠ صفحة فى ضوع، وهو «مقالة[٢] فى استخراج قدر الأرض برصد انحطاط الأفق من قلل بال» ذكره فى فهرسه.

ولكنا لا نعلم هل كان أعلم بالموضوع حين تاليفه «القانون» مما كتبه فى حديد. وإن كنا نعلم أنه سبق له تاليف كتاب كذيل وشرح لزيج الحبش، وهو كميل زيج حبش بالعلل وتهذيب أعماله» جمع فيه الأدلة لذلك التاليف الشهير صلح خلله. ولا بد أن يكون كتاب البيرونى هذا ضخما، إذ الثلث منه يحتوى على سمائة صفحة. وذلك الزيج هو نفس «زيج الممتحن» الذى ذكره ابن يونس.[٣]

وبحد فى «القانون» ذكر مساحة الأرض فى مكانين. أحدهما مقتضب ا يتعلق باستدلاله ضد دورة الأرض على محورها (المقالة الأولى، والباب ى) حيث تعرض للدلائل التى قدمها فلكى مسلم معاصر — ذكر اسمه فى كان آخر[٤] — يؤمن بهذه النظرية، وقد استدل على صحتها بالأمر الواقع، وذلك . ثقلا واقعا على الأرض من العلى، لا ينزل عمودا، بل دائما مائلا إلى

---

١ – رسالة البيرونى فهرست كتب محمد بن زكريا الرازى، تصحيح پ-كراوس - باريز سنة ١٩٣٦.
(Epitre de Beruni publie par Paul Kraus, Paris, 1936

٢ – الآثار الباقية (مقدمة زخاو، ص ٣١).

٣ – يقول المسعودى إن حبش ألف زيجات ثلاثه. ولكن إذا قيل زيج حبش مطلقا، فالمراد به «الممتحن».

٤ – واسم هذا الفلكى الماهر، أبو سعيد أحمد بن محمد بن عبد الجليل السجزى.

الشرق. والعبارة كلها لمن الأهمية بمكان من وجوه كثيرة، ولكنى أكتفى هنا باقتباس ما هو متعلق بالموضوع وحده:

«فأما أنا فقد شاهدت أحد من مال إلى نصرة هذا الرأى من المبرزين فى علم الهيئة. لم يلتزم نزول الثقيل إلى الأرض على القطر عمودا على وجهها. بل محرفا على زوايا مختلفة. لا ضبط فيه ولا تحفظ. وأن الرجل رأى للثقل المنفصل عن الأرض حركتين: إحداهما دورية لما فى طبيعة الجز من تقبل الكل فى خواصه. والأخرى مستقيمة لانجذابه إلى معدنه.. . ولهذا من اعتقاد قوم لهم وإيرادهم فيه الشبهة أرى تقديم معرفة مقدار دور الأرض.... وذلك باعتبار أراطستانوس سبعمائة إستاديا، كما فى كتاب «البرهان لجالينوس. وعلى ما ذكره بطليموس فى كتاب «صورة الأرض» خمسمائة لكن معنى هذا الاسم غير معلوم بما عندنا من المقادير.

«فلهذا جدد الامتحان فى أيام المأمون. فوجدوا لتلك الزاوية وحصتها ستة وخمسين ميلا وثلثى ميل. الميل أربعة ألف ذراع سوداء، هى أربعة وعشرون أصبعا. والهند يذهبون فى هذه الأميال إلى قريب من ضعفها.

«والعيان أولى من الخبر. فقد اعتبرت ذلك بأرضهم، وحصلت مقدار انحطاط قلة جبل ميرنه (نندنا) معلوم العمود، استخرجت منه قدر تلك الزاوية. فحام حول السبعة والخمسين ميلا، ولذلك اعتمدنا الامتحان الموصلى[1]».

وينبغى أن نذكر هنا قبل أن نتقدم أن أقوال البيرونى فى طول القوس ؟ حققه بنفسه، يختلف اختلافا قليلا فى كتاباته المختلفة سنبحث فيه فيما بعد. ولكن

١ — الاشارة، كما لا يخفى، إلى البعثة التى قدرت القوس بسنجار على مقربة من الموصل.

نجد إلى الآن ما يؤيد قول نلينو بأن ذلك الطول عند البيرونى ثمانية وخمسون ميلا عربيا[١].

والظاهر أن كارا دى واكس (M. Cara de Vaux) كذلك اتبع نلينو ووقع فى خطأ مثل خطأه.

ولكن نلينو عندما امتحن بالأسس النسبية (Logarithms) ما وصل إليه البيرونى. وجده ٥٦٫٠٩٤، أى الذى قاله البيرونى فى الاقتباس المتقدم.

وقد عالج البيرونى بتفصيل موضوع مساحة المأمون قوس الأرض فى الباب التاسع من المقالة الخامسة فى القانون — فى معرفة دور الأرض بالأجزاء الاصطلاحية.

وإن اقتباس هذا وغيره من القانون، ماخوذ من النسخة الخطية التى كتبت سنة ٥٦٢ ﻫ (١١٦٦-١١٦٧م)[٢] وكانت عارية من الكلية الاسلامية بعلى كره (الجامعة الاسلامية الآن) إلى مكتبة ليدن، وتوجد الآن فى مكتبة برلين الحكومية، وصلت إليها على يد طالب مجهول باعها لها بثمن غال، وقد قابلت الاقتباسات نسخة أخرى حديثة العهد فى مكتبة الجامعة الاسلامية بعلى كره، وكانت ملكا للسيد محمود، الابن الشهير للسير سيد أحمد خان.

«الباب التاسع

«فى معرفة دور الأرض بالأجزاء الاصطلاحية

«كرة الأرض فى وسط كرة السماء. فالزوايا الكائنة على مركز العالم يفصل من كلتيهما قطعا متشابهة، سواء كانت سطوحا محازية للزوايا المجسمة، أو كانت

---

١ – يقول نلينو (ص ٢٩٢):
«فاستنبط أن مقدار درجة من خط نصف النهار، ثمانية وخمسون ميلا على التقريب».

٢ – لوصف هذه النسخة الخطية، راجع مؤلفى «البيرونى» ص ١٣٦ و ١٣٨.

قسيا مقابلة للزوايا المسطحة. والقسى المتشابهة تتفاضل فى العظم بحسب البعد عن المركز.

«ويختلف ذكر الأمم لمقادير القسى الأرضيه بما اصطلحوا عليه فى تقدير المسافات، فما من بقعة إلا ولأهلها فى الذراع الذى يحملونها معهم فصلا. أما بعدها أقاويل لعسر هاهنا حصرها، بل يتعذر على جامعها تحصيلها، ثم لا يثبت فيهم على الأحقاب والقرون، إنما يتغير فى قليل من الزمان.

«ولم يتصل بنا فى هذا الباب كلام مسند إلى ذوى التحصيل غير ما ورد من جهة الروم والهند، وكل واحد فيها مخالف الآخر بمقدار لا يكاد تجد له وجها.

«وقد قدر الهند دور الأرض بمسافة يشتمل على ثمانية أميال من أميالنا. واختلف رأيهم فى كل دور، فذكر فى كل واحد من سدهاندهم الخمسة بخلاف ما فى آخره. وقدره الروم بمقدار سموه إسطاديا، وزعم جالينوس أن أراطستانوس قدر به ما بين بلدى أسوان والاسكندرية، فانهما على خط واحد من خطوط النصف النهار مثل بلدى تدمُر والرقة. ومتى جمع ما فى كتاب البرهان لجالينوس إلى ما فى كل واحد من كتاب بطليموس، المدخل فى الصناعة الكرية وكتابه فى صورة الأرض، تفاوتت المقادير أيضا. على أن أسماء تقديراتهم إذا وقعت إلينا، لم يكن يهتدى بها قومنا بسبب اللغة واختلاف المفسرين فيها.

«وهذا، والتفاوت العظيم بين رأى الفريقين فيها هو الذى بعث فيها المأمون ابن الرشيد على تجديد الاعتبار فى برية سنجار فى أرض الموصل على يد جماعة من المتقدمين فى هذه الصناعة. فقصدوا معرفة ما يخص قوسا من دائرة عظمى معلوم النسبة إلى كل الدور من أذرع أو أميال أو فراسخ.

«وكل من لزم فى مسيره طريقا مستقيما على قاع أمت فقد سلك محيط دائرة عظيمة. إلا أن لزومها بالاطلاق يصعب لخفاء العوج، فيما بعد من الأبعاد، ولتغير السمت فى كل جزء ومن الدوائر العظام ما خلا خط الاستواء وخطوط أنصاف النهار.

«ولذلك اعتمدوا قطب الكل فى الاستقبال والاستدبار، وراعوا الشرائط التى بها تصح استقامة السير بالنهار والسرى بالليل. وحين احتاطوا وجدوا حصة الجزء من الثلاثمائة والستين المفروضة لكل الدور ستة وخمسون ميلا، وثلثى ميل. كل ميل منها أربعة ألف ذراع، تعرف بالسوداء، وتقدر بأربعة وعشرين أصبعا، لمساحة الديار والبيوت ببغداد. وكل ثلاثة أميال منها فرسخ. ولذلك يكون أذرع هذا الجزء مائتى وست عشرين ألفا وستمائة وست وستين ذراعا وثلثى ذراع. وفراسخه ثمانية عشرة فرسخا وثلث وخمسين دقيقة، وأذرع الدور كله ٨١,٦٠٠,٠٠٠، وأمياله ٢٠,٤٠٠ وفراسخه ٦,٨٠٠[١]».

هذا هو أحسن ما نقل عن مساحة المأمون قوس دائرة نصف النهار، ولكن الموضوع جلب أنظار الذين ليسوا من أصحاب الصناعة، فنسمع صداه فى مؤلفات المؤرخين وأصحاب التراجم، والأدباء. فهذا ابن خلكان يقول فى «كتاب الوفيات» فى أحوال محمد بن موسى بن شاكر:

«أبو عبد الله محمد بن موسى بن شاكر، أحد الاخوة الثلاثة الذين ينسب إليهم 'حيل بنى موسى' وهم مشهورون بها. واسم أخويه أحمد والحسن، وكانت لهم همم عالية فى تحصيل العلوم القديمة وكتب الأوائل، وأتعبوا أنفسهم فى شأنها، وأنفذوا إلى بلاد الروم من أخرجها لهم، وأحضروا النقلة من

[١] — والبيرونى. وإن لم يصرح بأن المقادير المذكورة آنفا بالذراع العربى، من تقديره الذى جهد له، ولكننا لا نشك مطلقا أن هذا كله من عمله الذى بناه على ستة وخمسين وثلثين. وإيضاحنا التالى سيجلى ذلك القارى.

الأصقاع الشاسعة والأماكن البعيدة بالبذل السنى، فأظهروا عجائب الحكمة. وكان الغالب عليهم من العلوم، الهندسة والحيل والحركات وموسيقى والنجوم. وهو الأقل. ولهم فى الحيل كتاب عجيب نادر. يشتمل على كل غريبة. ولقد وقفت عليه. فوجدته من أحسن الكتب وأمتعها، هو مجلد واحد.

«ومما اختصوا فى ملة الاسلام وأخرجوه من القوة إلى الفعل، وإن كان أرباب الأرصاد المتقدمون على الاسلام قد فعلوه، لكنه لم ينقل أن أحداً من أهل هذه الملة قصده له وفعله إلا هم. وهو أن المأمون كان مغرى بعلوم الأوائل وتحقيقها، ورأى فيها أن دور كرة الأرض أربعة وعشرون ألف ميل. كل ثلاثة أميال فرسخ. فيكون المجموع ثمانية آلاف فرسخ. بحيث لو وضع طرف حبل على أى نقطة كانت من الأرض، وأدرنا الحبل على كرة الأرض، حتى انتهينا بالطرف الآخر إلى ذلك الموضع من الأرض. والتقى طرفا الحبل. فاذا مسحنا ذلك الحبل كان طوله أربعة وعشرين ألف ميل

«فأراد المأمون أن يقف على حقيقة ذلك، فسأل بنى موسى المذكورين عنه. فقالوا نعم، هذا قطعى. وقال أريد منكم أن تعملوا الطريق الذى ذكره المتقدمون، حتى نبصر هل يتحرر ذلك أم لا؟ فسألوا عن الأراضى المتساوية فى أى بلاد هى؟ فقيل لهم صحراء سنجار فى غاية الاستواء، وكذلك وطأت الكوفة. فأخذوا معهم جماعة ممن يثق المأمون إلى أقوالهم، ويركن إلى معرفتهم بهذه الصناعة. وخرجوا إلى سنجار وجاءوا إلى الصحراء المذكورة. فوقفوا فى موضع منها، فاتخذوا ارتفاع القطب الشمالى ببعض الآلات، وضربوا فى ذلك الموضع وتدا. وربطوا فيه حبلا طويلا، ثم مشوا إلى الجهة الشمالية على استواء الأرض من غير انحراف إلى اليمين واليسار حسب الامكان. فلما فرغ الحبل، نصبوا فى الأرض وتدا آخر، وربطوا فيه حبلا طويلا

ومشوا إلى جهة الشمال أيضا كفعلهم الأول، ولم يزل ذلك دأبهم حتى انتهوا إلى موضع أخذوا فيه ارتفاع القطب المذكور، فوجدوه قد زاد على الارتفاع الأول درجة، فمسحوا ذلك القدر الذى قدروه من الأرض بالحبال، فبلغ ستة وستين ميلا وثلثى ميل. فعلموا أن كل درجة من درج الفلك[1] تقابلها من سطح الأرض ستة وستون ميلا وثلثان. ثم عادوا إلى الموضع الذى ضربوا فيه الوتد الأول وشدوا فيه حبلا. وتوجهوا إلى جهة الجنوب ومشوا على الاستقامة، وعملوا كما عملوا فى جهة الشمال من نصب الأوتاد وشد الحبال حتى فرغت الحبال التى استعملوها فى جهة الشمال، ثم اتخذوا الارتفاع. فوجدوا القطب الشمالى قد نقص عن ارتفاعه الأول درجة، فصح حسابهم، وحققوا ما قصدوه من ذلك.

«وهذا إذا وقف عليه من له يد فى علم الهيئة ظهر له حقيقة ذلك، ومن المعلوم أن عدد درج الفلك ثلاثمائة وستون درجة. لأن الفلك مقسوم باثنى عشر بروجا، وكل برج ثلاثون درجة. فتكون الجملة أربعة وعشرين ألف ميل. وهى ثمانية آلاف فرسخ. وهذا محقق لا شك فيه.

«فلما عاد بنو موسى إلى المأمون وأخبروه بما صنعوا. وكان موافقه لما رآه فى الكتب القديمة من استخراج الأوائل، طلب تحقيق ذلك فى موضع آخر، فسيرهم إلى أرض الكوفة، وفعلوا كما فعلوا فى سنجار. وتوافق الحسابان، فعلم المأمون صحة ما حرره القدماء فى ذلك.»[2]

---

[1] — والأصح أن يقال ان كل درجة من دائرة المحيط الكروى العظيم. والكلمة فى النص هى «درج» لا «برج».

[2] — وقال ابن خلكان فى مكان آخر (المجلد الثالث ص ٧٢ و ٧٣ من الترجمة الانكليزية «De Slane») إن مدار الأرض ٨,٠٠٠ فرسخ، فان وضع رأس حبل فى أى مكان من الأرض وادير الحبل حول الأرض كلها، يساوى الحبل ٢٤,٠٠٠ ألف ميل أو ٨,٠٠٠ فرسخ.

«وتوفى محمد المذكور فى شهر ربيع الأول سنة تسع وخمسين مائة، رحمه الله تعالى. والله أعلم بالصواب». — (الوفيات المطبوعة فى مطبع الميمنية سنة ١٣١٠ هـ ج ٢ ص ٧٩-٨٠).

وحكاية ابن خلكان هذه عن مساحة الأرض ببنى موسى، قد انتقدها نلينو انتقادا شديدا من وجوه مختلفة[1].

ونحن لا نعلم من أين استقى ابن خلكان معلوماته فى الموضوع. وفى قوله خطأ ظاهر. وذلك طول القوس الذى قاسه منجمو المأمون. فيقول ابن خلكان أنه ستة وستون ميلا وثلثا ميل. وليس هذا مجرد جرى القلم، فكتبه مكان ستة وخمسين ميلا وثلثى ميل. المقدار الذى نسب عامة إلى أولئك الفلكيين. بل إنه استعاضة من مقاييس العصر المأمونى لمقاييس بطليموس الذى قال إن طول الدرجة ستة وستون ميلا وثلثا ميل وطول المحيط ٢٤,٠٠٠ ميل.[2]

وفى مثل هذا الخطأ وقع كل من المسعودى وابن رستة فى أقوالهما التى ذكرناها آنفا.

وقد وصف باختصار دى وابوكس (M. Carra de Vaux) مستندا على بيانات مختلفة ومستفيدا بمباحث نلينو، إجراءات المأمون فى كتابه الممتع (Les Penseurs de l'Islam) (ج ٣ ص ٢٧-٢٩) أترجم منه نبذة فيما يلى:

«أراد الخليفة المأمون أن يعالج مسئلة محيط الأرض من جديد، فأمر جماعة من العلماء أن يقيسوا درجة من دائرة نصف النهار. والطريقة التى اتبعوها كانت خلاف الطريقة التى لجأ إليها القدماء.

---

١ — المحاضرات ص ٢٨٦.

٢ — واجع محاضرات نلينو ص ٢٧٨ و ٢٧٩.

«فاجتمع العلماء فى برية واسعة، وافترقوا فرقتين.. ذهبت واحدة منها إلى الشمال — إلى القطب رأسا لحد درجة واحدة من الارتفاع، وذهبت الأخرى إلى جهة معاكسة لحد درجة واحدة من الانخفاض للقطب الشمالى. ثم قاسوا الطريق الذى قطعوه هكذا، ولما اجتمعوا عند قفولهم، قارنوا بين نتائجهم، فوجدوا مسافة فريق، ستة وخمسين ميلا وثلثى ميل، ومسافة الفريق الآخر ستة وخمسين فقط. فجعلوا الوسط، أكبر المسافتين، وهو ستة وخمسون ميلا وثلثا ميل[1].

«وكان الميل ٤,٠٠٠ متر من ٢٧[2] أصبعا. يقدر ب ٥٨ من المقياس القديم، وجاء قياس الدائرة أكثر من ٤٧,٣٢٥ كيلومتر قليلا[3]».

وقد قيل لنا إن هذه العملية قاموا بها مرارا. فالمسعودى يذكر مساحة واحدة برية سنجار، ذكرنا نتائجها سابقا، ومساحة أخرى بين الكوفة ومدينة السلام (بغداد) ومساحة ثالثة بين تدمر والرقة. وذكر ابن يونس مساحة قاموا بها فى صحراء الفرات بين تدمر و واما[4]».

وآخر الروايات بحسب الزمان، ولكنها لا تقل أهمية، هى التى ذكرها أبو الفضل فى كتابه «آئين أكبرى» استقاها من مؤلفات نصير الدين الطوسى[5] وتلميذه قطب الدين الشيرازى[6]. وهى تلقى ضياء أكثر على تاريخ مساحة

---

١ – هذا ليس بصحيح كما سنراه.
٢ – الظاهر أنه خطأ مطبعى. والصحيح ٢٤.
٣ – مبنيا على تقديرات نلينو.
٤ – يحول Carra De Vaux، على ترجمته الفرنسية لكتاب المسعودى، كتاب التنبيه «Le Livre de L'avertissement» ص ٤٤.
«واما» خطأ من النساخ للرقة. فالاحالة الأخيرة زائدة ومخطئة.
٥ – توفى سنة ٦٧٢ هـ (١٢٧٤ م).
٦ – توفى سنة ٧٠١ هـ (١٣١١ م).

المأمون القوس. ترجمها فيما يلي:

«قد وجد القدماء طول درجة واحدة يبلغ اثنين وعشرين فرسخا والتسعين من الفرسخ، وهو يساوى ستة وستين ميلا وثلثى ميل.

«ولما اختيرت برية سنجار على مقربة من الموصل بأمر المأمون لأجل المساحة ذهب خالد بن عبد الملك من مرووذ مع غيره من العلماء إلى جهة الشمال وذهب على بن عيسى صانع الأصطرلابات مع غيره من العلماء إلى جهة الجنوب. فوجد الفريق الأول الدرجة أطول بقليل، ووجد الفريق الثانى الدرجة أقصر بقليل. وكانت النتيجة أن كلا من الفريقين لما مسحوا طرقهم وجدوها تسعة عشر فرسخا إلا التُسع من الفرسخ. وهو يساوى ستة وخمسين ميلا وثلثى ميل فقط.

«وأراد المأمون أن يمتحن الفريقين، فسألهم عن المسافة من مكة إلى بغداد التى كانت نحو اثنى عشرة درجة وأربع وأربعين دقيقة مضروبة فى ستة وخمسين ميلا وثلثى ميل، فوجدوها نحو سبعمائة وسبع وعشرين 'كروه' وقد مسحوا بأمر الخليفة أقوم الطرق وأسهلها بين المدينتين بالذراع فلم يجدوا فيها إلا تفاوتا قليلا.

«ومن الغريب أن المحقق الطوسى نسب فى 'تذكرته'، إجراءات القدماء إلى عصر العصر المأمونى الذين قاسوا طول الدرجة فى برية سنجار، بينما يذكر الملا قطب الدين الشيرازى فى 'تحفته' وفى مؤلفاته الأخرى نتائج المتأخرين كما ذكرتها آنفا. والظاهر أنه تسامح القلم فى 'التذكرة'.

«وقد وجد حكماء الهند قدر الدرجة أربعة عشر يوجنا وستة وستين ده وذراعين وأربعة أصابع. وهذا يوافق المقاييس المتقدمة الذكر».

هذه هى الروايات الهامة المختلفة عن مساحة درجة من محيط الأرض فى العصر المأمونى.

ونحن، كما سبق لنا القول، نجد حتى أحسن الروايات لا تخلو من اختلافات جسيمة فى التفاصيل وفى النتائج التى نسبت إلى منجمى المأمون.

وقد أوقع هذا الكتّاب المتأخرين فى فوضى، فرجحوا هذا النص أو ذلك أو غيرهما، أو حاولوا الوصول إلى القدر الأوسط منها. فمثلا اختار أبو الفداء متبعا الأكثرية ستة وخمسين ميلا وثلثى ميل. وذهب الفاضل أبو العلى البرجندى[1] إلى ستة وخمسين ميلا وثلث ميل، والظاهر أنه اختار الأوسط بين ستة وخمسين ميلا وثلثى ميل وبين ستة وخمسين ميلا.

وقد استنسق المسعودى والبيرونى روايتهما عن ستة وخمسين ميلا كقدر القوس من حبش. وقد ظهر من تصريح البيرونى فى «كتاب التحديد» أن حبش أخذ ذلك من خالد الذى كان واحدا من البعثة إلى سنجار. أخذ البيرونى معلوماته من «الكتاب فى أبعاد النجوم»، لحبش، وعول المسعودى على «جداوله الفلكية» (الزيج). وقد وثقته الرواية المتأخرة التى رواها الفلكى الشهير، ثابت بن قرة حرانى (٢٨٨ هـ / ٩٠١ م).

وبجنب هذا نجد الأكثرية، مثل الفرغانى، أحمد بن محمد بن كثير (٢٤٧ هـ / ٨٦١ م) لا يزعمون أنهم استسقوا معلوماتهم من نص مكتوب بقلم منجم من منجمى المأمون.

أما ابن يونس، فهو يسند قوله بأن قدر القوس سبعة وخمسين ميلا إلى (أبى الطيب) سند بن على الذى قال عنه ابن النديم[2] صاحب «الفهرست» إنه

[1] - كان حيا فى سنة ٩٣٠ هـ (١٥٢٤ م).
[2] - توفى سنة ٨٣٥ هـ.

اشترك فى جميع الملاحظات الفلكية فى عصر المأمون ، وكان من أكبر العاملين فى الاجرامات بين تدمر والرقة .

وقال حبش ، كما رواه ابن يونس ، إنهم وجدوا طول القوس ستة وخمسين ميلا وربع ميل فى برية سنجار . وعلى ذلك نحن أمام قولين مختلفين عن حبش : أحدهما من البيرونى والمسعودى ، وهو ستة وخمسون ميلا والآخر من ابن يونس ، وهو ستة وخمسون ميلا وربع ميل ، وهما يتعلقان بمكان واحد ، وهو سنجار فى العراق .

فترى أن المقادير المختلفة للقوس قد نسبت إلى عصر المأمون :

١ ـ سبعة وخمسون ميلا بين تدمر والرقة على قول سند بن على كما رواه ابن يونس .

٢ ـ سبعة وخمسون ميلا فى برية سنجار على إحدى الروايات للبيرونى (فى القانون) .

٣ ـ ستة وخمسون ميلا وربع ميل فى سنجار على قول حبش كما رواه ابن يونس .

٤ ـ ستة وخمسون ميلا فى سنجار على قول حبش كما فى المسعودى والبيرونى (فى التحديد) .

٥ ـ ستة وخمسون ميلا وثلثا ميل على رواية البيرونى فى القانون . والتهم وعلى رواية كثير من الكتاب وهم ينسبون ذلك إلى سنجار .

ومما يلاحظ فى هذا الصدد أنه بينما يقول البيرونى بأن أصحاب سند بن على وآخرين غيرهم قاموا جميعا بالمساحات فى برية سنجار وحدها ، يقول ابن يونس

ان سند وأصحابه قاموا بالمساحة بين تدمر والرقة.

والبيرونى عند بحثه فى اختلاف النصوص القائلة بستة وخمسين ميلا وستة وخمسين ميلا وثلثى ميل فى «التحديد» يميل إلى التوجيه بأن الاختلاف إنما جاء لاختلاف ما وجده منجمو المأمون الذين قاموا بعملهم فى مكان واحد وزمن واحد. وقد أصاب فى قوله بأن هذا الاختلاف، وإن كان لا يعبأ به رجل عادى، ولكنه غريب للعالم ويدعوه إلى التفحص الحر من جديد.

ويظهر جليا بأن المساحة فى عصر المأمون كانت أكثر من مرة. ونحن على ثقة تامة من مساحتين اللتين ذكرهما ابن يونس: واحدة فى سنجار وأخرى بين تدمر والرقة. وإنى على رغم معارضات نلينو القوية أميل إلى اليقين بالمساحة الثالثة بين الكوفة وبغداد.

وعلى كل لا يذكر مرجع أصلى أو معاصر بأن ستة وخمسين ميلا وثلثى ميل هو النتيجة التى وصل إليها منجمو المأمون بعملية من عملياتهم، ولذلك أجدنى مثلا إلى موافقة نلينو فى قوله بأن اتخاذ ستة وخمسين ميلا وثلثى ميل إنما كان نتيجة للتوفيق بين النتيجتين الحقيقيتين، وهما سبعة وخمسون ميلا وستة وخمسون ميلا وربع ميل، ومن ثم تناقلوها كنتيجة حقيقية لاجراءات علماء المأمون[1].

وهذا يسوقنا إلى الظن بأن حبش بعد أن حصل على أحسن المعلومات عدل قوله عند تاليفه «زيج الممتحن». وأرى أن رواية ابن يونس على الجملة أحسن وأوثق الروايات التى أمامنا فى الموضوع.

---

[1] ويقول نلينو:

«والصحيح إنما هو استخرج من زيج ابن يونس وكتب غيره أن جماعة من الفلكيين قاسوا قوسا من خط نصف النهار على صحراوين، أى البرية من شمال تدمر وبرية سنجار، ثم حاملى العملين اختلفا بين $56\frac{1}{4}$ ميل و ٥٧ ميلا. فأخذ متوسطها، أى $56\frac{2}{3}$ تقريبا» (علم الفلك ص ٢٥٧).

وسنناقش فى القيمة الحقة للمساحات فى العصر المأمونى، وقبل ذلك نذكر مساحة أرضية أخرى قام بها البيرونى شخصيا فى الهند.

ولما فشلت محاولة البيرونى لأن يمتحن نتائج المأمون بمساحة درجة واحدة مباشرة، وذلك للصعوبات العملية، لجأ إلى طريقة غريبة ابتكرها بنفسه، وذكرها قبل العمل بها فى مؤلفه «الكتاب فى الاصطرلاب»[1]:

«وفى معرفة ذلك طريق قائم فى الوهم صحيح بالبرهان، والوصول إلى عمله صعب لصغر الاصطرلاب (أو الآلات[2])، وقلة مقدار الشىء الذى يبنى عليه فيه. وهو أن تصعد جبلا مشرفا على بحر أو برية ملساء، وترصد غروب الشمس، فتجد فيه ما ذكرناه من الانحطاط، ثم تعرف مقدار عمود ذلك الجبل وتضربه فى الجيب المستوى لتمام الانحطاط الموجود، وتقسم المجتمع على الجيب المنكوس لذلك الانحطاط نفسه. ثم تضرب ما خرج[3] من القسمة فى اثنين وعشرين أبدا وتقسم المبلغ على سبعة. فيخرج مقدار إحاطة الأرض بالمقدار الذى به قدرت عمود الجبل.

«ولم يقع لنا بهذا الانحطاط وكميته فى المواضع العالية تجربة — وجرأنا على ذكر هذا الطريق ما حكاه أبو العباس النيريزى[4] عن أرسطولس أن أطول أعمدة الجبال خمسة أميال ونصف بالمقدار الذى به نصف قطر الأرض ثلاثة آلاف ومائتا ميل بالتقريب، فان الحساب يقضى لهذه المقدمة أن يوجد

١ — كتاب البيرونى هذا غير كتابه المسمى بـ «استيعاب الوجوه الممكنة فى صنعة الاصطرلاب»، فى الموضوع نفسه، توجد نسخته الفذة فى ليدن (B. d, 1908, p 67). وقد نقلت العبارة المتقدمة كلها من عمل نلينو (ص ٢٨٩ و ٢٩٢):

«إن ذلك العالم الأجل جعل فى آخر كتابه فى الاصطرلاب فصلا فى معرفة مقدار استدارة الأرض ولقد وصف الطريق الاعتيادى المدقق لذلك» (نلينو).

٢ — وفى الأصل «الالاب».

٣ — والصواب «ضعف ما خرج» أن خارج القسمة هو نصف قطر الأرض، ولا القطر كله (نلينو).

٤ — مات النيريزى بعد سنة ٣٠٠ هـ بقليل (أوائل القرن العاشر الميلادى).

الانحطاط فى الجبل الذى عموده هـذا القدر ثلث درجات بالتقريب. وإلى التجربة يلتجأ فى مثل هذه الأشياء وعلى الامتحان فيها يعول، وما توفيق إلا من عند الله العزيز الحكيم»[1].

ولم يحـاول البيرونى القيام بنظريته عنـد تأليفه «الكتاب فى الأصطرلاب»، وذلك لأنه رأى آلات الملاحظة صغيرة، وفقدان المكان اللائق، وعدم وجود المساعدين أصحاب الأهلية، إذ كانت طريقته تتطلب جبلا على سهل ممهد أو على بحر، ومن فوق قمته ترصد الشمس الغاربة.

ولكنه لم ييأس من نظريته، وسنحت له فرصة تنفيذها عندما كان معتقلا سياسيا[2] على الغالب فى قلعة «نندا»[3] بعد أن استولى السلطـان محمود على وطن البيرونى، الخوارزم فى سنة ٤٠٧ هـ (١٠١٦-١٠١٧ م) حيث كان للبيرونى مكانة بارزة تحت الرعاية الملكية.

ومباحث البيرونى فى الهند لم يهتم بها إلى الآن الاهتمام الذى تستحقه. وإن من الأسف، حتى أن العلامـة نلينو الذى أحترم علمه الواسع العميق أجل الاحترام، لم يعالجها بتفصيل، واكتفى فى محاضراته بأن يمر بها مرا سريعا. والآخرون أشد منه اجمالا وتقصاً.

ولا بد أن البيرونى يكون قـد عالج باتقان هـذا الموضوع الذى فتنه طويلا فى مؤلفه «مقالة فى استخراج قدر الأرض برصد انحطاط الأفق عن قلل الجبل» ذكرت فى جدول مؤلفاته الذى وضع فى سنة ٤٢٧ هـ (١٠٣٥-١٠٣٦ م). وإننا

---

١ - أوضح نلينو طريقة البيرونى فى محاضراته (ص ٢٩١ و ٢٩٢، راجع ذيل المقالة).

٢ - يظهر أن مدا الاعتقال كان قصير المدة، لأننا نجد البيرونى بعد سنتين مشتغلا بمراقباته الفلكية فى غزنه.

٣ - هذا المكان التاريخى الذى قام به البيرونى بمساحته قبل سنة ٤١٦ هـ (١٠٢٣-١٠٢٤ م) وبعد سنة ٤٠٧ هـ (١٠١٦-١٠١٧ م) قد وصفه وصفا متقنا سير أوريل استين Sir Oriel Stein فى المجلة الجغرافية (يوليو سنة ١٩٣٣) ص ٣١-٣٩.

م نعثر على أثر لهذا الكتيب فى مكاتب العالم.

ولكن يوجد ذكر الموضوع، مجملا أو مفصلا، فى مؤلفات البيرونى الأخرى التى عاشت على رغم دمار ألف سنة. وقد تعرض له فى «التفهيم» الذى هو كتاب أولى فقط. ولكنه أكثر تصريحا فى «تحديد الأماكن». وقد جاء على اقتباس اقص من نسخة البيرونى الخطية. زكى وليدى فى «صفة المعمورة على البيرونى» ير أنه مما يؤسف له أن الجامع الفاضل أهمل أن يقتبس أهم ما كان يتعلق بموضوعنا مباشرة. وهو من الأهمية العظيمة من الوجهة العلمية والتاريخية. أى لبيان المفصل الذى لا بد من وجوده فى النسخة الخطية، عن التقدير الذى ام به البيرونى ليحقق ما قاله منجمو المأمون فى شأن مساحات الأرض.

وإننا ننقل هنا ذلك الاقتباس الناقص:

ص ٢٤٤: «ولما اتفق لى المقام بقلعة نندنه من أرض الهند، وأشرفت من الجبل المطل عليها غربيا، وعاينت البيداء الجنوبية عنه، بدأ لى أن أمتحن هذا الطريق (أى طريق معرفة عمود الجبل[1]) بها، فقست على قلة الجبل ما يحس من التقاء الأرض والملون اللازوردى....».

ص ٢٤٥: «فخرج أميال الجزء الواحد نه، نح، نه».

ومن حسن الحظ إنه ذكر الموضوع مفصلا فى كتابه «القانون»، حيث يقو... د كلامه على مساحات المأمون:

«وعلى شدة حرصى أن أتولى الاعتبار، واختيارى له قاعا صفصفا فى شـ... دهستان التى بأرض جرجان، ثم عجزى عن المفاوز المتعبة، والمعين الصاد...

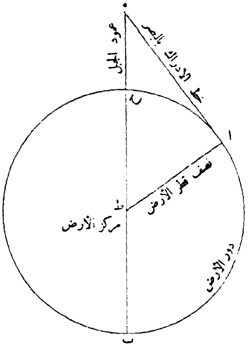
[1] هذه العبارة بين القوسين، كما لا يخفى من الجامع، ويخيل لى انه أخطأ فى فهم البيرونى، وذلك لأن ... الجبل قدر معلوم، وبه يبدأ العمل، وهو واحد من الأساسين الذين يتوقف عليهما حل المسئلة. أما الأ... الثانى، فهو معرفة زاوية ميل الافق. ينجلى هذا كله بتقدمنا فى دراستنا.

عليه، عدلت فيه إلى طريق آخر.

. لما وجدت بأرض الهند جبلا مشرفا على صحراء مستوية الوجه، ناب استواؤها عن ملاسة سطح البحر، فقست على ذروته ملتقى السماء والأرض فى المنظر، أعنى دائرة الأفق، فوجدته منحطا فى الآلة عن خط المشرق والمغرب بالنقص قليلا من ثلث وربع جزء. فأخذته أربع وثلاثين دقيقة، واستخرجت عمود الجبل بأخذ ارتفاع ذروته فى موضعين، هما مع أصل العمود فى خط مستقيم، فوجدته ستمائة واثنين وخمسين ذراعا ونصف عشر ذراع.

. وليكن عمود الجبل هح قائم على ابح كرة الأرض، ونخرجه على استقامته على حطب، ولا بد من مروره على المركز لهبوط الأثقال إليه، فليكن ط. والخط المماس للأرض من الذروة هو المار على الأفق، فليكن ها، ونصل طا. فيحصل مثلث هطا قائم زاوية ا معلوم الزاوية، وذلك أن زاوية اهط بمقدار تمام انحطاط الأفق، وذلك نط كو وجيبه . نط نط مط ب، وزاوية هطا بمقدار الانحطاط نفسه، وهو . لد وجيبه . . له لو، وهو إذن معلوم الأضلاع بالمقدار الذى به طه الجيب كله. وذلك أن طا يكون فيه جيب تمام الانحطاط، هح . يكون فضل الجيب كله على جيب تمام الانحطاط، وذلك . . ى نو لب، ونسبته إلى طا جيب تمام الانحطاط كنسبة أذرع هح عمود الجبل إلى أذرع طا نصف قطر الأرض.

. فيكون أذرع نصف قطر الأرض ١٢٨٥١٣٦٫٩ ن مب، وأذرع المحيط ٨٠٧٨٠٠٣٩ ا لح، وأذرع الجزء الواحد من ثلثمائة وستين جزءا ٢٢٤٣٨٨ نط ن ويكون أميال الجزء ن . ن و.



«فقد قارب ذلك وجود القوم بل لاصقه، وسكن القلب إلى ما ذكرو،
فاستعملناه إذ كانت آلاتهم أدق، وتعبهم فى تحصيله أشد وأشق.

«وطريق تحويل أميال المسافات إلى الأجزاء ليتمكن من عمل ما تقدم ف
سائر الأبواب أن نضرب فى ثلاثة ليصير ثلاثا، ويقسم على مائة وسبعين ال
هى أثلاث أميال الجزء الواحد.

«وفى عكسه إذا أريد تحويل أجزاء مسافة إلى الأميال أن نضرب فى م
وسبعين، ويوخذ ثلث المبلغ، لكن ضرب هذا المبلغ فى عشرين دقيقة
ينوب عن القسمة على ثلاثة، فلذلك يجب أن يضرب أجزاء المسافة فى م
وسبعين، وما اجتمع فى عشرين دقيقة ليحصل أميالها».

لنرى الآن، بعد أن فصلنا مساحات المأمون والبيرونى، قيمتها الحقيقية فى
.. معارفنا الحاضرة. ولأجل ذلك ينبغى أن نحول تلك المقائيس إلى بعض
ائيس المعروفة العصرية.

وإنا لمدينون لأتعاب المرحوم محمود باشا ونلينو. فقد حققا لنا بدقة طول
راع العربى الصحيح فى العصر المأمونى. قال نلينو:

«إن الحكم فى قدر ضبط قياس العرب يتعلق بمعرفة طول الميل العربى المستعمل
فيه. المشتمل على أربعة آلاف ذراع سوداء على قول أحمد بن محمد بن كثير
الفرغانى، والمسعودى، والبيرونى، وأبى نصر الحسن القمى (من فلكى القرن
الرابع)، وابن يونس. واختلف آراء الحديثين الباحثين فى مقدار ذلك
الجنس من الذراع، ولم يزل الاختلاف مدة سنين مديدة. ثم إنى برهنت
براهين يطول شرحها هنا على موافقة الذراع السوداء للذراع الشرعية، توصلت
إلى إثبات مقدارها، فوجدته ٤٩٣٫٣ ملميتر فاستنبطت أن الميل العربى كان
١٩٧٣٫٢ متر، فهو قدر لا يختلف عما وجده المرحوم محمود باشا الفلكى
إلا بأربعين سنتمترا، أى بشىء لا يذكر».

وإنا نجد، معتمدين على مباحث نلينو، أن أربعة آلاف ذراع، تساوى
٦٤٧٣ قدما — (English Encyclopaedia of Islam, p. 498).

طول الدرجة طبقا للعلامة نلينو، ستة وخمسون ميلا وثلثا ميل، كما وجده
فلكيو المأمون، يساوى ١١١٫٨١٥ متر، والمحيط كله ٤١٫٢٤٨ كيلومتر، وهو يقول
إن هذا المقدار قريب جدا للحقيقة[1]، ويستحق أن يعتبر عملا علميا عظيما للعرب:

[1] — المحاضرات، ص. ٢٨٩:

«أما قياس العرب (يعنى المأمونى) فهو أول قياس حقيق، أجرى كله مباشرة مع كل ما اقتضته تلك
المساحة من المدة الطويلة والصعوبة والمشقة واشتراك جماعة من الفلكيين والمساحين فى العمل».

، فلا بد لنا من عداد ذلك القياس من أعمال العرب العلمية المجيدة المأثورة،

قاموا بهذه المساحات بين العرضين ٣٥ و٣٦، حيث طول القوس الحقيقي ١١١,٣٠٦ ميتر. فيكون التفاوت ٨٧٧ مترا زائدا عن الحقيقة، وهو يساوى نحو من نصف ميل انكليزى. ومساحة المحيط كله تجاوز عن الحقيقة مائة وخمسين ميلا على قول نلينو.

وإنا لنشكر البيرونى على أنه قاس هذه المساحات بالذراع العربى، وحولها إلى حساب الأقدام الانكليزية كما يلى:

الدرجة الواحدة	٢٢٦,٦٦٦ $\frac{٢}{٣}$ ذراع، أو ٣٦٦,٨٠٢ $\frac{١}{٤}$ قدم.
المحيط	٨١,٦٠٠,٠٠٠ أو ٢٥,٠٠٩ $\frac{٢}{٧}$ ميل.
القطر	١٢,٩٧٩,٥٠٠ ذراع أو ٣,٩٧٨,٠٤٤ قدم.

ويبلغ محيط الأرض الحقيقى ٢٤,٨٥٨ ميل، ويبلغ التفاوت ١٥١ ميلا. أو هو كما قاسه نلينو تقريبا.

ولكن هذا القدر، كما أسلفنا، وسط بين المساحتين المختلفتين فى عصر المأمون توافق عليه الفلكيون. ودلت مباحثنا على أن المساحات فى برية سنجار هى التى انتهت إلى أحسن النتائج، وهو على قول حبش (كما رواه ابن يونس فى زيجه) أن الفلكين وجدوا هنالك قدر الدرجة الواحدة ستة وخمسين ميلا وربع ميل.

فالدرجة طبقا لهذه المساحة:

٥٦ $\frac{١}{٤}$ ميلا عربيا، أو

٢٢٥,٠٠٠ ذراع، أو

٣٦٤,١٠٦ $\frac{١}{٤}$ قدم انكليزى.

والمحيط:

٨١,٦٠٠,٠٠٠ ذراع، أو

٢٤,٨٢٥$\frac{٢}{٣}$ ميل.

وعرض سنجار على قول البيرونى فى «القانون» °٣٥ ′٥٠ (أو ′٣٠) حيث قدر القوس ٣٦٤,١٥٠ قدم، وإذا قارناه بالمساحة العربية، فانه يزيد عليه نحو ٤٤ قدما.

أما المحيط، فالتفاوت فيه نحو ٣٣$\frac{٤}{٧}$ ميلا فقط. وإن كانت الأرض كروية تماما وليست بـ «جيود»[1] (Geoid) لما زاد التفاوت ثلاثة أميال فى محيط الأرض كله.

فهذه النتائج، كما ترى، قريبة جدا للمقادير الصحيحة وتستحق أن تعتبر أحسن ما وصل إليه قبل العصر الحاضر.

ولا نريد أن نخوض فى الأقدار الأخرى التى عزيت إلى العصر المأمونى كذلك، وهى ستة وخمسون ميلا للدرجة، لأنها كما لا يخفى، ليست بصحيحة كالسابقة، إذ أولها أقصر وآخرها أطول بكثير من طول القوس الحقيقى.

والآن لنرى مساحات البيرونى الخاصة التى ذكرها فى القانون:

الدرجة = ٢٢٤,٣٨٩ ذراع أو °٥٦ ٥ ″٥٠ ‴٦ أو ٣٦٣,١١٥ قدم انكليزى.

المحيط = ٨٠,٧٨٠,٠٣٩ ذراع أو ٢٤,٧٧٨$\frac{١}{٢}$ ميل انكليزى.

نصف القطر = ١٢,٨٥١,٣٧٠ ذراع أو ٣,٩٣٩ ميل.

القطر = ٧,٨٧٨ ميل.

وقد كان محل مساحة البيرونى، قلعة نندنا التى عرضها، كما فى القانون، ١٠٢. فيكون طول القوس نحو ٣٦٤,١٥٠ قدم، وهو يزيد على قدر البيرونى

صفة المعمورة على البيرونى ص ٣٧ : «سنجار فى براريه رصد المأمون دور الأرض «له» «ن» (او «ل»).

١٠٫٣٥ قدم، أو أكثر بقليل من خمس الميل فقط.

والمحيط عند البيرونى أقل من نحو ثمانين ميلا من المحيط الحقيقى، ولكن إن فرضنا الأرض كروية تماما، فيكون التفاوت نحو سبعين ميلا ونصف ميل فقط.

وقد قاست الجيوديسية الحاضرة، نصف القطر عند خط الاستواء، فكان نحو ٦٫٣٧٨ كيلومتر. ولما كان كيلومتر يساوى ٠٫٦٢١ من الأميال الانكليزية، بلغ نصف القطر نحو ٣٫٩٥١ ميل انكليزى. ويتفاوت عن حساب البيرونى نحو اثنى عشر ميلا انكليزيا فقط.

ومن العوائق فى تحقيق القدر المحكم بهذه الطريقة، كما صرح نلينو بحق، هو انكسار شعاع النور عند مروره فى الجو. ولذلك التفاوت القليل الذى وجد فى مساحة البيرونى، يرجع معظمه لهذا السبب[1].

وقد بقى لنا، قبل أن نودع البيرونى أن نعالج الأقدار المختلفة التى ذكرها بنفسه فى مؤلفيه: التحديد، والقانون، ومساحة قطر الأرض التى قام بها فى قلعة نندنا، فقد ذكر قدر الدرجة فى التحديد أقل بقليل من ستة وخمسين ميلا عربـ وذكره فى القانون أكثر بقليل من ستة وخمسين ميلا[2].

والتوجيه الوحيد عندنا لذلك هو أن البيرونى حافظ على ما ناله من المعلومات فى نندنا، ولما كان الموضوع ما زال يهمه إلى النهاية، صحح حساباته السابقة. وصحـ أحسن تخميناته. ولما كانت حساباته السابقة أبعد من الصحة، ضربنا عنها صفحـ

وليس فى مباحث المسلمين المتأخرة ما يليق أن يوازن بمباحث هولاء الفلكيـ

---

١ — «ومن الموانع أيضا كثرة انكسار الحر (refraction) التى تمنع عن قياس زاوية الانحطاط ... المعلوم أن الانكسار أكثر قدره فى مستوى الأفق وأقله (بل عدمه، فى خط سمت الرأس، أى ... الارتفاع عن الأفق» —(ص ٢٩٠).

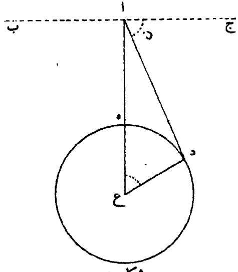
٢ — التحديد ٥٥° ٥٨′ ٥٥″. القانون: ٥٦° ٥′ ٥٠″ ٠٦‴.

الأجلاء من العصر الذهبي للثقافة والعلوم الاسلامية ، عندما بلغ الاهتمام العلمي بسائر الفروع العلمية المختلفة أوجه، وظهرت نتائج مدهشة فى جميع الميادين على أيدى هولاء العلماء المسلمين الكبار الذين كانوا أحسن فى عصرهم فى سائر الفروع، ويستحق بعضهم ، مثل البيرونى. أن يقف فى صف أجل العلماء فى سائر العصور والشعوب من تاريخ العالم.

ذيل

وشرح نلينو طريقة المساحة التثليثية التى حقق بها البيرونى نصف قطر الأرض كما ذكرها فى كتابه على الأصطرلاب، ثم مارسها فى قلعة نندنا بالهند:

«هذا كلام البيرونى فلا يصعب البرهان عليه. لنفرض (شكل ١) نقطة ا قمة جبل ما، وخط اه عموده، أى ارتفاعه، وهو خط يصل امتداده إلى نقطة ع التى هى مركز الأرض. ثم نرسم خط ب ج عمودا على اع موازيا لأفق قمة الجبل ونرسم أيضا خط اد المماس لمحيط الدائرة على نقطة



شكل ١

وحيث أن يبرهن فى الهندسة أن الخط المستقيم المماس للدائرة ما عمود د. على نصف القطر الواصل إلى نقطة التماس يكون آد عمودا على ع د ومنه ادع يكون قائم الزاوية على نقطته د. أما زاوية جا فهى ما يسميه البيرونى انحطاط الأفق. ومن الواضح أنها تمام زاوية ع اد إنها تعادل زاوية اع د. فاذا أشرنا بحرفى نق إلى نصف القطر المنسوبة الخطوط المساحية إليه وبحرف ر إلى نصف قطر الأرض وبحرف ف إلى ارتفاع الجبل وبحرف ن إلى الانحطاط ينتج من قواعد حساب المثلثات المستوية:

جا ع ا د   جتاج ا د   نق ع د ÷ نق ا ف

نق ر جتان (ر + ف)   رجتان + ف جتان

نق ر — رجتان   ف جتان   ر (نق — جتان) = ف جتان

فينتج   ر = ف جتان ÷ (نق - جتان)

«وهذه المعادلة الأخيرة هى قاعدة البيرونى، لأن الجيب المنكوس عبارة عن نصف القطر المنقوص منه جيب تمام الزاوية المفروضة. فان ضربنا ر فى ٢ أى فى $\frac{٢٢}{٧}$ كان الحاصل مقدار محيط الأرض» — (ص ٢٩١-٢٩٢ علم الفلك — تاريخه عند العرب).

دراسة سبع وعشرين عاما بالتمام

للأستاذ عبد الحميد النعماني

من المؤلفات ما يكون شرفا للغة وكرامة للأدب فيرفع بما فيه مستوى اللغة والأدب، ومنها ما يكون للأمة والبلاد متاعا تباهى به علما ومعرفة، فيمتاز القطر كله بمحتوياته أقطارا أخر. ولعلى لا أكون مسرفا إذا قلت، ولا مبالغا إن ترجمان القرآن» لصاحب الفخامة العلامة الأستاذ أبى الكلام آزاد، وزير معارف الهند، كتاب يجمع بين المزيتين، فهو من غير شك شرف للغتنا الهندستانية وكرامة لأدبنا، وإنه حقا متاع اللامة الهندية تباهى به الأمم والأقطار، ونقدم لقراء «ثقافة الهند» فيما يلي بعض ما نوه عنه معاليه قبل فاتحة الكتاب ليقدروا الكتاب من وجه المختلفة بعض التقدير، افتتح معاليه كتابه بالانتساب البديع فقال:

الانتساب

«كانت الأيام، أيام كانون الأول من سنة ١٩١٨ كما أظن، وكنت إذ ذاك فى بلدة «رانچى» تحت عين المراقبة من الحكومة، فخرجت يوما من الأيام من المسجد بعد صلوة العشاء فشعرت كأن أحد يقتفى أثرى، فالتفتت فاذا برجل ملتف بثوبه رأيته ماثلا أمام عينى:

«هل لك من حاجة؟»

«نعم، يا سيدى! وأنا قاصد إليك من أبعد الحدود».

«من أين؟»

«من وراء "سرحد" (ثغور الهند شمالا).»

«متى وصلت هنا؟»

«اليوم مساء. وأنا رجل فقير. غادرت قندهار راجلا حتى أتيت "كوئتا" وصادفت ثمة بعض مواطنى من التجار الذين وظفونى خادما لهم وأتوا بى إلى آگره. وها أنا قادم إليك من آگره ماشيا على قدمى.»

«يا للأسف! وما دعاك أن أتعبت نفسك هكذا؟»

«لأفهم بعض المواضع من القرآن المجيد حتى أدركها. وإننى قرأت مما نشرت به "الهلال" و"البلاغ" حرفا حرفا.»

لبث الرجل بضعة أيام، ثم انصرف فجأة من غير وداع مخافة أن أقد[م] له مصاريف الذهاب. وكأنه لم يطبه أن أقوم له بهذا العبأ بنفسى. فما لا شك فيه أنه قطع الأرض فى رجليه راجعا إلى محله أطول مسافتها ماشيا على رجلي[ه]

أنا لا أذكر اسمه اليوم، ولا أدرى هل مات الرجل أم لم يزل [يـ]رزق. ولو لم تخن ذاكرتى عن اسمه لانتسبت كتابى هذا إليه.»

ثم أسرد معاليه الكلام فيما انتابه من المتاعب والوعور فى طريقه إلى التفسـ[ـير] والنشر وما لاقى من العقبات والمعضلات، وما تواجه من التورط والارتباك [فى] سبيل الاتمام وفراغ العمل، فقال بعد ما حمد الله وأثنى عليه:

«نشر الاعلان عن «ترجمان القرآن» و «تفسير البيان» فى «البلاغ» سنة ١٩١٦ع أول مرة فما كان ليخطر على بالى حيئذ أ[ن] نشر معلن عملا يستغرق خمسة عشر عاما دون انجازه، وإننى واعد ...

وعدا يقضى لها بعناء فوق الاحتمال من حرقة الولوع، وشدة الانتظار، وطول الاصطبار، وأنه ينتزع من فسخ عزائمي مثلا مؤلما وصورة موجعة.

«ولكن الأيام أبدت وأعلنت أن الذى لم يكن فى الحسبان قد وقع.

«نشر الاعلان ومضت على نشره بضعة شهور ليس إلا، إذ فاجئتنى حكومة بنگال بأمرها فى الثالث من مارس سنة ١٩١٦ تحت قانون دفاع الهند طالبة إياى الجلاء عن ثغورها، فبدد ذلك كل ما كان من نظم الجريدة، وإدارة المطبعة، ومن شمل التسويد والطباعة تبديدا قضى بالحركة والعمل.

«وما فعلت بى حكومة بنگال سبقت إليه حكومات محلية أخرى، حكومة دهلى، حكومة پنجاب، حكومة يو پى، حكومة مدراس، وحذت حذوها فى المنع والنهى عن ولوجى داخل حدودها، فلم أر أمامى لمكونى من سبيل إلا إلى المقاطعتين اللتين بقيتا: إما «بهار». وإما «بمبائى»، فاخترت بهار وفيها رانچى عسى أن أجد من قربه بكلكته ما يمهد لى اشتغالى بالتسويد، ويمكننى الاهتمام بالطبع كذلك».

كانت خطة معاليه المرسومة طبق درجات الطلب من فهم القرآن ودراسته أن يضع ثلاثة كتب. فالأول للتاديب الكلى والارشاد العمومى، والثانى للدراسة والفحص، والثالث ليفتكر به ويأنس إليه أولو العلم وأصحاب النظر، وأن يسمى القسم الأول بترجمان القرآن والقسم الثانى بتفسير البيان والقسم الثالث بالمقدمة على التفسير. وطردا لخطته انتحى بكل تصميم، وتعرض له فى الوضع والترتيب، فكان قبل أن ينشر الاعلان بلغ من تسويد الترجمان خمسة أجزاء من القرآن ومن التفسير إلى سورة آل عمران، وأما المقدمة فكانت فى زى المخطوطات كالملاحظات والمذكرات. فجمع معاليه شتات الأمر وقام ليعمل فى منفاه، بعيدا عن مأواه

كما كان يعمل فى مكتبه فى بيته. وبذل جهد المستطاع حتى استوى له [illegible] المطبعة فانتظمت لتعمل فى غيابه عنها. ووزع معاليه أيام أسبوعه بين أعماله حرصا على مباشرة العمل. فخصص الأربعة منها للترجمة والتفسير، والثلاثة منها لتحرير جريدة «البلاغ». وقصارى القول أنه اغتنم حرية الكتابة وفرصة العمل فى مقاله وأسرع فى تسويد الترجمة والتفسير مع طبعهما سواء بسواء، ولكن الحكومة أصدرت رسومها لاعتقاله تحت اشرافها لجمد شىء مكانه كما قال معاليه:

«فانطفأ بذلك الأمل واضطررت أن أعيش وحيدا سجينا لا علاقة لى مع الخارج، وأمضى حياتى مقتصرا بالكتابة ومقتنعا بالتسويد. ولم تكن للمراقبة من موادها التسعة عشرة مادة تمنعنى عن أن أكتب وأسود، فاقتنعت بهذا [illegible] الذى أعتقده أنه لو حرمت من حياتى كل حريتها وأنا مأذون لأن أقرأ وأكتب، وأن أحرز ما تنتج دراستى وكتابتى، فكأنى ما حرمت نعيما من نعم الحياة ولا عدمت لذة من لذائذها. وإننى استيطع أن أقضى كل حياتى فى مثل هذه الظروف، ولكنها، يا لبوسى لم تدم لى تلك الحياة غير ثلثة أشهر. فعند صدور الأمر بالاعتقال والمراقبة فتش رجال التفتيش مقرى. وذهبوا بكل ما وجدوا من الأوراق وفيها مسودات الترجمة والتفسير. لكنهم ردوها بعد أسبوعين عند ما وجدوها لا تحمل ما يضر الحكومة ولا ما ينفعها فى مراميها ولكن حكومة الهند ما اقتنعت بما قرره رجال التفتيش، ورأت [illegible] الحكومة المحلية ربما عجلت فى رد الأوراق ولعلها لم تقم بالاختبار الدقيق الوافى للغرض. وكان كبير المأمورين فى مصلحة التفتيش عندئذ لحكومة الهند «سر چارلس كليوليڈ» الذى كان يضمر لى من الوجدة نوعا ما مدفوعا بدواعٍ ليس لبسطها محل، أنه استبق كلكته ودقق من التفتيش كل نواحيه فاستمر هناك أسبوعين فى الفحص الشديد، ثم عاد إلى رانچى وفتش محلى»

جديد، فأبلغونى ما انتهى الأمر إليه أن الأوراق التى فحصوا عنها قبل ذلك أخذوها ثانيا، وهى سترسل إلى حكومة الهند لتنظر فيها مرة أخرى، فجمعوها جمعا لم يزروا منها ولا كراسة واحدة مطبوعة كانت أم خطية، ثم ذهبوا بها وفيها ما عدا الترجمة والتفسير، بعض مصنفاتى التى فرغت منها ومنها ما كانت فى سبيل الفراغ.

كنت إذ ذاك بلغت الجزء الثامن من تسويد الترجمة وسورة النساء من التفسير، ولكن أصبحت صفر اليدين لا أملك اليوم منها ولا ورقا، على أنى تقدمت غير محتفل بما نزل وتواصلت عملى بالجزء التاسع، حتى انتهيت إلى الأجزاء كلها فى أواخر سنة ١٩١٨، فلو ردوا إلى ثمانية أجزاء من الأول لكانت الترجمة كاملة.

خاطبت ولاة الأمور وكتبت إليهم طالباً أن يردوا إلى أوراقى فأجابوا بأنها «لا تعاد الآن ومتى يفعل لا يبان» وحيث لم يكن فى القريب العاجل ما يرجى، ولا ما تأتى به الأيام لا يخشى، رأيت من الخير أن أكرر عملى وأفرغ من الكتاب نهائيا، ولكن ذلك لم يكن ميسور المنال، إنه ليصعب على المرء ويشق على طبعه أن يكتب ما كتبه ثانيا، ولكنى قاسيت عناء بضعة أشهر وأعددت الشطر الذاهب بتكرير العمل.

عسى من يتفائل بعد ذلك ويحسن ظنه فيما يستقبل، ويؤنده فيما يظن أن المسودة أصبحت مبيضة، وأن المرسومة أصبحت معمولة، وأن البلاد ما برحت تطالب وتناشد برغبتها الشديدة، وفوق ذلك كله أن الحكومة أفرجت عن معاليه وأطلقت سراحه وهو يرى أمامه باب الطبع ودرب النشر مفتوحين يرحبان ولكن التباشير هذه أصبحت كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء. قال معاليه:

جمعت أمري لنشر ترجمان القرآن وأحرزت من التيسيرات والتوفيق كل شيء. ولكن لما يكن حكم الزمان يوافق مرضاتي، كانت حركة العصيان المدني وتيارها القاذف عم كل مكان وبلغ ازقات القرى وشوارع البلدان في أواخر سنة ١٩٢١. فاضطرت الحكومة أن تعدلها عدتها وأن تقوم على وجهها بأدواتها. فتقدمت حكومة بنگال في العشرين من نوفمبر وأعلنت أن كل الجمعيات والادارات التي تعمل تحت عوامل حركة العصيان المدني تعد معتدية حدود القانون معادية لها. فناهضة للحكومة جاهر المجلس الوطني الكبير (كانگريس) بحركة عصيان القانون فآل ذلك إلى أن اعتقلوني وزملائي من بنگال.

لم أكن لأحتفل لاعتقالي في هذه المرة ما يؤثر في أمر من أمور المطبعة أو ما يمس بعمل من أعمالها. فكان الكتاب ما بين الدفتين مؤلفا بأكمله لا ينقصه شيء. وكانت المطبعة منظمة مقومة بكل الأدوات لكي لا يعرض لها في عملها من فتور أو تعطل في غيابي. ولكن التي نزلت بعد اعتقالي لم تكن حالت دون نشر ترجمان القرآن وتفسير البيان ولكنها أخمدت جذوة حياتي العلمية وأوهنت طموحي وعزائمي.

انتبهت الحكومة بعد اعتقالي أنها لا تملك من المواد ما يكفي لمرافعة ضدي أمام القضاء وأنها تفتقر لأن تجمع لها منها فأمرت بتفتيش داري ومطبعي مرة ثالثة. والذين أتوا ليفتشوا ما تحتاج إليه الحكومة من المواد لم يكن فيهم ولا أحد له إلمام بالعربية أو درك في الفارسية، فأخذوا كل ما وجدوا من الأوراق مكتوبة بالعربية أو الفارسية، زاعمين أنها تضمن بالقطع معنى من المعاني المعادية للحكومة، وذهبوا بكل المكتوبات ولم يفرقوا بين ما نمقه الخطاط ليتطبع على الحجر وما نقله النساخ من المسودات فأخذوه وشدوها في رزمة ملفوفة مطوية.

ومن سوء حظى لم يطالب أحد حينئذ بما يشترط تفويض الأوراق من تقليد يفرض الشهادة والامضاء وتحتم التفصيل والتبيان. إن رجال التفتيش أتوا بقرطاس مطبوع كتبوا عليه أنهم ذاهبون بمخطوطات متفرقة وأسلموا القرطاس بعد ما أمضوا عليه ومضوا.

وعندما أفرج عنى بعد خمسة عشر شهرا كتبت إلى رجال الحكومة مطالبا برد الأوراق، فبعثوا بها إلى بعد ما طالت وتكررت بيننا الخطابات والردود، وهى كأنها فرغت وضاعت أو كادت أن تضاع، أخذوها مجموعات مسودات مرتبة منسلكة. أخذوها مصنفات ومذكرات بين دفتين منفردتين، كاملات وناقصات، ولكن ردوها رزمة قراطيس منشرة، ردوها وريقات ممزقة مطروحة، ردوها وأكثر من نصفها مجذذة الأطراف مخرقة الأوساط.

كان ذلك من أشد ما ابتليت به استقامتى وفتن به اصطبارى وتجلدى فى حياتى، فأثقلت من جهدى أن لا يعبث باستقامتى عابث، فتجرعت أمر كأس ألصقته الأيام بشفتى من حوادثها، ولا أشكو بثى وحزنى إلى أحد غير أنى ذاكر أن مرارتها لتغص بى حتى حين.

الحياة السياسية شعث وصياح وضجة وضوضاء، والحياة العلمية دعة وهدوء وسكون وقرار، لا تجمعهما حياة واحدة. وأنى للقطن المنفوش أن يكون حليفا للجذوة المضطرمة من النار؟ أحببت أن أجمع بينهما والوقت واحد، أنا الخاسر حشدت من متاع الفكر ذخراً بيمينى ودعوت البرق بيسارى، البرق الذى يخطف بالكدس ويحرق الذخر، فالمنتهى والمصير معلوم، فلا أشكو وليس لى أن أشكو!

حقا لقد أصاب معاليه بما وقع من ضجر وكآبة أخدرت الأعصاب من عمله

والإعضاء من فكره، وذهبت بكل جأشه ونشاطه فى الطبع والتسويد، حقا أنه مدفوعا بما أصيب، وهن منه العزم وانتهكت منه القوى، فمهما اجتهد وكلما جد وللأمر سعيه أدرك أن الجراحة ليست خفيفة تلتئم على عجل.

ومن أكبر العقبات وأعضلها التى كانت تنتاب فكر معاليه، هو تكرير العمل وتسويد ما سوده مرة، وذلك لا شك عمل ليس على رجال القلم بأصعب منه ولا أعسر سواه، فهين لهم أن يسودوا تصنيفا وإبداعا ألف صفحة وصفحة نشيطين لا يمسهم نصب ولا تعب، ولكنك تراهم متثاقلين أخذت بهم السآمة والعي كل مأخذها عندما دعوا أن يكتبوا ورقا أفقدوه من مكتوباتهم، أو التمسوا صفحة ضاعت من مسوداتهم.

فلبث معاليه قلقا ضجرا شهورا وسنين، يحاول أن يتبسط وينشط إلى العمل ... يوفق لما حاوله، فكم جلس ليعيد ما ذهب ويخلق ما فات منه، وسعى يعصر قريحته، ويحثها على أن تستريح إلى الأخذ بلم الشعث والقرار إلى جمع الشتات وكم انزوى وتنحى خجلا بما ردت إليه من بقايا الأوراق من الترجمة والتفسير. لم يتمالك ريثما رآها مبددة مبعثرة فى أسوأ الحال، فانزعج وتنغص وقام منكدا حزنا لم يزد على كتابة صفحتين أو ثلاث صفحات. يقول معاليه:

كادت سنة ١٩٢٧ أن تنتهى بميقاتها، إذ انتعش منى الطبع الراكد الخامد منذ زمان فتحرك، وانبعث وتبسط وتبجس، والعقدة التى لم تحلها مجهودات متواصلة من الفكر والشعور، حلها انبعاث من القلب وانثلاج من الصدر، فاستأنفت بالعمل وقمت إليه فقام ورائى سآمتى، فكنت متثاقلا متراخيا بضعة أيام فى فاتحة الأمر وإذا بى هياج من الفكر وهزة من الدوق نفضت منى كل سآمتى نفضا كأن لم تغن بالأمس وذهبت بها ذهابا كأن

وإياها لطول اجتماع لم نبت ليلة معا بل الأمر فاق ذلك فوجدتنى مدفوعا بشدة لم يكن عهدى بها فيما مضى.

فيا سبحان الله ما أغرب سلطان الروح وتصرفاته، وما أندر سيطرة القلب وتحكماته، فأنا حاولت، وحاولت أن ينبسط الطبع وينفتح فلم تزدنى محاولتى غير قبض وانزعاج وإذا به انشرح بنفسه يدفع بيراعى فلا يكاد يقف ولو تعمدت الايقاف.

ومهما كان فبدأت بالعمل واستأنفت بتفسير سورة الفاتحة لأنها كانت لازمة للتفسير كما كانت لا مندوحة عنها للترجمة ثم تناولت بغيرها، كانت الأحوال لا تسمح بى والظروف لا تساعدنى حتى حين، فصحتى كانت تقدم شيأ فشيأ نحو النحافة والضعف، ثم اشتغالى بالسياسة واتصالى بورطاتها كان دائما يعود إلى بلطخاتها ويتخلف عن تلوثاتها حينا بعد حين، كل ذلك كان وما انفك العمل قل أو كثر حتى أتممته وكان ذلك فى العشرين من يوليو سنة ١٩٣٠.

﴿ المباديات للترجمة والتفسير ﴾

وعلى ذكر المباديات التى راعاها معاليه فى بيان مقاصد القرآن ومطالبه قال:

« سأقتصر الكلام فيما يلى على ذكر متاعب الطريق وعثراته، وأما الاسهاب والابانة عن المباديات فأفصلها فى مقدمة التفسير عند الكلام بها.

« نشأت من العوامل والمؤثرات شيأ فشيأ منذ مئات السنوات ما أخفت وجه الحقيقة من القرآن وأحجبته عن الأعين وراء الستار، فكونت للدراسة له والفهم عنه مطمحا متواضعا ومستوى متنازلا بمرور الزمان، ولم يقتصر هذا التواضع وهذا التنازل دون معانيه ومراميه فحسب بل أحاط بكل شيء من

القرآن وحل منه بكل مكان، حتى بكلماته ولغته وتراكيبه وبلاغته، فلا تجد لسمة الفكر من نصيب فيها ولا لشرف النظر من حظ نحوها.

• إن كاتب كل عهد يكون مخلوق ما أحاطه من العقلية والذكاء، مبدأ مألوف لا يخرج من حكمه إلا الذين وهبت لهم الطبيعة ولرؤوسهم أكبر نصيب من دقة الفكر وذوق الاجتهاد وانفردت بهم صفا، فلو نظرت إلى ما كتبه المفسرون أجمعون ودرست ما صنفوا منذ أوائل مئات الاسلام إلى قرونه الأخيرة، لوجدته من مستوى الفكر سلسلة كالطول المرخى ملقاة ممتدة منحدرة. فكل ما ارتقيت وصعدت بحلقاتها رأيت الحقيقة على قدر الصعود جليـة فأجلى، ووجدت الشيء في زيه الطبعي واضحا فأوضح، وترى الأمر بالعكس كلما هبطت وقدر ما نزلت.

• وليس ذلك غير ما أتى به الفكر الوضيع المنحط في رؤوس المسلمين بطبيعة الحال، فلما تبين لهم أن القرآن في سمائه فوق ما يحلمون به وفوق ما يبتغون إليه، أخذوا به يجرون إلى حضيضهم ليلائم وما يشتهون ويتذرعون به ما يبتغون.

• فاذا أردنا والأمر كما مر أن نرى القرآن عينه بأعيننا أو أن نلمس ذاته بأيدينا لنعلم الشيء من شكله ونوعه، فعلينا أن نرفع عن وجهه الحجب والأستار التي ألقتها الأيام بأيدي أدوارها المتعاقبة وغطته المؤثرات الخارجية من شتى النواحي، ثم نتقدم خطوة ونفحص عن حقيقة القرآن في مطوياته ونطلب من صفحاته.

• تراكمت الأعراض والأغطية وتكاثرت، فتكاثفت وتنوعت حتى خرجت عن العد والحد، لا يطاق البيان على شرط الأجمال، ولكن بذلت جهد

فى مقدمة التفسير قدر المستطاع أن أخطط لها خطوطا كبرى ومباديات محددة وإن الملحوظات الآتية لتدعوك لتفكر فيها .

١ ـ «إن القرآن الحكيم فى وضعه وأسلوبه وبيـانه وخطابه و فى كل شؤونه لا يخضع لأوضاعنا ولا لصناعاتنا . وما عليه أن يشترط لمثل هذا الخضوع ، إن له فى كل ما يتعلق به لسـنة أخلصتها الطبيعة وأغنتها عن أن تركن إلى جانب أو أن تميل . وهى المزية الأساسية التى تفصل الأنبياء فى دعوتهم عما يدعو إليه العلم والفلسفة فى مباديها الوضعية .

• نزل القرآن وكان الطبقة الأولى من الذين خاطبهم وناداهم على سذاجتهم الفطرية القويمة ، ولم يكونوا من وضعية المدنية ولا من صناعة العلوم فى شىء ، لحدث أن دخل القرآن أفئدتهم كما كان . وأن أصحـاب النبى صلى الله عليه وسلم كانوا يدركون الحقيقة من القرآن بمجرد ما سمعوا منه آية أو سورة .

• ولـكن ما كاد ينقضى الصدر الأول من الاسلام إذ هبت من روضات حضارة الروم ومـدنية الفرس ناشرات أغرست بذور العلوم اليونانية بنقلها إلى اللغة العربية ، فانتجت أن مالت الطبائع إلى الوضعية وهوت إلى أدواتها وأعرضت عن الأطوار الفطرية للقرآن متنكرة . ثم اشتد هذا الاعراض وهذا التنكر بقدر ما اشتد من الطبائع ميلها وهواها إلى العلوم والصناعات ، فانتهى الأمر بخطواته شيأ فشيأ إلى عهد أخـذوا فيه يصوغون بكل شىء من القرآن صياغة الوضع ، والاصطناع ، ولما لم تكن الوضعية لتتقمص الفطرة وتملأ فراغها تكونت الارتباكات والورطـات ، ومهما أثقلوا من الجهد وأوسعوا ليتقوها ازدادوا تورطا والتواء .

• إن طبائع الانسان إذا ما بعدت ونأت عن الفطرة بجانبهـا وغشيتها

الوضعية بحواشيها. تأبى كل الاباء أن تصبر على سذاجة الأمر وأن ترضى عن الشيء بداوته وبساطته. إنها لا تستطيع أن تتصور جلالة الشيء وعصمته ومحاسنه مقرونة بالبساطة فتراها عندما أرادت أن تجل الشيء وتكبره إلى أبعد حدود الفخامة والكبرياء. تهتم وتسعى وتتكلف كل ألوان الوضعية وأنواع الاصطناع ومثل ذلك فعلوا بالقرآن. فالسلف أدركوا من القرآن حقيقته الفطرية البسيطة، لأنهم ما كانوا من الوضعية فى شيء، ولكن الذين خلفوا، كبر عليهم ونقل أن يكون القرآن بسيطا فى زيه ساذجا، فأخذوا من ثقلهم وراحوا يقطعون له ولكل شيء منه ملابس وأزياء من الوضعية. وحيث لم تكن الملابس هذه لتصلح وتوافق. عمدوا إلى ان يلبسوها كيف ما اتفقت. فانتهى ذلك إلى أن القرآن تحول منه كل شيء إلى تورط، وتعقد ولم يستقم له منه ولا شيء موزون.

«إن لتفسير القرآن عهدان: عهد لم تكن فيه العلوم الاسلامية كتابة ولا تدوينا. وعهد بدأ وبدأت به الكتابة والتأليف. واستمر بأدواره وطبقاته والذى أحسسناه إن القوم بدأ ينسج ملابس القرآن عندما تنفس عهد الكتابة بالصبح وتواصل بالعمل إلى أن انقضى نشر الفلسفة أجله. وفى هذا العهد ألف الامام فخر الدين الرازى تفسيره الكبير وبلغ من جهده أن يكسو القرآن من رأسه إلى أخمص قدمه كسوة وضعية مصطنعة. ولو أدرك الامام هذه الحقيقة لذهب تفسيره كله عبثا أو الثلثان منه على الأقل».

وقصارى القول، كما أوضح معاليه إنه عندنا صناعة للبلاغة ومنطق للاستدلال وعندنا ميزان منها بكفتيه وأوزان، وقطعنا على أنفسنا لتفانينا فى الوضعية أن نرى المفطور كالموضوع والمطبوع كالمصنوع، وذلك هو الضلال البعيد. ليس فى أسلوب القرآن ما يدعوك إلى التعقيد والاشكال، ولا فى لغته ما يبعثك على البحث

لفحص. وإن بلاغته ما أيسر ما تمسكه مداركنا، وما أسهل ما يقبله الوجدان ا. وإن آياته التى يعبر عنها بالحجة البالغة، لبراهين وأعلام تخضع لها الأفئدة ؛دمغة، وتهوى إليها الأفكار والعزائم. ولكن يا ويح للوضعية وللصناعات فقد قد؛ كل بسيط مدفوعين بها، فأحدثنا العقبات والمآزق فى مسئلة الأسلوب اللغة والبلاغة وربط الآيات وطرق الاستدلال، حيث طلبنا من القرآن ترتيب باب. وأسلوب كاتب، وبلاغة أديب، واستدلال منطق، من كتّبنا وكتّابنا وأدبائنا المنطقيين منا، كل ذلك فعلنا غير مكترثين إلى أن حقيقة القرآن لا تشرق ولا تقد الا بغروب الوضعية وانطفائها.

٢ ـ «أى كتّاب كان إذا ما سئلوك عن مراده، فترد الأمر بالطبع إلى الذين استفادوا به عن صاحب الكتاب. نزل القرآن فيما بين الاثنين والثلاثين عاما، وكان الصحابة رضى الله عنهم يسمعون من الآيات المنزلة فيقرؤنها ويكررونها فى صلواتهم، ثم كانوا يسئلون النبى صلى الله عليه وسلم عنها وعما فيها إذا سنحت لهم بذلك حاجة. وقد نشأ فيهم من كانت لهم مزية تذكر فى فهم القرآن واختصاص يوصف، كما شهد به النبى صلى الله عليه وسلم نفسه. فكان من الحق الطبعى أن يؤثر بأمثال هؤلاء الأخصائيين، ولكن لنكد من الطالع ما فعل ذلك، وخلف من بعدهم خلف أتوا بمبتكرات تحت المؤثرات العصرية من تفكيرات دقيقة وفسروا خلاف ما فسر به السلف فى كل باب. وقيل «إن السلف أقوى إيمانا ولكن الخلف أقوى علما»، مع ما كان شائعا عن السلف بأنهم «أبرهم قلوبا وأعمقهم علما». فانتهى ذلك إلى أن الحقيقة ظلت تختفى يوما فيوماً وتحول الأمر الواضح إلى عقدة لا تنحل.

«ومما زاد الطين بلة أن أخذوا بضعيف أو بسقيم من الأمر أولا، واتجهوا به إلى أن لاقوا وراء سقمه أو ضعفه ما لاقوا من المتاعب، فابتكروا من

المباحث وجددوا من المقالات، وكتبوا المتون والشروح والحواشي والمتون والتعليقات فزاد التورط تعقيدا.

«وفى بعض الأحيان يأخذ بك العجب إذ ترى الحقيقة مستورة معتة إلى حد لو قمت لتكشف عنها، لواجهت سترا دون ستر وغطاء دون غطا ولسبقك لسانك «ظلمات بعضها فوق بعض».

«ولتقدر القول تقديرا صحيحا خذ موضعا من القرآن، واطلب من الصحابة والتابعين ما فسروا به. ثم انظر إلى ما قال عنه الخلف ووازن بينهما. يتضح عليك أن المسئلة كانت بسيطة واضحة لا تحتمل الغموض فى تفسير الصحابة السلف. ولكن المبتكرات الدقيقة من الخلف عبثت بالمسئلة وأعقدتها فتدل وجهها غير الوجه.

«وها هى المتقدمات من آيات سورة البقرة (١) الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة (٢) والذين يؤمنون بما أنزل إليك. فالمراد فى الأولى حسبما روى عن عبد الله بن عباس وعن ابن مسعود، الذين آمنوا من العرب وفى الثانية أهل الكتاب كما ذهب إليه الصحابة. اختاره الامام ابن الجرير ولكن ما اقتنع بذلك الخلف وأتوا بعبثات أدت إلى فتور فى اتصال هدى للمتقين من جهة وإلى ضياع ما أراد القرآن وأكد له من تقسيم الناس إلى ثلاثة أنواع من جهة أخرى.

٣ ـ «لم يستطع النقادون المحققون أن يحشوا الاسرائيليات ويختصروا ما نبتت وانتشرت بين الناس من الأقاصيص والروايات مهما بالغوا فى النقد وأوسعوا فى التحقيق، فبقيت مطوية بالتفسير ممزوجة لم تنفصل عنه.

٤ ـ «تلهوا فتركوا ما رويت عن الصحابة والتابعين حقا، والتفتوا فأخذوا كل

سند إلى تابعى تفسيرا من الصحابة والسلف.

٥ - «وأشد ما يؤسف عليه أن ذلك خبط استدلال القرآن وألغى فى طرقه، ولا يخفى أن طريق الاستدلال من القرآن هو المحور الذى تدور حياله دعوته وتبيانه، وهو الذى يظهر ببصائره، وقصصه، وأمثاله، ومواعظه، وحكمه ومقاصده، ومهماته، مظهر الازدهار والبروز، مظهر الاشراف والنهوض، ولما انعدمت منه هذه المظاهر فكأنما انعدم من القرآن كل شيء.

«الأنبياء ما استدلوا كالمنطقيين بترتيب المقدمات نظريا وبالتعقد على المخاطب، إنهم لقنوا مباشرا وخاطبوا الأفئدة والرؤوس رأسا، فخضعت الأفكار للتلقين ورضيت الضمائر بالخطاب، ولكن مفسرينا وقد غلبتهم الفلسفة، وأخذ بهم وبلبهم المنطق، لم يكونوا ليقبلوا من الأشياء بداوتها فعلموا أكبر فضيلة للأنبياء أن يكونوا منطقيين. ورأوا نهاية عظمة وكبرياء للقرآن أن يكون كل شيء منه كأنه منطق أرسطو. فيا ويح لهم، ما أغنى عنهم ما كانوا به يحكمون، بل هم أضاعوا من أدلة القرآن جمالها البارز، وبراعتها الناطقة، وقوتها النافذة إلى أعماق النفس، وحشدوا حولها من قشور الشبهات وفضول الايرادات ما لا حد لها ولا حساب، وأن أيدى الامام الرازى نراها نشيطة تمتد إلى هنا وهناك لجر وتجمع، ولا نجدها يا لسوء الحظ تعمل كمنفض ومنظف.

٦ - «لم تدخل صناعة المنطق ولا علوم الفلسفة، القرآن من باب واحد بل دخلت من أبواب متفرقة، فمن إحدى مداخلها المصطلحات من الكلمات العربية. يعلم كل أحد أن الفلسفة اليونانية لم تكن موضوعة للقرآن، ولم تكن اللغة العربية حتى نزول القرآن تعرف مصطلحات علوم الفلسفة، فالقرآن إذا ما نطق ببعض الكلمات التى أخذتها الصناعات عرفاً لها، فلا يعنى بها ما أرادت

المصطلحات. ولكن القوم أبى إلا أن يدعى ويثبت من القرآن ما تتقاضاه الصناعات وتطالب بها مصطلحات العلوم، فتعرّض للخلود، والأحدية، والمتنة، والتفصيل، والحجة، والبرهـان، والتأويل، معان ومدلولات لم تخطر على بال أحد ممن قرأ القرآن فى الصدر الأول من الاسلام أو سمعه.

٧ ـ «وأكلوا من هذه الشجرة فبدأ لهم أن القرآن ليرحب بالتنقيب الفنى والفحص العلمى العصرى ويواتيه، فراحو يطابقون النظام البطليموسى بالاسلام كما راح سماسرة العلم فى هـذا الزمان، يفسرون فيستدلون على مسائل علم الهيئة العصرية بآيات القرآن.

٨ ـ «لكل كتاب كما لكل تعليم غايات أساسية ومقاصد مركزية، يدور حولها كل ما يتعلق بالكتاب وبالتعليم من المسائل، ولا تتبين لك وجوه المسائل ما لم يتضح عليك المركز والأساس. وللقرآن كذلك مقاصد وغايات. ولكن كما أسلفنا، من المؤثرات أمست لا تستبين، فتلبد بذلك الجو والتبس من القرآن التبيان، والتعليم والخطاب، والاستدلال، والاشارة والاجمال. ألا تنظر من سورة آل عمران تفسير آية «وما كان لنبى أن يغل» (١٦١) أو تفسير قول اليهود «يد الله مغلولة» (٥-٦٤) ترى ما خبطوا الآية وما عبثوا بها باحثين، ثم ترى كيف خلوا سبيل السياق والسباق، وأعرضوا عن المحل وراحوا ينقبون عن الخبايا والزوايا.

٩ ـ «إن سلامة الذوق وصحته من أهم الشروط وأقدمها لفهم القرآن فهما صحيحا، ولكن تطرق إليه الفساد والانحراف لبواعث قد يطالب بسط الكلام. فحدث أن اشتبك كثير من المسائل والمباحث وارتبك بعضها بعضا. لأن الذوق فقد السلامة وبعد عن مدلولات لغة نزل القرآن فيها.

١٠ - «إن المؤثرات الفكرية من كل عهد لم تزل تعمل فى علم التفسير كما هى ما زالت عاملة فى غيرها من العلوم، ومما لا شك فيه أن صفحات التاريخ الاسلامى ستفتخر بعلماء الحق وتخلد ذكراهم مباهاة، فلم يخضعوا أبدا ما داموا أمام التيار السياسى، ولم يرضوا يوما ما أن تمس الأصابع من السياسة بكرامة المسائل الاسلامية وكرامة المعتقدات الدينية، ولكن للمؤثرات العصرية مداخل غير مدخل السياسة، ولها أبواب غير باب السياسة، إذا فتحت مرة لا يستطيعون سدها كرة أخرى. نعم إن لنا تأمين أعمالنا وعقائدنا ضد الانفجار العصرى وقد أمنها علماء الحق من أن يفتك بها فاتك من المؤثرات الخارجية، ولكن الذى ما استطعنا السهر عليه أن نضرب التأمين على الادمغة والرؤوس فأصابت وبئسما أصابت، ونضرب عن ذكر الأمثلة صفحا لضيق المقام.

١١ - «أتم القرن الرابع من الهجرة ميقاته، وأتم التاريخ للعلوم الاسلامية عهد الابتكار، فتحول الجد والاجتهاد اقتفاء وتقليدا الا ما ندر وشذ، فدب الشدة فى بنية التفسير هذا الداء العضال وسرى إلى عروقها، فحدث أن كل من اعتزم على أن يكتب فى التفسير، جعل يقتفى أثر أحد ممن سبقه وراح يتبع خطواته مطبقا عينيه كالأعمى، فترى ما سقط به مفسر فى القرن الثالث ينجر ويستمر إلى القرن التاسع نقلا بعد نقل، ولم يتعمد أحد إلى أن يتخلى عن التقليد برهة من الزمان فيفحص عن الأصل ويأتى بالحق. ثم انتهى الأمر إلى أن قعدت الطبائع عن الكتابة فى التفسير وتواضعت لأن تقوم بتحشية تفسير متداول معروف، وها هى حواشى البيضاوى والجلالين بين أيديكم تفكروا فيما عبثوا به، بل أضاعوا من قوى الكتابة والابداع وراء تبييض الجدران من البناء المشيد وتلوينها.

١٢ - «يا جفوة من فتور الذوق وقصوره! فقد شد الزمان عضوه وساعده ليؤيد

كل زيغ واعوجاج. وملأ فراغ الدرس والتداول ولا عجب أن فى القرون الأخيرة من كتب التفسير بما كانت فارغة من محاسن القدماء ومزاياهم. من يعد السكاكى فوق الجرجانى. ويرى التفتازانى فوق السكاكى. ومن رأى ذلك وعد فلا بأس عليه أن يمنح البيضاوى والجلالين فضلا وقبولا.

١٣ - «يأخذون من شتى الأقوال عند التفسير ما يكون ضعيفا بعيدا عن نحو ويغضون عن كل ما يناسب أطرافهم، ويعرضون عنها إعراضا كما تشهد لك بذلك كتب التفاسير المتداولة المعروفة.

١٤ - «انفجرت من التفسير بالرأى فوهة، كانت تقشعر مخافة انفجارها أعماق الصحابة وأرواح السلف. فأحدثت أشد الوعور والتوت أكثر الأمور. وأحجم الناس فى أن يقدروا التفسير بالرأى تقديرا صحيحا. فعثروا وزلوا ولم يهتدوا إلى أن النهى عن التفسير بالرأى لايرادف المنع من التفكير فى مطالب القرآن عن بصيرة المرء وعقله، ولو كان ذلك لكان درس القرآن والفحص عنه عبثا. والحال أن القرآن باجمعه دعوة ونداء، يدعو الفكر، وينادى العقل ويجهر بالقول «أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها» (٤٧ - ٢٤) والأصل أن كلمة «الرأى» هنا ليس بمعناها اللغوى، ولكنها عرف شرعى يمثل تفسيرا أتو به لا لأن القرآن يتقاضاه، ولكن فسروا به ليقضوا ما أجمعوا عليه أنفسهم. وإليك الامثال:

١ - «لما اختلفوا فى باب العقائد، ونشأت بهذا الاختلاف مذاهب كلامية ونشأ لها مناظرون، قام كل مناظر بالجد وسعى أن يفعل فى نصوص تنزيل ما يشاء ليطابق عليها مذهبه. فما كان يهمه أن يعلم من القرآن إتجاهه. بل كان كل همه أن يجاهر أن آيات القرآن تؤيد ما يذهب إليه. وذلك هو التفسير بالرأى.

٢ ـ وعندما اختلف الأحزاب من المقلدين لمذاهب الفقهاء، واشتدت العواطف تحزب وتحيز، طفقوا يتهادون بآيات القرآن وراء وجهة أنظارهم فى المسائل وأخذوا يبسطون بها طورا، ويقبضون بها أخرى، غرضا منهم وهواء، ما شغلهم قط فى ذلك إكثرات مدلولات صريحة من اللغة ولا اعتناء معان واضحة منها، رموا بكل ما تقاضاه طبيعة أسلوب البيان، وقذفوا بكل ما تقضى به البصيرة وتأمر به النهى، كلفوا كل ذلك ليجعلوا القرآن يطابق مذهب إمامهم وذلك تفسير بالرأى.

٣ ـ وطائفة من الدراويش، وأصحاب الطرق السالكين مسالك الأسرار والبطون، البالغين من السلوك أبعد الحدود، أخذت تصوغ القرآن وتسبكه على كل ما تعتقد به وتبحث عنه، فما أبقت من القرآن حكما، ولا عقيدة ولا بيانا، غير محرف بالمعنى، إن ذلك تفسيرا بالرأى.

٤ ـ قطعوا لاستدلال القرآن ثوبا من المنطق، والتزموا حيثما ذكر القرآن «السماء» «والكواكب» «والنجوم» تثبيت أحكام لتلك الأجرام الفلكية بفرضها علم الهيئة اليونانية، وهذا هو التفسير بالرأى.

٥ ـ ويرى بعض الذين يدعون الاجتهاد والنظر فى هذا الزمان من علماء الهند والديار المصرية، فذهبوا إلى أن القرآن ليكن منه ما يبرهن على المباديات العصريه للعلم والارتقاء، وليكن منه منبطا للفحص العلمى والتنقيب العصرى فكأن القرآن لم ينزل إلا ليهمس فى أذن الدنيا قبل عدة قرون من الألغاز ما أدركها كوپرنيكس، نيوتن، ڈارون، وويلس من غير كتاب سماوى يتخلف به. وهى لا تزال غامضة لا تهتدى إليها الدنيا حتى يأتى هؤلاء المفسرون فيكشفون عن تلك الألغاز، ألغاز ألف وثلثمائة سنة! إن ذلك لتفسير بالرأى.

«هذه إشارات وملحوظات بالجملة. وكفاك تقديرا بمتاعب الطريق وعثائه.
واجتهدت ما استطعت أن أواجه كل وعور، فكم كان نصيبي من الانتصار في
مجهودي، ذلك ما لا استطيع أن أحكم به. ولكنى استطيع أن أقول إن
«ترجمان القرآن» ماهد أمامكم طريقا جديدا لدراسة القرآن وفهمه، وسيجد
الخبيرون ممرا لا عهد لهم بمثله قبل ذلك».

وأتم معاليه مقاله بعد ما تعرض لبعض التفاصيل من ترتيب الكتاب
وأوصافه فقال:

«مضى لى سبع وعشرون عاما بالتمام، والقرآن كان موضوع مطالعة ليلى
ودراسة نهارى. ذهب بى الفحص والتفكير وراء سور القرآن وآياتها، بل وكلمته
إلى أبعد حدوده وأوسع نواحيه. فدقق فكرى سورة سورة، وحقق نظرى
آية آية، ونقب دراستى لفظا لفظا. ولى أن أقول إننى قرأت من كل ما
يوجد من الكتب والتفاسير خطية كانت أم مطبوعة أكثرها، فلم تفت فكرى
ناحية من نواحى علوم القرآن فى مباحثها ومقالاتها. وقالوا عن العلم قديما
وجديدا، ولست على شىء من هذا الفصل، فالذى يقال عنه إنه القديم هو
ورثته وأما الجديد فقلقته بعصاى، وجعلت لنفسى إليه سبيلا، فهو عندى
كالقديم علما وخبرة.

«إن كل ما وهبت لى أسرتى وبيئتى، وأسلمت إلى أوضاع الاجتماع
والتعليم. أبيت أن أقتنع به منذ أول يوم، فما حالت دونى شروط التقليد
وعوائده فى أية ناحية قصدتها، ولم تزل عاطفة الفحص والتنقيب منى عطشى
أينما حللت.

«فلى فى داخل فؤادى اليوم يقين شاكه الظنون بأصنافها وألوانها. بل

فى أعماق روحى عقيدة أبتليت بكل بلاء العصيان وعذاب الجحود، ولقد شربت السم من كل كأس واختبرت مضاده من كل مستشفى. حينما كنت ظمآنا، لم يكن عطشى كغيرى، وعندما ارتويت كان مشربى غير المنهل العمومى.

«وبعد الفحص والطلب طوال هذه السنوات، بسطت من القرآن كما علمت، وقدر ما علمت على هذه الصفحات.

«ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون.

١٦ نوفمبر سنه ١٩٣٠ أبو الكلام»

سجن ناحية ميرتهه

الفقه الهندوسي الأكبر — منو دهرما ساسترا

«منو دهرما ساسترا» (Manu Dharma Sastra) كتاب جامع معتمد عليه. معمولا به. يحتوى على الشرائع التى تتبعها سائر الطوائف الهندوسية. وهو كتاب عتيق. لا يعرف مبدأه، ولا مؤلفه. وقد زعم القوم أنه من تأليف أول إنسان على الأرض، أو أول ملك قام من البشر، أو أول عارف وضعه بإلهام من الله في زمن غارق في القدم. وما لا ريب فيه أن أصل الكتاب قديم جدا. ذكر في المؤلفات التى يرجع عهدها إلى القرن السابع قبل الميلاد، والشرائع التى احتواها أقدم منه بكثير، إلا أن الزيادات ألحقت إليه في العصور التالية، حتى نجد فيه بعض ما وقع في العصر البوذى. ومع ذلك يستحق الكتاب أن يهتم به لقدمه، ولما يحتوى من الشرائع التى لا يحيد عنها الهندوس الدينون إلى هذا اليوم.

ويظهر من الكتاب أن الثقافة الآرية في عصر تأليفه لم تنتشر في الهند الجنوبية، بل انحصرت في الهند الشمالية وفى سهول الهند الوسطى، وأن البلاد كانت منقسمة سياسيا إلى مملكات كبيرة وصغيرة، مستقلة كل الاستقلال أو بعض الاستقلال، وإلى جمهوريات صغيرة تعيش في كنف تلك المملكات بسلام.

وكانت القرى تحكم على نفسها، ويراقب كل عشرة قرية مراقب من قبل الملك، وكذلك يسيطر على كل عشرين قرية، ومائة قرية، وألف قرية حكام من قبل الملك، لا يتداخلون في شئون القرى الداخلية، بل كانت وظيفتهم الأساسية التجنيد عند نشوب الحرب، وجمع الخراج للخزينة الملكية.

وكان عمال الملك فى القرى لا ينالون مرتباتهم نقدا بل جنسا ، فكان يمنح عامل القرية ما يحتاج إليه من الطعام والشراب واللباس ، وعامل عشر قرية يمنح من الأرض ما يكفى لحاجات أسرته ، وهكذا يزداد أجر العمال حسب ارتفاع مناصبهم ، فكان مرتب عامل ألف قرية أن يأخذ لنفسه إيراد قرية كبيرة .

وكان الملك يعتبر أكبر موظف فى المملكة ، عليه أن يدافع عن حقوق الشعب ويعمل لراحته . وكان يساعده فى الحكم المستشارون والوزراء . وكان الملك هو الذى يتولى وزارة المالية التى وظيفتها جمع الخراج والجمارك . وإدارة المعادن . ويتولى وزارة الدفاع والبوليس رجل مدنى . أما القائد العام فلم يكن له من الأمر شىء إلا إذا نشبت الحرب ، فعليه أن يقود الجيش .

وكان المجتمع الهندى مؤلفا إذ ذاك ، كما هو الآن من أربع طوائف : برهمن ، كشتريا ، ويسيا ، شودرا . ولكل طائفة وظائفها وواجباتها . فكان على البرهمى أن يشتغل بالتعلم والتعليم ، وبارشاد الناس فى دينهم . فكان هو المعلم ، والكاهن ، والقاضى ، ورئيس الوزراء . أما كشتريا ، فكانت وظيفته أن يتعلم ، ويقدم القرابين . وينفق فى الصدقات ، ويحمل السلاح للدفاع عن وطنه وشعبه . أما ويسيا ، فعليه أن يزرع ، ويتجر ، ويجمع المال ، وينفق على المعاهد العلمية والدينية . أما شودرا فعليه أن يخدم الطوائف الثلاثة الشريفة .

ونعلم من الكتاب أن الرق كذلك كان شائعا فى البلاد . وكان العبيد على أنواع : أسرى الحرب ، والذين باعوا أنفسهم لفقرهم ، والذين لم يستطيعوا سد ديونهم فحكموا بالرق .

أما المرأة ، فقد حرمت كثيرا من حقوقها السابقة فى عصر « منو دهرما ساسترا » لأن أبواب العلم قد سدت على وجهها ، فلا يجوز لها أن تدرس كتب ويدا ، وكذلك

جردت من حياتها الاستقلالية. فحكم عليها أن تعيش فى كنف أبيها، قبل الزواج. وفى حماية زوجها بعد الزواج. وتحت رعاية أبنائها إذا مات زوجها.

وقد فرضت الشريعة الهندوسية على أبناء الطوائف الثلاثة الشريفة أن يعملوا من حياتهم أربع مراحل: مرحلة الدرس والتعلم، مرحلة الحياة الأهلية، ومرحلة التأهب للانقطاع عن أمور الدنيا، ومرحلة النسك والرهبنة.

وقد ترقت البلاد فى عصر «منو» فكانت هنالك حياة مدنية، وحياة قروية كما نعرفها الآن. وكانت البيوت من الطين، والآجر، والحجر، والخشب، ذات طبقة واحدة، أو طبقتين، أو طبقات ثلاثة أو أربعة.

وكانت الزراعة أهم ما يشتغل به الناس، كما هو الحال الآن، فيزرعون القطن، والشعير، والقمح، والأرز، والسمسم، وقصب السكر، والخضار ويحصدون الزرع مرتين فى السنة: فى الربيع والخريف. وكانت الحكومة تراقب الزراعة وتعاقب من يغش فى البذور، وتأخذ من المحصولات الربع، أو الثمن أو العشر حسب نوعية الأرض المزروعة.

وكانوا يربون من الماشية الجاموس والبقر، والمعز، والشاة، ويتجرون بالحب والسمن، والصوف.

وكانت الصناعة من أنواع شتى راقية. وكان واجبا على كل صانع أن يخصص يوما فى كل شهر لأشغال الملك بالأجرة المعلومة. أما التجارة فكانت البلاد تقدمت فيها كثيرا. وكانوا يتعاملون بالنقد والمقايضة. وكانت الحكومة تحدد الأثمان بمشورة التجار وتعاقب الذين يغشون فى مداولاتهم.

وكانت البنوك معروفة، تقدم المساعدات المالية وتأخذ عليها الربا الذى كان يجوز أن يجاوز خمسة عشر فى المائة. وقد عرفت الأوراق المالية كذلك

تصدرها البنوك، وكان لزاما أن تجدد سنويا.

هذه نظرة طائرة على محتويات الكتاب. ويستحسن الآن أن نقتبس ونلخص بعض لأحكام الشريعة من الكتاب.

﴿ الطفولــة ﴾

يلعق المولود قبل قطع سرته معجونا مركبا من ورق الذهب والعسل والسمن بعد تلاوة آية من ويدا.

يختار للمولود إسما فى اليوم الحادى عشر أو الثانى عشر لولادته. ويتركب الاسم من الكلمات الدالة على البهجة والسرور إن كان برهميا، وعلى الحول والقوة إن كان كشتريا، وعلى الثروة والغنى إن كان ويشيا، وعلى الذل والمهانة إن كان شودرا.

وإن كان المولود بنتا. فيجب أن تسمى باسم سهل، حلو، خفيف النطق، بهيج.

وإذا بلغ المولود أربعة أشهر من عمره، يخرج به إلى خارج البيت، وبعد ستة أشهر يقدم إليه شيء من الطعام.

وتكون العقيقة فى السنة الأولى من الولادة أو السنة الثالثة.

يجب عبادة الرزق كل يوم، ولا يجوز احتقاره بحال، بل إذا تناوله المرء يشكر الله ويناجيه قائلا «جد به على دائما».

لا ينبغى تناول الطعام عند ملتقى النهار والليل، ويجب غسل الأيدى والفم بعده.

إن الاكثار من الأكل يضر بالصحة، وينقص من العمر، ويبعد عن الجنة، ويسيء السمعة فى الحياة الدنيا.

يجب زواج المرأة طبقا للرسوم الدينية. ودين المرأة، طاعة زوجها. واشتغالها بأمورها البيتية، يضمن لها نجاتها.

﴿ مرحلة التدريس ﴾

على طالب العلم أن يعظم أستاذه، ويمس يديه قدمه فى بدء الدرس ونهايته.

على البرهمى أن يحب كل من فيه الحياة. وخير عبادته، حمد الله فى قلبه.

إن الذى تغلب على نفسه. فقد تغلب على حواسه التى تقوده إلى الشر. إن النفس لأمارة بالسوء. والنفس لا تشبع أبدا، بل يزداد جشعها بعد أن تنال مشتهاها.

إن الذى أوتى كل شىء، والذى تخلى عن كل ما كان فى يده. فهذا خير من ذاك.

يقول العلم للعالم «إننى أنا ثروتك، فاحتفظ بى، ولا تنفقنى على من لا يستحقه

إذا رأيت الأكابر جالسين. فسلم عليهم وصرح لهم باسمك.

إذا خاطبت المرأة التى لا تعرفها. لأنها ليست من أقاربك، فخاطبها بكلمة الأخت.

سلم على الخال، والعم، والصهر، والكاهن، والمعلم وإن كانوا أصغر منك —

احترم خالتك، وأم زوجتك، وقرينة معلمك، فانهن كالأم لك.

العمة، والخالة، والأخت الكبرى بمنزلة الأم، وإن كانت الأم أفضل منهن

إن الذى أعطاه الله المال، أو العلم، أو العمل، أو قدمه فى القرابة أو العمر فيجب احترامه. والذى بلغ التسعين من عمره، وإن كان من طائفة شودر فكذلك يستحق منك الاحترام.

إن الذى يملأ سمعك بعلم ويدا، فهو لك كالأم والأب، فلا تعاديه أبدا ومعلمك أفضل من والديك، لأن لذتهما الجسدية هى التى أوجدتك لتعيش

ين. وأما المعلم فهو يهبك حياة لا نهاية لها.

والذى يعلمك، وإن كان أحدث منك سنا، فهو أستاذك. أما سمعت أن ن «انكرا» علم عمه وخاطبه قائلا «يا إبنى» فغضب العم على ابن أخيه، وشكاه ل الآلهة. فقالت له الآلهة «لقد أحسن إبن أخيك وصدق، لأن الذى يتعلم و الابن، والذى يعلم هو الأب.

ليس الكبير من عاش طويلا، وابيض رأسه، أو ملك مالا كثيرا، أو كثرت قاربه. بل الكبير حقا ذلك الذى حظى بعلم كثير. فالعالم، وإن كان صغيرا، كبير بعلمه.

الفيل المصنوع من الخشب، والغزال المصنوع من الجلد، والبرهمى الأحمق، سواء عند العقلاء.

ومثل البرهمى الأمى كمثل العنين بين النساء والبقرة بين البقرات، فهم سواء فى العقم.

لا تأتى بعمل يؤذى حيا من الأحياء، وإن كنت دينا، فعليك بكلام حلو. إن الذى استقامت نفسه، وحلا كلامه، فهو الذى ينتفع بفلسفة الدين.

لا تفوهن بكلمة تجرح قلب غيرك، وإن كنت مجروح القلب بنفسك، ولا تحسدن أحداً، فان الحسد يأكل الفضائل كما تأكل النار الحطب.

وعلى طالب العلم أن يقهر نفسه، ويرقى روحانيته بالاغتسال كل يوم، والتعبد قلب طاهر فارغ من أفكار الدنيا.

ويجب على طالب العلم أن يتجنب الحلاوى. واللحوم، والروائح الطيبة، لعسل. ويتجنب قتل النفس.

وكذلك يجب عليه أن لا يدلك جسده بما له رائحة طيبة. ولا يكتحل. ولا يحتذى، ولا يتظلل بالشمسية. وأن لا يدع فى قلبه للشهوة الجسدية، والغضب والطمع مجالا. وعليه كذلك أن يتجنب الرقص، والموسيقى، والقمار، والمشاجرة والغيبة. والنظر إلى النساء، والحقد على أحد من الناس. وعليه أن يرقد وحيدا ولا يستمنى. فالذى يفعل ذلك، آثم عند الله. وإن احتلم، فليغتسل صباحا ويسبح متوجها إلى الشمس.

وعلى طالب العلم أن لا يهتم برزقه، بل يحصل رزقه بالتسول. يجمعه من بيوت الذين يقومون بواجباتهم الدينية. ولا يجوز له أن يتسول فى أسرته أو أسرة معلمه، أو أسرة أخيه. ولا يقبل الصدقة من الفساق أبدا. وكذلك لا يجوز له أن يعيش بصدقة بيت واحد.

وعليه بالجد فى درس كتب ويدا، والنشاط فى خير معلمه، سواء أذن له المعلم بذلك أو لم يأذن.

ليقف أمام معلمه متأدبا، خاشعا، متنبها، مالكا لحواسه، ولسانه، وقلبه.

لا يغطى يده اليمنى بردائه، ولا يجلس إلا إذا أذن له المعلم.

عليه أن يأكل أدنى مما يأكله المعلم، ويلبس أدنى مما يلبسه، ويستيقظ قبله وينام بعد نومه.

لا يتفوه باسم معلمه المجرد من كلمات الاحترام، حتى وإن كان المعلم غائبا ولا يقلده فى كلامه وزيه، ولا يجالس الذين ينالون من كرامة معلمه، ويسد أذنيه من سماع غيبته، ويخرج من المجلس الذى يشتم فيه معلمه. وليعلم أن الذى يهجو أستاذه فهو كالحمار بل هو الكلب المحتقر.

ـعليه باحترام أستاذ أستاذه. ولا يسلم على عمه أو قريبه الذى قدم من
طنـه إلا باذن من أستاذه. وليحترم كل امرأة من أسرة أستاذه، بل عليه
ن يحترم سائر النساء. ولا يجوز له أن يدهن جسد قرينة أستاذه، ولا يمسها
يده. لا جسدها ولا شعر رأسها. والتلميذ الذى بلغ حلمه وأدرك الأمور،
فلا يجوز له أن يمس قدم زوج أستاذه عند السلام عليها.

الافك ورمى الناس بالتهم من ديدنة النساء، فليحذره طلبة العلم.

إن فتنة النساء أشد الفتن، ولهن سبيل على كل عالم ومتعلم، عاقلا كان أو
مغفلا. فلا ينبغى أن يعيش فى بيت خال حتى مع أمه، وأخته، وبنته، لأن
النفس لأمارة بالسوء تزيغ بالمرء وإن كان عالما عاقلا.

واعلم أنه كما يفوزون بالماء بحفر الأرض شيئا فشيئا. كذلك لا تفوز بالعلم
إلا بالمداومة على خدمة المعلم.

إقتد فى الحسنات حتى بالنساء المحسنات.

المعلم بمنزلة الله. والأم بمنزلة الأرض الخصبة. والأب بمنزلة الخالق، والشقيق
الأكبر بمنزلة المعلم، فلا تنال من كرامة أحد منهم، حتى ولو كنت غضبان.

إن ما يعانيه الوالد والوالدة لأجل ولده، لا يفى حقهما وإن خدمهما الولد
مئة سنة. إنهما للمرء كالله الرب. فلا يحتقرنهما أبدا. إن أحسن العبادات، خدمة
الأم، والأب، والمعلم. والذى يخدمهم بطيب نفسه، ينال مرتبة الآلهة ويتنعم فى
الجنات سائر الدهر. والذى أدى حقوقهم، فقد أخذ بالدين كله. والذى آذاهم،
لا تنفعه عبادة.

المرأة الحسنة، والجواهر الكريمة، والعلم النافع، والطهارة القلبية، والنظافة
البدنية، والكلام الحلو، والصنائع المفيدة، هذه أشياء يأخذها المرء حيث وجدها،

ويجب على التلميذ عند فراغه من التعلم أن يسلم على معلمه، ويمسح قدميه، ويقدم إليه هدية من أحسن وأغلى ما يستطيعه من الأرض الخصبة، أو الذهب أو البقرة، أو الفرس، أو الشمسية، أو النعلين، أو البساط، أو اللباس، أو القر... أو يجمع بين هذه الأشياء كلها فى هديته، وأن يحسن طول حياته إلى أبناء معلمه بعد وفاته، وإلى زوجته، وإلى أقربائه.

﴿ الحياة الأهلية ﴾

إن المدة التى ينفقها المرء فى درس كتب ويدا والعلم، هى ست وثلاثون سنة أو ثمانى عشرة سنة، أو تسع سنين، فالذى فرغ من درس كتب ويدا الثلاثة كلها، أو إثنين، أو واحدا منها فى خلال هذه المدة، فله أن يتأهل ويزاول الحياة الدنيوية.

فاذا أقدم على هذه الحياة الجديدة فليغتسل باذن من معلمه، ويقترن بنت من الطائفة التى ولد فيها. وأصلح البنات للتزوج هى التى ليست من أسرة أم الشاب ولا من أسرة أبيه. ولا يصلح له أن يختار حليلته من الأسر التى نذكرها فيما يلي:

الأسرة التى ساءت سمعتها، أو هلك رجالها، أو كثر الشعر على أجساد أفرادها أو انقطع درس ويدا فى أبنائها، أو فشت الأمراض فى رجالها ونسائها كالبواسير، وسوء الهضم، والصرع، والبرص، فلا يصاهرها، وان كثر مالها وجاهها.

ولا ينبغى أن يقترن بالمرأة الشقراء، والتى يزيد عدد أعضائها عن المعتاد والمصابة بمرض عضال، والصلعاء، والشعراء، والثرثارة، والتى سميت باسم نجم أو شجر، أو طير، أو حية، أو باسم مخيف، بل عليه أن يختار لنفسه المرأة التى كملت أعضائها، وحلا إسمها، وتشابهت مشيتها مشية الفيل أو البطة، والتى تملك أسنانا جميلة، وشعرا معتدلا.

إن الرجل من الطوائف الشريفة الثلاثة إن غلبه الحب فتزوج بمرأة من الطائفة المنبوذة ، فانه سوف يرى هلاك أسرته.

تحمل المرأة غالبا فى الليالى السادسة ، والثامنة ، والعاشرة ، والثانية عشر ، والرابعة عشر ، والسادسة عشر بولد ذكر ، وتحمل بالأنثى فى الخامسة ، والسابعة ، والتاسعة ، والحادية عشر ، والثالثة عشر ، والخامسة عشر .

ليس لوالد البنت أن يقبل شيئا من المال أو المتاع عند تزويجها ، لأن من فعل ذلك فكأنه باع بنته .

ومن أقرباء البنت الذين يقبلون هدية من أسرة زوجها أو يعيشون بمالها ، فما جزاؤهم جهنم .

والأسرة التى تحترم المرأة فان الآلهة تخصها بعطفها ، وأما الأسرة التى تحتقر فيها المرأة ، تذهب حسناتها سدى .

والأسرة التى تهتم براحة نسائها ، فالآلهة تباركها ، أما الأسرة التى تتعس نسوتها فهى سريعة الزوال .

إن دعوة المرأة الحزينة تسمعها الآلهة ، فتهلك الأسرة التى تشقى فيها المرأة . على كل بعل أن يسعى فى راحة زوجه ، فيقدم لها الحلى ، واللباس ، والطعام أحسن ما يقدر عليه .

وسعيد ذلك البيت الذى يظلل زوجين متحابين . والشقاء كل الشقاء للبيت الذى حرم المحبة بين الزوجين .

إن الذى لا يقدم الطعام لابن السبيل ، فانه ميت وإن حسبه الناس حيا . لا يخلو بيت الرجل الطيب من العشب ، والخضار ، والماء ، والكلام الحلو .

لا يبيتن ابن السبيل تحت سقفك جائعا. أطعمه بطيب قلبك، فتفوز بحسن السمعة. وطول العمر. والجنة.

إن الذى يأكل وحده. فانما يملى بطنه نارا. لكن فى طعامك حق لغيرك.

إن أجر إطعام برهمى واحد عاقل يفوق على أجر إطعام مليون برهمى لا يعقلون. والذى يطعم البرهمى الأحمق فانما هو كالذى يبذر فى أرض قاحلة.

والبراهمة الذين لا حق لهم فى طعامك، نذكرهم لك فيما يلى:

السارق، والفاسق، والملحد، والمقامر، والطبيب الذى يكسب المال بتطبه وبائع اللحوم، وصاحب الجلد المريض، وذو اظفار بشعة، والذى نبتت أسنانه سوداء، والذى يعصى أستاذه، والذى يكتسب من الرقص، والجنب، وزوج إمرأة من الطبقه السافلة، والذى ولد لامرأة من غير زوجها الاول، والأعور والذى تركته زوجه وتزوجت بغيره، والذى لا يعلم إلا بالأجر، والذى تعلم بالأجر، والمشتام، والثرثار، والعاصى على أمه وأبيه أو معلمه، والذى يحرق البيوت، أو يدبر السم للناس، والذى ركب البحر المالح، ومدمن الخمر، والمجذوم، والمبروص، والذى يقبل الخير من الفساق، والمجنون، والأعمى، والذى ينتقد كتب ويدا. والذى يخصى الفيل، أو الثور، أو الخيل، أو الجمل، والذى يكتسب بالتنجيم، والذى يربى الطيور، والذى يعلم فنون الحرب، والذى يلهو بالكلاب، والذى هتك عرض بنت بكر، وقاتل نسمة حية، والعنين، والشحاذ، وذو القدمين الضخمتين، والذى ساءت سمعته فى الأخيار.

وكما تنطفىء النار فى الحشيم بسرعة، كذلك لا يدوم أجر من يطعم برهميا ممن ذكرناهم آنفا.

يجب إبعاد الخنزير، والديك، والكلب، والحائض، والعنين عن المكان الـ

ن فيه البراهمة ، لأنه لا يجوز أن ينظر أحد من هؤلاء إلى طعام البراهمة .

إن الحياة مقسمة إلى مراحل أربعة : فالمرحلة الأولى هي أيام الصبا والشباب ، فيها المرء دينه وما يعود عليه بالفائدة في دنياه . والمرحلة الثانية هي حياة هل . والمرحلة الثالثة هي التأهب للانقطاع إلى الدين مع القيام بأشغال الدنيا . رحلة الرابعة أو الأخيرة من الحياة هي التجرد من الدنيا واختيار النسك والرهبنة .

فالذي لا يزال في المرحلة الثانية أو الثالثة من حياته ، فليسعى لكسب عيشه ريق لا أذى فيه لوجود حي ، أو فيه أقل ما يمكن من الأذى .

ليجمع الثروة من وجه طاهر . ولا ينهك قواه في طلب الثروة .

ليس له أن يلجأ في طلب المال إلى الكذب ، والتملق ، وجعل نفسه أضحوكة اس . وليعلم أن أساس السعادة ، هو القناعة ، وأن الهم مقرون بالحرص .

لا تكسب شيئا من المال بالرقص ، والغناء ، والقمار ، ولا تقبل شيئا من جل السوء .

على كل برهمي أن يقهر نفسه ويطهر قلبه من الهوى .

لك أن تجرى وراء الثروة ، ولكن بالحق . والثروة التي تلهيك عن تلاوة ويدا ، فهي وبال عليك .

عليك بالاقبال على سائر الفنون والصناعات التي تعود عليك بالنفع .

إن الذين عرفوا العبادات ، ثم لا يقومون بها ، لا يتخلصون من قبضة نفس أبدا .

إن الشباب المتعلمين والنساك الذين لا يطبخون طعامهم بأنفسهم ، فعلى المتأهل ضيفهم ، ويقدم إليهم أحسن طعام يقدر عليه . وإذا فرغ الأهل والأولاد

من الآكل، فليقدم الفضل من الطعام إلى الأحياء الأخرى.

ان استطعت فلا تلبس لباسا وسخا أبدا. عليك باللباس الأبيض، وقلم الأظفار، وقص الشعر واللحية.

لا ترفع عينك إلى الشمس عند غروبها وإشراقها وعند الظهيرة، وإياك أن تنظر إلى الشمس عند الكسوف، أو من فوق الماء.

لا تتخطى الحبل الذى يربط به العجل، ولا تجرى والسماء ممطرة. ولا تنظر إلى وجهك فى إناء مملوء بالماء.

لا تقربن الحائض مهما غلبت النفس عليك، ولا تنام مع المرأة على سرير واحد.

والذى لا يجتنب الحائض، ينقص عقله، وهيبته، وقوته، وبصره، وعمره.

لا تنظر إلى المرأة وهى تأكل، أو تعطس، أو تتثاءب، أو هى جالسة متبذلة وكذلك لا تنظر إليها وهى تكتحل، أو تنظف جسدها، أو تضع حملها، أو هى عارية.

لا يجوز لك أن تتناول طعامك وأنت فى ثوب واحد، وأن تغتسل عاريا، وأن تبول فى الطريق، أو فى الرماد، أو فى مربد البقر.

ولا يجوز لك أن تبول فى الأرض المحروثة، ولا على النار، ولا على المزبلة، ولا على المعبد المتهدم، ولا على كومة من التراب التى اتخذتها الديدان لها مسكنا.

لا تبل واقفا، ولا تبل فى الحفرة التى تأوى إليها الأحياء. وليس لك أن تبول أو تقضى حاجتك على حافة النهر أو على قمة الجبل.

لا تبل ولا تقضى حاجتك، وأنت تنظر إلى النار، أو الشمس، أو الماء، أو البرهمى، أو البقرة، أو الهواء. لأن الذى يفعل ذلك، يحرم من عقله.

توجه عند قضاء الحاجة إلى الشمال صباحا ومساء، وإلى الجنوب ليلا، إلا إن كنت خائفا أو مضطراً فلا جناح عليك أينما توجهت.

لا تطفىء النار بفيك، ولا تلق الرجس فى النار، ولا تنظر إلى المرأة العارية.

لا تضع النار تحت سريرك، ولا تخطأها أبدا برجلك، ولا تمسها بقدمك.

لا تخط الخطوط على الأرض لهوا. وإن كان فى عنقك عقد من الأزهار، فلا تزيله بيدك، بل تأمر غيرك بذلك.

لا تلق فى الماء شيئا من البول، أو البراز، أو البلغم، أو الدم، أو السم، أو الوساخة.

لا تبيت وحدك فى الدار. وإن رأيت من هو أعلم وأشرف منك نائما، فلا توقظه، ولا تحاور حائضا، ولا تذهب إلى وليمة إلا بدعوة.

لا تسكن القرية الفاجرة التى نبذت الدين واستحقت العذاب. ولا تسافر وحيدا. ولا تقم بالجبال طويلا.

إجتنب الطعام فى الصبح بعينه والمساء بعينه. ولا تكثر من الأكل، فان أوطت فيه نهارا فاجتنبه ليلا.

إياك والتجارة التى لا تنفعك فى الدنيا والآخرة، ولا تشرب الماء بالغرفة، ولا تضع الحلاوة على فخذك وانت تأكلها، ولا تتجسس على الناس.

إياك والرقص والغناء، والمزامير، والتصفيق، والتصويت بالأسنان، وتقليد الحمار وغيره من الحيوان فى صوته.

لا تأكل فى ظرف مكسور. أو الظرف الذى ينفر طبعك منه.

لا تستعمل الحذاء، والشمسية، والحلية، وعقد الأزهار إن وجدت غيرك يستعمله.

لا تنتف شعرك، ولا تقلع أظفارك، ولا تقطعها بأسنانك.

إعلم أن الذى يلهو بالتراب، ويكسر الأعواد بالأظفار، ويقطع الأظفار بالأسنان، ويغتاب الناس، ولا يبالى أن يعيش طاهرا، فقد قدر له الهلاك سريعا.

لا تسمر بآيات ويدا، ولا تتخذها قصة تتسلى بها، ولا تضع أكليل الأزهار على رأسك، ولا تتخذ الثور لك مركبا.

لا تتسور الدار، بل ادخلها من بابها. ولا تقعد بجنب أصل الشجرة ليلا

لا تنم عاريا، وإذا أكلت شيئا، فلا تخرج من بيتك إلا بعد أن تنظف فاك.

تناول الطعام مع أقدم مبللة مستحسن، ولكن النوم مع الأقدام المبللة محذور، والذى لا يتناول طعامه إلا بعد غسل قدميه، فعمره يطول.

لا تقصد البلد الذى لا تعرفه، ولا تسعى إلى حيث تخشى الموت، ولا تنظر إلى بولك وبرازك، ولا تسبح فى النهر بيديك.

إن الذى يرجو له عمرا طويلا، فلا يقف فوق الشعر، والرماد، والعظام، والظروف الفخارية المكسورة، وبذر القطن، والعسف.

لا تحك رأسك بيديك معا، ولا تمس رأسك باليد الوسخة، واذا اغتسلت فاغتسل من قمة رأسك إلى أخمص قدميك.

لا يحملنك الغضب على أن تضرب رأسك أو رأس غيرك، ولا تشد شعر
س أحد من الناس. وإذا دهنت رأسك، فلا تدهن غيره من الأعضاء.

لا تقبل الصدقة من الملك الذي لا ينتمي إلى الطائفة الكشترية (المحاربة)،
لا من القصاب، ولا من الزيات، ولا من الخمار، ولا من الديوث، ولا من
ومسة. واعلم أن الملك أشر من القصاب الذي يذبح عشرة آلاف من البهائم،
مدقته ليست بهينة، والذي يقبل صدقة الملك الجائر، فانه يدخل الجحيم من
احد وعشرين صنفا. والبراهمة الذين يرجون الآخرة، لا يأخذون صدقة الملك.

عليك أن تقوم من نومك فى الفجر الأول، وبعد أن تفرغ من حاجتك
تغتسل وتتطهر. اعبد الله واتل ما تيسر من ويدا. واعلم أن طول العبادة يورث
ول العمر. ولا تعجل لسانك بالقراءة، بل رتل الكتاب المقدس ترتيلا.

لا تصحب عدوك، ولا صديق عدوك، ولا الملحد، ولا السارق، ولا
مرأة غيرك. ولا تنس أنه ليس شيء ينقص عمر الانسان كما ينقصه الزنا.

إن من يرجو لنفسه السعادة الكاملة، فلا يحتقرن رجلا من كشتريا، والحية،
البرهمى العالم، وإن بلغوا من الكبر عتيا، وضعفوا ضعفا نهائيا.

لا تحقرن نفسك. وإن تفلست، بل اجتهد لكسب الثروة من جديد.

عليك بالكلام الحلو الحق. وإن كان حقا وليس حلوا فلا تفه به، وإن كان
حلوا وليس بحق، فكذلك لا تنطق به، هذا هو دين الحياة اليومية.

إن علمت أن الناس لا يقبلون نصحك، فلا تنصحهم، لأن ذلك يجر عليك
شرا كثيرا.

لا تعب الناس، ولا تسخر بالشيخ الكبير، ولا بقبيح الوجه، ولا بالأحمق،

ولا بالفقير، ولا بالأعور.

وإذا قمت بكل ما أمرك به الدين، فلا يضرك، لا الآلهة ولا الناس.

إن دخل بيتك شيخ كبير، فرحب به وحييه، وأجلسه على فراشك، وقم بين يديه بكل احترام. وعندما يودعك، امش معه وشيعه بأحسن ما تستطيع.

العمر الطويل، والأولاد الأبرار، والثراء الدائم. كل ذلك منوط بحسن الخلق.

والذى ساء خلقه، تسوء سمعته، ويدهمه الهم، ويلازمه الحزن، ولا يعيش بين الناس إلا قليلا ومحتقرا مذموما. والذى حسن خلقه، وطهر قلبه، وصحب الأخيار، فيعيش مائة سنة أو أكثر من مائة سنة.

لا تحاول العمل الذى فى وسع غيرك، بل قم بالعمل الذى فى وسعك. إن ما فى يد غيرك، ليس لك فيه سعادة، وأما ما فى يدك فانك تجد فيه السعادة لنفسك.

إعمل ما يطمئن له قلبك، ولا تعمل ما يحك فى صدرك، إذ لا خير فيه إياك والالحاد، وذم الكتب المقدسة، والحسد، والحقد، والتهور، والغضب وعداوة الناس.

لا تضرب أحدا بعصاك، ولا تؤذى جسد أحد، إلا ما كان من الصبى والتلميذ، فيجوز ضربهما بشفقة للتربية.

والملاحدة، والأشرار، والقتلة، والغاصبون لثروات الناس، لم يقدر لهم الهناء فى الدنيا والآخرة.

لا يغرنك إقبال الدنيا على الأشرار، لأن الشر قد لا يثمر سريعا، ولا بد من أن يثمر ثمره، فيهلك صاحبه مع كل ما فيه من النعيم، فعليك أن تجتنب

شر كله، وتحفظ منه يدك، ورجلك، ولسانك، وعينك، وقلبك.

لا تبغض أمك، وأباك، وأخاك، وأختك، وإبنك، وبنتك، وزوجك، وعبدك، لأن التساهل معهم والحلم على أذاهم يذهب بالذنوب كلها، ويجلب العز والكرامة لفاعله.

إن شقيقك الأكبر بمثابة والدك، وابنه بضعة منك. والعبد ظلك، وبنتك عاجزة. فلا تحقدن على أحد منهم.

يغرق المصدق على البرهمى الجاهل فى الجحيم، كما يغرق راكب سفينة من حجر فى البحر.

الفاسق الذى يصوم ليقال إنه تقى، فانما يذهب به صومه إلى الجحيم.

إن من يستعمل المركب، أو السرير، أو البئر، أو البستان، أو البيت، وهو غيره. فانما يبوء بربع ذنوبه إن استعمله بغير إذنه.

ليس لك أن تأكل من طعام هولاء الذين نذكرهم لك:

السكير، والغضوب، والسارق، والمغنى، والنجار، والمرابى، والبخيل، والمريض، والمعين، والمعالج، والفاسق، والكذاب، والنمام، والزانى، والمرأة العاقر، والعدو، والمنفى عن وطنه، والمهرج، والخياط، والمسيىء إلى محسنه، والحداد، والصائغ، وبائع السلاح، والمتجر بالكلاب، والخمار، والغسال، والصباغ، والخاضع لامرأته.

البخيل الذى يتلو كتب ويدا، والجواد الذى يأكل الربا، فقد استقبحت الآلهة طعامهم.

لا تكسل فى القيام بعبادتك، ولا تقصر فى حفر الآبار والبرك التى تنفع الناس.

إن الذى يتصدق بالأرض، والذهب، والدار، والفضة، يجازيه الله ... الأرض، وطول العمر، والدار، وحسن الوجه.

والذى يكذب، أو يتكبر أو يحتقر برهميا، أو يشهر صدقته، فليس له ... فى الدنيا والآخرة.

إجمع الحسنات كما تجمع النملة رزقها ذرة ذرة، واعلم أنه لا ... عنك فى الآخرة أمك، أو أبوك، أو ولدك، أو زوجك. وإنما ... ما قدمت لنفسك من الحسنات.

يولد الانسان وحيداً ويخرج من الحياة وحيدا. كل شيء يتركه. وكل ... يتخلى عنه إذا مات، ولا يصحبه إلا حسن عمله.

كبر مقتا عند الله أن تتظاهر بالفسق وأنت تقى.

(الطعام المحرم)

وإن سألت لم يموت البراهمة؟ فأنا أخبرك بذلك.

يموت البرهمى بتكاسله فى تلاوة ويدا، وبأكله ما ليس له أن يأكل.

ليس للبرهمى أن يتخذ طعامه مما ينبت على الوساخة كالبصل، و... والجزر، وكذلك لا يجوز له لحم البهيمة التى لم تذبح للآلهة.

لا يجوز له حليب البقرة عشرة أيام بعد أن ولدت، وكذلك لا يجوز ... حليب الناقة، والفرس، والغنم، والبقرة الحامل، والتى مات عجلها. وكذلك ... عليه ألبان الحيوانات البرية التى تعيش فى الغابات، إلا الجاموس، وكذلك ... المرأة، وكل ما غشيته الحموضة لطول بقاءه، إلا اللبن الحامض وما يصنع ... من الطعام.

،حرمت لحوم المفترسات من الحيوان والطير، وذوات ظفر واحد، والحمام
ى يعيش فى العمران، والجراد، والبط السابح فى الماء، والديك الأليف،
الك الحزين، والببغاء، والغراب، والخنزير الأليف، والسمك، والثعبان،
لقرد ذى أظفار خمسة، والضبع، والخريت، والسلحفاة. ولا حرج فى لحم
نل. وخير للبراهمة أن يجتنبوا أكل اللحوم بتاتا.

﴿ المـــرأة ﴾

والآن اسمعوا ما نقول فى شأن المرأة:

تعيش المرأة وليس لها خيار، سواء كانت بنتا صغيرة، أو شابة، أو عجوزا.

البنت فى خيار أبيها، والمتزوجة فى خيار بعلها، والأرملة فى خيار أبنائها،
ليس لها أن تستقل أبدا.

ليس للأرملة أن تستقل بنفسها وتعيش منفصلة عن والدها، أو شقيقها،
أو ابنها، لأن ذلك يجر عليها العار.

يجب على المرأة أن تشغل نفسها بأمور بيتها بطيب النفس، وتبذل جهدها
د جعل بيتها أحسن ما يمكن، وليس لها أن تبذر بمال زوجها، أو أبيها، أو
شقيقها، أو ابنها.

على المرأة أن ترضى بمن رضى لها والدها بعلا، فتخدم بعلها طول حياته،
لا تفكر فى رجل آخر بعد وفاته.

وإن وجدت زوجها لا يعتنى بها ويحب امرأة غيرها، فلا تحقد عليه ولا
تقصر فى خدمته ونيل مرضاته.

نيطت جنة المرأة برضا بعلها، فلا تفعلن شيئا لا يرضاه بعلها.

وإن مات زوجها، فعليها أن تهجر ما تشتهيه من الأكل اللذيذ، و ... الحسن. والزينة كلها، وتعيش أرملة إلى آخر عمرها.

﴿ المرحلة الأخيرة من الحياة ﴾

وتكلم الآن على ما شرع للمرء أن يفعله فى المرحلة الرابعة من عمره:

عندما تدخل فى الشيخوخة. وترى أحفادك يمشون، فعليك بالتخلى عن الحياة الأهلية. وبالأقامة فى الغابة.

اجعل كل مالك ملكا لولدك، واهجر بيتك الذى عشت فيه، ولك أن ... زوجتك فى رعاية ابنك أو تأخذها معك إلى الغابة.

وإذا أقمت بالغابة فليس لك أن تقص شعرك، ولحيتك، وشواربك ... تقلم أظفارك.

وعليك بتلاوة ويدا كل يوم، وبقهر نفسك، وبالمحافظة على رشدك. و... على الحر والبرد. وبكبح شهوتك الجسدية، وبالاستغناء عن سائر الخلق. و... عند الغضب، وبالصداقة مع سائر الأحياء.

ليكن طعامك مما تنبته الأرض، وتثمره الأشجار الطيبة، ولا حرج عليك ... انتفعت بالدهن الذى تنتجه الأثمار.

إياك واللحم والخمر.

وعليك بالصوم. تفطر يوما وتصوم يوما. وبالاغتسال ثلاث مرات كل يوم: صباحا ومساء وفى الظهيرة.

لا تقتطف الثمر بنفسك بل كل منه ما سقط من الشجرة بنفسه.

عود جسدك على تقلبات الموسم ، فاجلس تحت الشمس المحرقه ، وعش أيام المطر تحت السماء ، وارتد الرداء المبلل فى الشتاء .

لا تفكر فى الراحة البدنية . اجتنب سائر اللذات . لا تقترب من زوجتك . نم على الأرض ، ولا تأنس بالمكان الذى أنت فيه .

لك أن تسئل صدقة البرهمى المتعبد ، فهى مباحة لك .

لا تفزعن الحيوانات والطيور التى تعيش فى الغابة ، لأن الذى أمنت شره هذه المخلوقات فلا خوف عليه فى الآخرة .

لا تفكر فى الاستعانة بأحد ، بل عش وحدك متوكلا على الله .

لتكن قصعتك من الفخار العادى ، ولباسك من أرخص الأقمشة وأخشنها ، ونومك بجنب أصل الشجرة ، وقلبك مع الله .

لا تفرق بين خلق الله ، بل أحبهم على سواء . ولا ترغب فى الحياة ولا فى الموت ، بل اجعل نفسك وقفا لمرضات الله . كن مع الله كالعبد الطائع الذى وقف سمعه لأوامر سيده .

وإذا مشيت فامش متحذرا لئلا تتخطى عظما أو شعرا ، ولئلا تدوس نسمة ، وإذا شربت الماء ، فاحذر أن تبلع نسمة . حافظ على لسانك ، فلا تتكلم إلا الصدق . ولا تشغل قلبك إلا لأفكار الطيبة الطاهرة .

عليك بالحلم . وإن أساء إليك الناس ، فلا تغضب ، ولا تدافع عن نفسك ، ولا تغتب ، ولا تشتم ، ولا تعادى أحدا ، وإن عاداك .

لا تهتم بطعامك ، واكتف بما وصل إليك . لا تفرح باللذيذ ولا تحزن بالردى .

لا تكثرن من الأكل. تكفيك لقيمات تقيم ظهرك. اجعل همك كله فى نه وفكرك فى تقلبات الدهر وذلك لتتعظ وتعتبر.

إعلم أن رداء الرهبنة، ليست برهبنة. وإنما الراهب من ترهب قلبه وتجرد من حب الدنيا.

ديوان أبي محجن

عمرو بن حبيب بن عمرو بن عُمير الثقفي الملقب بمطاعيم الريح

صنعة أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري

المتوفى بعد سنة ٣٩٥ هـ - ١٠٠٤ م

بتحقيق الاستاذ إمتياز علي عرشي

مدير المكتبة الرامپورية برامپور — الهند

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد الحمد والصلوة أقدم إلى العالم العربي مجموعة مختصرة لأشعار أبي محجن تفي مع شرحها لأبي هلال العسكري صاحب الصناعتين.

وقد طُبعت قبل هذا مرتين: أولا بتصحيح المستشرق الشهير الملقب بالشيخ عمر السويدي[1] في ليدن سنه ١٣٠٣ هـ (١٨٨٩ م)، وثانيا بمطبعة الأزها البارونية بمصر عن نسخة الشنقيطي محمد محمود ابن التلاميد.

[1] هو الكونت دو لندبرج. (le Comte de Landberg) من سويد (Sweden) وله خدمات جليلة في نشر الآثار العلمية. نشر أمثال أهل الشام (لندن ١٨٨٣ م) وطرفا عربية جمع فيها كثيرا من الرسالات والحكايات كقصة الحداد وهارون الرشيد بترجمة وشرح (١٨٨٠ م) وقصصا عربية جديدة (ليدن ١٨٨٥ م). وترجم الفتح القسي للاصفهاني. ونشر ديوان زهير مع شرح الشنتمري (١٨٨٩ م). ليراجع المستشرقون حبيب العقيقي. ١٨٧ وفرهنگ خاورشناسان. لأبي القاسم سحاب. بالفارسية. ٢٠٨

وحين كنتُ مشتغلا بتصحيح ديوان الحادرة[1] (وكان ذلك قبل سنة ١٩٣٩م) طلبتُ عكوسا فوتوغرافية لبعض النسخ الخطية المحفوظة فى دار الكتب المصرية بالقاهرة. فأرسل مديرها عكس نسخة بخط الشنقيطى، نقلها عن نسخة جميلة ملوكية بخط ياقوت المستعصمى يتلوها شعر أبى محجن. فأُعجبتُ بغزارة معانى الأبيات وجزالة ألفاظها. ونسخت الديوان بيدى، ووكلت أمر تصحيحه إلى أوقات الفرصة من وظائفى اليومية فى المكتبة الرامفورية.

فلما أتممت تحقيق أشعار الحادرة، وأخذت فى تصحيح هذا الديوان لم أجد بين يدى غير ثلاثة نسخ: نسختى المنقولة عن الشنقيطية، ونسخة خطية بيد الفاضل المرحوم أبى عبد الله محمد بن يوسف السورتى، قد رتب أبياتها على القوافى مع استدراك ما فات العسكرى من الأشعار، ونسخة السويدى المطبوعة فى ضمن طرف عربية. فعولت على نسختى وعارضتها بنسختى السورتى والسويدى. ثم تتبعت الأشعار فى المظان الأدبية والتاريخية. فوجدت فيها جزءا من شعره، لكن زائدا كما فى نسختى وأخرى باختلاف الألفاظ. فقيدت الألفاظ المختلفة فى طررى. وفسرت فيها بعض ألفاظ المتن والشرح أيضاً.

وأثناء التصحيح صادفت أبياتا عديدة قد فاتت العسكرى والسورتى كليهما أدرجتها فى الديوان تحت عنوان الاستدراك. ليمتاز عن رواية العسكرى. والتى كانت لها علاقة تامة بما فى المتن. فوضعتها مواضعها هناك بين العكفين مشيرا إليه فى الحواشى.

ورمزت فى تعليقاتى بـ «غا» إلى نسختى و بـ «خب» إلى نسخة السورتى و بـ «م» إلى نسخة السويدى.

[1] — وقد طبع فى مجلة رايل اشياتك سوسائتى (بمباى)، سلسلة جديدة، ج ٢٥-٢٤، ٤٩-١٩٤٨م.

وأشرت إلى الكتب التي راجعتها، بأساميها أو بأسامي مصنفيها، سوى الأغاني
زانة الأدب. فاني رمزت إلى الاول بـ «غ» وإلى الثاني بـ «خ».

إمتياز علي عرشي
مدير المكتبة

ة رضا . رامپور - الهند
١٦ يوليو ١٩٥٢

﴿ ترجمة أبي محجن ﴾

هو أبو محجن[1] بن حبيب بن عمرو بن عُمير بن عوف بن عقدة بن غِمَّيرة بن
وف بن قسي (وهو ثقيف) الثقفي الملقب بمَطاعيم الريح[2].

أسلم حين أسلمت ثقيف، وسمع من النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه[3].

وكان من الشجعان الأبطال في الجاهلية والاسلام ومن أولى البأس والنجدة،
من الفرسان البُهَم.

وكان شاعراً مُخَضرما مطبوعاً كريما، إلا أنه كان منهمكا بالشراب، لا يكاد
قلع عنه، ولا يردّعه حد ولا لومة لائم. وجلده عمر بن الخطاب رضي الله
عنه في الخمر مرارا[4].

وكان في قلبه شيء من الحب والشوق إلى الجمال. فهوِي مرة إمرأة من

١ - في اسمه اختلاف، أثبته في حاشيتي على صفحة ٨٩.
٢ - نهاية الأرب للنويري ١٢٦/٢.
٣ - أثبت له السيوطي في شرح أبيات المغني رواية. ولم يذكر أن له سماعا. ونفاها أيضا الذهبي في تاريخ الاسلام. وقال في التجريد: «روى عنه أبو سعد البقال». وقال البغدادي في خ إن رواية البقال عنه تدليس. لأنه لم يدرك عصره. وقد ذكروه في الضعفاء.
٤ - وفي إصابة أن سيفا أخرج في الفتوح أن أبا محجن قال لامرأة سعد: «والله، ما حبست على حرام أكلته ولا شربته. ولكني كنت صاحب شراب في الجاهليه. فجرى كثيرا على لساني وصفها. فحبسني بذلك». قال ابن حجر: «وسيف ضعيف. والروايات التي ذكروها أقوى وأشهر». وليراجع أدب الندما لابن كشاجم ٧.

الأنصار، يقال لها شموس. فحاول النظر إليها فلم يقدر. فآجر نفسه من ... يبنى بيتا بجانب منزلها. فأشرف عليها من كوّة. فأنشد:

ولقد نظرت إلى الشموس ودونها ٭ حرج من الرحمن غير قليل
قد كنت أحسبنى كأغنى واحد ٭ ورد المدينة عن زراعة فول

فاستعدى زوجها عمر بن الخطاب رضى الله عنه. فنفاه عمر إلى جزيرة فى البحر. وبعث معه رجلا. يقال له أبو جهراء. فهرب منه ولحق بسعد بن أبى وقاص بالقادسية. وهو محارب للفرس. ورجع أبو جهراء إلى عمر وأخبره بما جرى. فكتب عمر إلى سعد بحبس أبى محجن. فحبسه.

فلما كان يوم القادسية. رآهم يقتتلون. فأرسل إلى امرأة سعد يقول لها: إن خليت سبيلى وحملتنى على الفرس ودفعت إلىّ سلاحا. لأكونن أول من يرجع إليك. إلا أن أقتل. فخلته. فوثب على فرس لسعد. يقال لها البلقاء. ثم أخذ الرمح وانطلق حتى أتى الناس. فجعل لا يحمل فى ناحية إلا هزمهم. فجعل الناس يقول: «هذا ملك». وسعد ينظر. فجعل يقول: «الضبر ضبر البلقاء والطعن طعن أبى محجن. وأبو محجن فى القيد!» فأخبرته امرأته بالذى كان من أمره. فقال: «لا. والله. لا أضرب رجلا أبلى فى المسلمين ما أبلى». فخلى سبيله. فقال أبو محجن: «كنت أشربها إذ كان الحد يقام على وأطهر منها. فأما إذ بهرجتنى. فلا. والله. لا أشربها أبدا!».

ومات أبو محجن شهيدا فى آرمينية[1]. ودفن هناك. ورأى ابن مسلم ... قبره هناك وقد نبتت عليه ثلاثة أصول كرم وقد طالت وأثمرت وهى معرشة على قبره. قال: «فجعلت أتعجب وأذكر قوله: إذا مت فادفنّى إلى جنب كرمة ...

١ – البصائر للتوحيدى ٤/١٥٩ ب و محاضرات الراغب ١/٤١٤. وفى غ ٢١/١٤٣ وتفسير القرطبى ... «فى نواحى آذربيجان أو فى نواحى جرجان».

وكتب أبو القاسم سحاب أنه قتل فى نهاوند سنة ٢٢ هـ (٦٤٢ م)[١]. ولم أر ذلك فى موضع آخر. ومعهذا فوقعة نهاوند كانت فى سنة ٢١ هـ. كما صرح به الطبرى وغيره.

﴿ ترجمة الشارح ﴾

هو أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران اللغوى العسكرى.

كان ابن أخت أبى أحمد الحسن بن عبد الله العسكرى وتلميذه. وكان موصوفا بالعلم والعفة (أو الفقه). وكان يتبزز احترازا من الطمع والدناءة والتبذل. وكان الغالب عليه الأدب والشعر.

وله من الكتب:

١ - كتاب الصناعتين
٢ - جمهرة الأمثال
٣ - الفروق اللغوية
٤ - التلخيص
٥ - كتاب الأوائل
٦ - نوادر الواحد والجمع
٧ - معانى الادب
٨ - أعلام المعانى
٩ - شرح الحماسة (ولعلها رسالة فى ضبط وتحرير مواضع من ديوان الحماسة لأبى تمام التى ذكرها بروكلمان)
١٠ - كتاب من احتكم من الخلفاء إلى القضاة
١١ - التبصرة
١٢ - كتاب الدرهم والدينار
١٣ - العمدة
١٤ - فضل الغنى على العسر
١٥ - ما تلحن فيه الخاصة
١٦ - المحاسن فى التفسير

---

١ - فرهنگ خاورشناسان (بالفارسية)، ٢٠٨، حاشية ٦.

١٧ - تصحيح الوجوه والنظائر	٢١ - كتاب الكرماء
١٨ - ديوان الأشعار	٢٢ - كتاب المصون
١٩ - المعجم فى بقية الأشياء	٢٣ - رسالة فى العزلة والاستيناس
٢٠ - التفضيل بين لغتى العرب والعجم	٢٤ - شرح ديوان أبى محجن

قال ياقوت: وأما وفاته، فلم يبلغنى فيها شيء غير أنى وجدت فى آخر كتاب الأوائل من تصنيفه: وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان سنة ٣٩٥ هـ (١٠٠٥ م)[١].

بسم الله الرحمن الرحيم

أعطاك الله خير ما يُعطى أمثالك ومنحك أفضل ما يمنح أشكالك، من الراغبين فى الأدب، الحامين على الحسب، الدائبين فى ما يَزينهم من ابتناء مجد واجتناء شكر وحمد.

ذكرتَ أن أبا يوسف يعقوب بن السِكّيت[٢] وأبا سعيد السُكَّرى[٣] و...

---

١ — وترجمته فى معجم الأدباء للحموى ٣/١٣٥ و ٨/٢٥٨ (طبع جديد) وبغية الوعاة ٢٢١ و خ ١/١١٢ و ... (طبع جديد) وبروكلمان ١/١٢٦ وتتمته ١/١٩٣.

٢ — إسم أبيه إسحق والسكيت لقبه. وكان ابن السكيت عالما بنحو الكوفيين وعلم القرآن واللغة والشعر. أخذ عن الفراء والأصمعى وأبى عبيدة وأبى عمرو الشيبانى والأثرم وابن الأعرابى وغيرهم. وأخذ عنه أبو سعيد السكرى وأبو عكرمة الضبى. وله تصانيف كثيرة فى النحو ومعانى الشعر وتفسير دواوين العرب ... على من تقدمه. ولم يكن بعد ابن الأعرابى مثله. قال المبرد: «ما رأيت للبغداديين كتابا خيرا من كتاب ابن السكيت فى المنطق». وقتل بأمر المتوكل يوم الأثنين لخمس خلون من رجب سنة ٢٤٦ هـ (٨٦٠ م) وقيل سنة ٢٤٤ هـ (٨٥٨ م) وقيل سنة ٢٤٣ هـ (٨٥٧ م). كذا فى الفهرست ١٠٧، ونزهة الألباء ٢٣٨، ومعجم الأدباء للحموى ٢٠/٥٠ وابن خلكان ٢/٤٥٩ والبغية ٤١٨.

٣ — هو الحسن بن الحسين بن عبيد الله (أو عبد الله كما فى الفهرست) السكرى النحوى. أخذ عن أبى حاتم وابن السكيت والعباس بن الفرج الرياشى ومحمد بن حبيب. وكان ثقة دينا حاذقا. وكان راوية البصريين ... أشعار جماعة من الفحول كامرىء القيس والزهير والنابغة والأعشى وهدبة بن الخشرم وأشعار هذيل وأشعار اللصوص، وعمل شعر أبى نواس وتكلم على غريبة ومعانيه فى نحو ألف ورقة وغير ذلك.

كان مولده سنة ٢١٢ هـ (٨٣٧ م) وتوفى سنة ٢٧٥ هـ (٩٠٣ م) فى خلافة المعتمد. وقيل توفى سنة ٢٩٠ هـ (٩٠٣ م) فى خلافة المكتفى. والأول أصح. كذا فى الفهرست ١١٧، ونزهة ... ومعجم الأدباء للحموى ٨/٩٤.

ـن الطوسى[1] قد مُحنوا بصنعة دواوين المكثرين والمشهورين من شعراء الجاهلية ـسلام، فأشبعوا تفسير مشكلها، وبالغوا فى إيضاح غامضها، واستقصَوا شرح ـنها، متلافين ما فرط فيه غيرهم منها، وأغفلوا دواوين المقِلّين والمغمورين، فلم ـنوا بها.

فالتمست أن أسلك لك فى دواوين المقلين والمغمورين مسلكهم فى دواوين كثرين والمشهورين، وأتناهى فى الابانة عن معانيها، ليلحق قليل الاحسان بكثيره، ممورِه بمشهوره.

وقد أجبتك إلى ذلك. فابتدأت بتفسير ديوان أبى محجن، وصنَعتُه صنعة ضاها. وأنا أتبعه بما يمر بى من دواوينهم واحداً بعد واحد، حتى آتى على كثرها إن شاء الله تعالى.

قال الشيخ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، رحمة الله عليه:

هو أبو محجن[2] بن حبيب بن عمرو بن عمير من[3] بنى عقـدة بن

---

[1]- هو على بن عبد الله بن سنان الطوسى. أخذ عن مشائخ الكوفيين والبصريين، وأكثر أخذه عن ابن الأعرابى. وكان عدوا لابن السكيت لأنهما أخذا عن نصران الخراسانى واختلفا فى كتبه بعد موته. وكان أحد أعيان الكوفة وراوية لأخبار القبائل وأشعار الفحول. ولا مصنف له. وكان شاعرا. ذكر له المرزبانى ثلاثة أبيات. كذا فى الفهرست ١٠٦، والنزهة ٢٤١ ومعجم الأدباء للحموى ٢٦٨/١٣.

[2]- كذا فى البلاذرى (فتوحه) ٢٥٢ وابن سعد (طبقاته) ٢٧٧/٥. وقال النويرى فى النهاية ١١٦/٤: «إسمه عمرو». وفى الاستيعاب ٦٦٢/٢ وأسد الغابة ٢٩٠/٥ والتجريد ٢١٢/٢ والاصابة (كلكته) ٣٢٥/٤ و(مصر) ١٧٠/٧ وخ ٥٥٣/٣ أنه اختلف فى اسمه. فقيل هو عمرو، وقيل مالك، وقيل عبد الله، وقيل اسمه كنيته وكنيته أبو عبيد. وفى الاصابة، قال أبو أحمد الحاكم: والدليل على أن اسمه مالك ما حدثنا أبو العباس (فى قصة يوم القادسية): «فجعل الناس يقولون هذا ملك». قال ابن حجر: «وليس هذا نصا فيما أراد. بل الظاهر أنهم ظنوه ملكا من الملائكة. ويؤيد هذا أن أبا بكر بن أبى شيبة أخرج هذه القصة عن أبى معاوية بهذا السند. وفيها أنهم ظنوه ملكا من الملائكة».

وفى المؤتلف ٩٥: «ومنهم حبيب بن عمرو بن عمير الثقفى». وبهامشه ما نصه: «حبيب هذا هو أبو محجن فارس يوم القادسية».

أقول: «وظنى أن هناك زلة من قلم الناسخ. والصواب هو أبو أبى محجن».

[3]- فى المؤتلف والاستيعاب وأسد الغابة والاصابة «عمير ابن عوف بن عقدة».

عنزة[1] بن عوف بن ثقيف. وكان شاعرا شريفا. قد فضلت أبياته القافية عن كل شعر قيل فى معناها. وهى هذه:

(١)

لاِ تسئلى[2] النـاس[3] عن[4] مالى وكثرته[5]
وسائلى القوم[6] عن[7] دينى[8] وعن خلقى

قال الشيخ رحمه الله: إنه خاطب امرأته. وكان من عاداتهم أن يخاطبوا نسائهم فى ابتدا آت قصائدهم إذا حضروا، ويخاطبوا خليليهم إذا سافروا. لأنه كان لا يسافر منهم أقل من ثلثة.

ومعنى هذا البيت ماخوذ من قول المنخّل[9]:

لا تسئلى عن جُـل مالى ٭ وانظرى[10] حَسَبى[11] وخِيرى[12]

١ — كذا فى عا وحب و م والاصابة. وفى ابن سعد والبلاذرى (أنسابه) ٢١٤/٥ والاشتقاق ١٨٥ و... والاستيعاب وأسد الغابة وخ «غيرة» بكسر الغين وبفتح اليا.

٢ — فى غ ١٤٢/٢١ والاستيعاب ٦٦٤/٢ وأسد الغابة ٢٩١/٥ والاصابة (كه) ٣٢٨/٤ و (م) ٧ ... ٥٥٥/٣ «لاتسال — وسائل».

٣ — فى العيون ٢٨/١ والبصائر ٧٥ ب والحماسة الشجرية ٦٢ «القوم».

٤ — العيون «ما».

٥ — العيون «ما حسبى».

٦ — فى الشعراء ٩٨ والعقد ٣٦/١ و ٥٤/١ (جديد) وغ والاستيعاب وأسد الغابة والاصابة وح «...».

٧ — فى العيون وغ والبصائر والشجرية «ما» فى الموضعين.

٨ — فى العيون «حزمى». وكذا فى الاستيعاب وأسد الغابة والاصابة وخ. وفى غ والشجرية «مع... خب «بذلى». وفى الشعراء والعقد «بأسى».

٩ — هو ابن مسعود بن عامر بن ربيعة بن عمرو اليشكرى. شاعر جاهلى قديم. كان ينادم النعمان بن ... وقتل بأمره نحو سنة ٥٩٧ م. والبيت من كلمته المشهورة. وأولها:

إن كنت عاذلتى، فسيرى ٭ نحو العراق ولا تحورى

ليراجع غ ١٥٢/١٨ والمؤتلف ١٧٨ والمرزبانى ٣٨٧ والاسعاف ٣٩/٢ ألف وشعراء النصرانية ٣ ...

١٠ — فى الاسعاف ٣٩/٢ ب «اسألى».

١١ — فى غ والاسعاف وشعراء النصرانية «كرمى».

١٢ — الخير بالكسر، الكرم.

وأخذه آخر، فنحا به نحوا آخر، فقال:

لا تسئلى الناس عن مالى وكثرته ۞ قد يُقتر المرأ يوما وهو محمود[1]
قد يعلم الناس أنا[2] من سَراتهم ۞ إذا سما[3] بصرُ الرعديدةِ الفَرِق[4]

قال الشيخ أبو هلال رحمه الله: «سراة القوم» خيارهم. واحدهم «سَرِى». و«السراة» أيضاً أعلى الشىء. والجمع «السَرَوات». ويقال: «هو من سروات قوم» أى من أعاليهم وساداتهم. قال الشاعر[6]:

من السروات والرؤس الذوائب

و«الرعديدة» الجبان. وسمى رعديدة لأنه إذا رأى الحرب ارعد. ودخول الهاء به هنا للمبالغة. و«الفرق» الفزع. و«رجل فَروق وفروقة» كثير الفرَق. و«سما بصره» شخَص من الفَزِع، وهو أن يبقى مبهوتا. وهو من قوله تعالى «ليوم تشخص فيه الأبصار»[7].

يقول: نحن من خيار القوم فى الحروب. وخيارهم هم المحامون عن الحريم الصابرون على مراس العدو[8] ومدافعتهم فى اللقاء.

---

١ – وهو المرار الفقعسى، كما فى الشجرية ٦٢. وترجمته فى غ ١٥١/٩ والمؤتلف ١٧٦ وسمط اللالى ٢٣١/١ والمرزبانى ٤٠٨ وخ ١٩٦/٢ و ٢١٦/٤ (جديد).

٢ – فى البصائر «هل يعلم القوم». وفى غ والاستيعاب «والقوم أعلم». وفى العيون وأسد الغابة والاستيعاب (فى موضع آخر منه) بدون الواو. وكذا فى الشعراء، إلا أن هناك «يعلم». وفى الاصابة «اليوم أعلم». وهو تصحيف «القوم».

٣ – فى العيون والشعراء وغ والاستيعاب والبصائر والشجرية وأسد الغابة والاصابة وخ «أنى».

٤ – فى العيون والشعراء والبصائر والاستيعاب وأسد الغابة والاصابة وخ «إذا تطيش يد».

٥ – فى غ والاستيعاب «الشفق».

٦ – المصراع من أربعة أبيات للعاصية البولانية من طيء، كما فى الحماسة (مع شرح التبريزى) ٦٨٢ وديوان حاتم (مجموعة خمسة دواوين) ١١٩. وأوله «ولو أن قومى قتلتهم عمارة».

٧ – سورة إبراهيم ١/٧. وأول الآية «إنما نؤخرهم».

٨ – أى قوتهم وشدتهم.

ولو قال: إنا نصبر ونحامى إذا سما بصر الشجاع الصبور، لكان أجود بل أبلغ.

اعطى السنان غداةَ الروع[١] نِحلتَه ٭ وعامل[٢] الرمح أرويه[٣] من العلق[٤]

أصل «النحلة» أن يعطى الرجلُ الرجلَ ناقة، ينتفع بمنافعها، ثم يردها. ثم سمى كل عطية نحلة. وجعل أبو محجن ما نال السنان من الدم نحلة. ويروى «حصته»[٥]. ومجاز هذا الكلام مجاز قولهم «فلان يوفى هذه الصناعة حقها» إذ قام بها حق القيام. و «عامل الرمح» و «عاملته» على قدر ذراع من السنان و «سافلته» على قدر ذراع من الزج[٦]. وأصل «العلق» الدم الذى يعلق من الجرح. ثم كثر حتى سمى كل دم علقا.

و[٧] أطعن الطعنةَ النجلاءَ عن عُرُض[٨] ٭ تنفى المسابيرَ بالازباد[٩] والفَهَق

«الطعنة النجلاء» الواسعة الشق. وأصلها من «النجل»، وهو سعة العين. و «عن عرض» أى عن ناحية. و «عرض الشىء» ناحيته. كأنه يختلس[١١] الطعنة

١ — أى الخوف والفزع.
٢ — فى الاستيعاب والاصابة «حامل». وفى خ «عاسل».
٣ — يقال أرواه إذا سقاه فأشبعه.
٤ — فى الاصابة «العنق».
٥ — كذا فى العيون وغ والاستيعاب والبصائر والشجرية وأسد الغابة والاصابة وخ.
٦ — وهى الحديدة فى أسفل الرمح.
٧ — فى العقد «قد». وسقط البيت عن أسد الغابة.
٨ — فى الاستيعاب «لو علوا» وفى خ «قد».
٩ — الازباد، إخراج الدم والقذف به. وفى الشجرية «بالأمواه» وفى خ «بالازباد».
١٠ — فى العقد وغ والاستيعاب «وأحفظ السر فيه ضربة العنق». وهو شطرتان للبيت السادس الآتى ... أن هناك «أكتم».
١١ — أى يأخذ بمخادعة وعاجلا.

تلاس الطعنة عندهم محمود ممدوح. قال الفِند الزِمّاني[1]:

وقد أختلِسُ الطعـ ... ـنةَ[2] لا يدمَى[3] لها نصلى

وأما قولهم «علِق الرجلُ[4] المرأة عرَضاً» بالتحريك، فمعناه اعتراضا من غير ... قال ذو الرمة[5]:

...لك الفتاة التى عُلقتها عرضاً ... إن الكريم وذا[6] الاسلام يُختلَب[7]

و«المسابير» جمع مِسبار، وهو الميل الذى تُقدَّر به الجراحات ليعرف غورُها. ...رُتها سبراً» إذا قدرتَها. ثم كثر ذلك حتى جُعلت التجربة سبراً. و«الفهق» ...ة الدم. و«تفهَّق الرجل فى القول» إذا توسع. و«واد فيهق» كثير الماء.

يقول: إن الذى يريد سبر هذه الطعنة يرجع عنها من هَولها ولا يقربها ... فجها.

---

[1] كذا فى السمط ١/٥٠٥ واللسان ٧/٣٨٨ و٢٠/٢٠ والتاج ٤/١٥٢. وقال فى اللسان: «ذكر السيرافى فى كتاب أخبار النحويين أن أبا عمرو بن العلاء قال: أنشدنى هذه الأبيات الأصمعى لرجل من اليمن ولم يسمه. وسماه غيره، فقال: هى لامرىء القيس بن عابس الكندى». وقال فى الاسعاف ٢/٢١٥ الف «نسبه ...غبى لامرىء القيس بن عابس. وليس فى ديوانه. ثم ظفرت فى شعر الفند الزمانى». أقول: ويروى للمسيب بن علس، خال الأعشى، كما فى ديوان الأعشى ٣٥٨.

والزمانى هو سهل بن شيبان بن ربيعة. جاهلى قديم. وكان شجاعا فارسا عظيم الخلق ولذا لقب ...ند. والفند فى اللغة القطعة العظيمة من الجبل. الاشتقاق ٢٠٧ وغ ٢٠/١٤٣ والسمط ١/٥٧٩ والمبهج ... والاسعاف ١/١٦ ب وخ ٣/٢٩٨ (طبع جديد).

[2] فى الصحاح ١/٤٥٢ والسمط واللسان والتاج «الضربة».

[3] ... لا تقتل لاجلها حديدة رمحى.

[4] أى هويها وأحبها.

[5] هو أبو الحرث غيلان بن عقبة العدوى. شاعر إسلامى. وكان صاحب مى بنت عاصم. وذو الرمة لقبه. وترجمته فى الشعراء ١٢٦ وغ ١٦/١٠٦ والسمط ١/٨١ وابن خلكان ١/٤٠٤ والعينى ١/٤١٢ واليافعى ١/٢٥٣ ومعاهد التنصيص ٤٦٨ والاسعاف ١/٢٧ الف وخ ١/١٠٥ (طبع جديد) وبروكلمان ١/٥٨ وتتمته ١/٨٧.

[6] فى ط وم «دو». والتصحيح من الديوان ٦. وقال الشارح: «علقتها» أى رأيتها على غير عمد فهويتها ...عشقتها. أقول: يعنى، مال إليها قلبى.

[7] أى يخدع.

وجعلها تنفيه وترده على جهة المجاز كما تقول «منعتهم السيوف عن دخو[ل]
البلد». والمراد أن أصحابها منعوهم بها.

عَفٌ الاياسةِ[1] عما لستُ نائله * و[2]إن ظُلمتُ[3]، شديدُ الحقدِ[4] والحَنَ[ق]

قال الشيخ أبو هلال رحمه الله: «الاياسة» اليأس. تقول: «يأس وإيـ[ـاس]
وأيست ويئست» أكثر وأجود[5]. و«الحقد» ما تضمره من عداوة الرجل
حين التمكن منه. و«الحنق» الغيظ. و«رجل عف» عفيف.

يقول: إنى عاقل لا أطمع فيما لا أناله، بل أيأسُ منه يأساً عفاً. لا قنو[ط]
معه ولا كفر. وذلك أن من الناس من إذا فاته الشىء قنط وكفر.

وأكشفُ المأزقَ المكروبَ غمّتَه[6] * وأكتُمُ[7] السرَّ فيـه ضربة العنـ[ـق][8]

«المأزق» المضيق فى الحرب. ومثله «المأقط». وهو حيث يلتقى الزحـ[ـف]
ويعترك الفريقان. و«المكروب» مفعول بمعنى فاعل أى الكارب. و«عـ[ـمه]»
ضيقه وشدته وإحاطة أهواله. وأصل «الغم» الاحاطة. ومنه «الغمامة» التى تـ[ـجعل]
على فم البعير، و«الغمام» لأنه يحيط بنواحى السماء. ويجوز أن يكو[ن]
أصله التغطية.

ويُروى «المَخشىَّ غمته».

١ — فى غ والاستيعاب وأسد الغابة والاصابة وخ «المطالب»، وفى الشجرية ٦٣ «المطامع».
٢ — فى غ «فان».
٣ — فى الاصابة «طلبت».
٤ — فى البصائر «الظلم».
٥ — كذا. والصواب أن يكون «تقول إياس وأيست. ويأس ويئست أكثر وأجود».
٦ — فى الشعراء والعيون والاستيعاب وأسد الغابة والاصابة وخ «قد أركب الهول مسدولا عساكره» غ «وأطعن الطعنة» الخ الشطر الذى قد مضى. وفى البصائر «المأقط المكروه همته».
٧ — كذا فى العقد ٥٤/١ والاستيعاب وخ. وفى غ «أحفظ».
٨ — قال أستاذى العلامة الميمنى: المعنى أن السر الذى فى إفشائه ضربة العنق أكتمه ولا أفشيه. وكم[ـا]
كانوا يفتخرون به.

قد يُقتر[1] المرأ يوماً[2]، وهو ذوحسب[3]
وقد يثوب[4] سوامُ العاجز الحَمِق

ألاقتار، الاقلال. و «الحسب» ما يعده الانسان لنفسه من مناقبه ومناقب
. وهو من الحساب. و «يثوب» يكثر من قولك «ثاب إليه قومه» أى
ا إليه وكثروا حوله. و «التثويب» فى الأذان هو جمع الناس للصلوة. وفى
ن «وإذ جعلنا البيت مَثَابَةً للناس[5]» لأنهم يكثرون عنده. وأصل الكلمة
ع. ويجوز أن يكون المعنى أنهم يثوبون إليه فى كل سنة أى يرجعون.
سوام» المال الراعى. و «أسَمْتُه» رَعَيته، و «سَامَتْ» هى. و «العاجز»
يف. و «الحمِق» الأحمق. وأصل الحُمق اللين. ومنه «البَقْلَة الحمقاء».
ت الخرُ «حمقاء» للينها.

قد[6] يَكثر المال يوما بعد قلته
ويكتسى العُود بعد الجدب[7] بالورق
[8]وقد أجُودُ وما مالى بذى فَنَع[9]
[10]وقد أكُرُّ وراء المُجْحَر البرِق

ف ع والاستيعاب وأسد الغابة والاصابة «يعسر». ٢ — وفيها «حينا».
وفيها «كوم». ٤ — وفى الاصابة «يسوم». ٥ — سورة البقرة ٤/١٤.
- ف ع والاستيعاب وأسد الغابة والاصابة «سيكثر»، وفى خ وخب «ويكثر».
- ف ع والاستيعاب والشجرية وأسد الغابة والاصابة «اليبس». ٨ — فى حاشية الجواهر ٩٣ «فقد».
- ف تهذيب لابن السكيت ١٠ والاستيعاب وأسد الغابة وخ وغا «قنع». وهو تصحيف. والتصحيح من
تهذيب ٢٢١ ب والشجرية والنهاية ٢١٦/٣ واللسان ٣٥٢/٦ و ١٢٨/١٠ وخب. وهى رواية ابن السكيت
ف الألفاظ كما فى اللسان ١١٩/١. وفيه أنه روى أبو العلاء «بذى فنأ». ويروى «فجر» كما فى أسد
لغابة واللسان ٣٥٢/٦ وحاشية الجواهر وخ. وهما مترادفان للفنع.
- فى التهذيب والنهاية والدميرى ٥٦٢/٢ واللسان ١١٩/١ و ٣٥٢/٦ و ١٢٨/١٠ وحاشية الجواهر «أكتم السر»
خ. وهو عجز البيت السادس. وفى اللسان ١٢٨/١٠ «أن ابن برى روى العجز: وقد أكر وراء المحجر الفرق».
أقول: وهو كذا فى غ ١٤٢/٢١ والاستيعاب والشجرية وأسد الغابة وخ، غير أن فيها (سوى أسد
الغابة) «المحجر» بتقديم الحاء.

«ذو فنع» ذو كثرة. وأصل الفنع الحسن. قال الراجز[1].

أنت جعلت الباهليّ مِفنَعاً

و «الفنع». أيضا الطيب الرائحة. ومنه يقال «مسك ذو فنع». و «نحر» المضيق عليه فى الحرب. وأصله من الجحر. و «قد أجحره الشيء» إذ ضيق عليه. و «البرق» الشاخص البصر. ومنه قوله سبحانه وتعالى «فإذا برق البصر»[2]. و «برق الرجل» تحير. قال الراجز:

أعطيته عَنساء منها فبرِق[3]

وأهجر الفعل ذا حُوب ومَنقَصة ۞ وأترك القول يدنيني من الرَهَق

«الحوب» الاثم. ومنه قوله عز وجل «إنه كان حوباً كبيرا»[4]. و «الرهق» العرامة والخبث. و «غلام فيه رهق» إذا كان خبيثا عارما.

وكان عمر رضى الله تعالى عنه يفضل هذه الأبيات، ويتهم رأيه فيها. ولا يذكر إلى أن قال لعلى كرم الله وجهه: «من أشعر الناس؟»

قال: «الذى أحسن الوصف، وأحكم الرصف، وقال الحق».

قال: «ومن هو؟»

قال: «أبو محجن فى قوله: لا تسئلى الناس عن مالى وكثرته».

---

١ — وهو لبيد بن ربيعة العامرى كما فى ديوانه ٩ والجمهرة لابن دريد ١٢٧/٣. وتمامه «يا فاصر ... وترجمته فى جمهرة أبى زيد ٣٠ وابن سعد ٢٠/٦ والشعراء ٥٠ والمعارف ١٤٤ وغ ١٤ ... ٤٧ والمؤتلف ١٧٤ والسمط ١٣/١ و ١٩٠ والعينى ٥/١ واليافعى ١١٩/١ والمستطرف ٢ ... ٧/١ الف وخ ٢٣٧/١ و ٢١٣/٢ (طبع جديد) وحسن الصحابة ٣٥٠/١ وبروكلمان ١ ... وتتمته

٢ — سورة القيمة ٧/١.

٣ — فى الصحاح ٤٦٥/١ واللسان ٣٠/٨ «العيس بالكسر جمع أعيس وعيساء. الابل البيض يخالط بياضها ... شقرة».

٤ — سورة النساء ٢/١.

فقال: أيدتني، يا أبا الحسن! أيدك الله، فما زلت مؤيدا في كل خير!»
[أول ما قيل «أيدك الله».[1]

ثم قال له: «قد صدق في كل ما ذكر، لو لا آفة كانت في دينه من
الخمر».

وقال علي كرم الله وجهه[2]): «ولقد تركها أنفا[3]. والأنف من الكرم،
والكرم من الايمان لقوله تعالى «إن أكرمكم عند الله اتقاكم[4]».

فقال عمر رضي الله تعالى عنه: «يأبى الله إلا أن يسوّدكم في الدين والدنيا».

قال الشعبي: «فلم يكن في الحي فتى لا يحفظ هذه الأبيات تُعَدُّ له مروءة».

قال عوانة: «دخل عبيد بن أبي محجن على عبد الملك بن مروان[5]، فقال
«أبوك الذي يقول[6]:

إذا مت، فادفني إلى جنب كرمة ۞ تُروّي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنّني بالفلاة، فانني ۞ أخاف، إذا ما مت، أن لا أذوقها

فقال: «يا أمير المومنين، لكن أبي الذي يقول: لا تسئلي الناس عن
[مالي] وكثرته»[7]:

---

١ – الأوائل ٣٣٧ الف.
٢ – زيادة من المصحح لاقتضاء المقام.
٣ – أي استكافا منها وتنزهاً عنها.
٤ – سورة الحجرات ٣/٣.
٥ – هذه رواية ابن الأعرابي عن ابن الكلبي كما صرح به في الاصابة (ك) ٣٢٨/٤ و (م) ١٧١/٧ وخ ٥٥٥/٣ وال عيون ٣٨/١ وغ ١٤٢/٢١ والاستيعاب ٦٦٣/٢ والنهاية ٢١٦/٣ وأسد الغابة ١٧٢/٤ وخ ٥٥٤/٣ «معاوية».
٦ – تراجع الكلمة، رقم ١٦، لاختلاف الالفاظ.
٧ – في النهاية «وقد أجود وما مالي بذي فنع».

وأنشد الأبيات إلى آخرها.

فقال عبد الملك: «إن كنا أسأنا لك القول، فانا لا نسيء لك العطية». وأمر له بعشرة آلاف درهم.

(٢)

قال: ونقم عليه عمر رضى الله عنه شُربه الخمر. فسيَّره إلى حَضَوضى[1]. وهى جزيرة فى البحر، وبعث معه ابن جهراء. فراغ منه على شط البحر، ولحق بسعد بن أبى وقاص رضى الله عنه. وقال[2]:

أحمد لله نجّانى وخلّصنى ❊ من ابن جهراء والبوصى قد حبسا

«البوصى» المركب. فارسى معرب[3]. و «نجانى وخلصنى» واحد فى المعنى وإنما كرر للتوكيد. وقد يقال «أوجعته وآلمته». وليس ذلك بجيد فى الشعر لأن من حق الشعر أن تكون ألفاظه كالوحى ومعانيه كالسحر.

من يركبِ[4] البحر والبوصىَّ معترضاً[5] ❊ إلى حضوضى، فبئس المركب التمسا

وهذا مثل الأول، لأن ركوب البحر يُنبىء عن ركوب البوصى. و «معترضا» ذاهبا عَرَضا. و «الالتماس» الطلب باللمس. وكثر حتى سمى كل طلب التماسا.

أبلغْ لديك. أبا حفص. مغلغلة[6] ❊ عبدَ الاله، إذا ما غار أو جلسا

---

١ — قال الحموى (معجمه) ٣/٢٩٦: «بفتح أوله والضادين وسكون الواو، مقصور مثال قرورى، جبل فى الغرب كانت العرب فى الجاهلية تنفى إليه خلعاءها. وقال الحازمى: جزيرة «فى البحر».

٢ — ليراجع غ ٢١و١٣٨.

٣ — كذا فى الصحاح واللسان والتاج فى مادة «بوص». وقال أدى شير فى الألفاظ الفارسية المعربة ٣١ ... أو فى المعاجم التى بيدى لفظة «بوز» بمعنى القتال فى البحر».

٤ — فى غ «يجشم».

٥ — وفيها «مركبه».

٦ — أى رسالة محمولة من بلد إلى بلد.

«عبد الاله» يعنى عمر رضى الله عنه. وذلك أن كل خليفة يتواضع بهذا
م. فيكتب «من عبد الله أمير المومنين». ولم يستو لأبى محجن أن يقول
د الله»، فقال «عبد الاله». و «غار» أتى غورا. و «جلس» أتى نجدا.
ل لمن أتاه «قد جلس». قال الشاعر[1]:

إن كنتَ تاركَ ما أمرتك فاجلسِ

أنجد.

ى أكُرُّ على الأولى، إذا فزعوا ۝ يوما، وأحبس تحت الراية الفرسا

«الكرور» الرجوع بعد الانهزام. و «الأولى» يعنى أولى الخيل، وهى المقدمة.
صها بالذكر لأن نخبة الكتيبة تكون فيها. و قوله «إذا فزعوا» أى إذا
ع الحىُّ.

غشى الصباح[2]، وتَغشانى مضاعفةٌ ۝ من الحديد[3]، إذا ما بعضهم خنسا

«مضاعفة» درع صنعت حلقتين حلقتين. وأصل «الغَشَيان» التغطية. ومنه
شيةُ بغشاء». وقد يكون بمعنى النكاح. يقال: «غشى الرجل المرأة» إذا
حها. والمراد أنه يلبسها، فعبر عن اللبس بالغشيان، لأن «أغشى» مع «تغشانى»
سن.

ر «خنس» تأخر. يقال: «خنست عن الرجل» إذا تأخرت عنه. ومنه
ه تعالى «فلا أقسم بالخُنَّس»[4] يعنى الكواكب السبعة. وسماها خنسا لأن الفلك

---

[1] الشاعر عبد الله الزبير رضى الله عنهما. وقال ابن برى: «البيت لمروان بن الحكم». وصدره: «قل للفرزدق والسفاهة كاسمها». والقصة فى الحموى (معجمه) ٣/١٢٤ واللسان ٧/٣٤٠ والتاج ٤/١٢٢. والبيت فقط فى حمزة ٢: ٩٤.

[2] ع «الهياج». وهو الحركة والاضطراب.

[3] حب «مضاعفة الـ ۝ حديد يوما».

[4] سورة التكوير ١٥. وقال الطبرى (تفسيره) ٣٠/٤٢: إن المراد بها النجوم الخنسة، بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشترى».

الأعظم يقدمها إلى المغرب وهى تتأخر إلى المشرق.

ويروى «حبسا» أى حبس فرسه فى أهله ولم يَرِم.

(٣)

وقال يوم قُسّ الناطف[1]:

وكان المثنى بن حارثة كتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «إنا قد عد[...] أهل فارس على بعض ما فى أيديهم. ومعى رجال صُبُر صدق. وإن أمدد[...] بجماعة من قبلك، رجوت أن يفتح الله علينا».

فقام عمر رضى الله عنه خطيبا وقال:

«أيها الناس، إن الله وعدكم كنوز كسرى و قيصر فى قوله تبارك وتعالى: وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض[2]. وقال تبارك وتعالى: هو الذى أرسل رسوله بالهُدى ودين الحق ليظهره على الدين كله[3]».

ثم ذكر فارس. فتثاقل الناس إشفاقا من لقائهم فقام أبو عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير الثقفى وقال: «أنا أول من انتدب[4]».

ثم قام سليط بن قيس بن عمرو بن مالك الخزرجى ومعه رهط من الأنصار

---

١ — قال البكرى (معجمه) ٧٥٢/٣: «قس، بضم أوله وتشديد ثانيه. ويضاف إلى الناطف بالنون وبعد[...] بعدها فاء، فيقال قس الناطف، موضع معروف بالعراق. وبقس الناطف كانت أول وقعة بين [...] وبين فارس. وكان على المسلمين يومئذ أبو عبيد الثقفى».

وقال الحموى (معجمه) ٨٨/٧: «وهو موضع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الشرقى [...] به وقعة بين الفرس وبين المسلمين فى سنة ١٣ فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه. وأمير المسلمين [...] عبيد بن عمرو بن مسعود. ويعرف هذا اليوم أيضا بيوم الجسر».

٢ — سورة النور ٥/٧.

٣ — سوره التوبة ٤/٥.

٤ — أى أجاب.

تابع الناس وكثروا وقالوا: «أمِّر علينا». فقال: «أؤمر عليكم أول من ... فأمر أبا عبيد.

بلغ يزدَجردَ[1] ذلك، فبث القوّاد فى أطراف مملكتـه وأخرج من فيها من . فورد أبو عبيد فى نحو من ألفين، والمثنى فى نحو من سبع مائة. فبث على قواد يزدجرد، وقصد بعضَهم بنفسه، فهزمهم. فوردوا على يزدجرد، [2] وأقصاهم. ودعا بهمردان[3] الحاجب، فعقد له على اثنى عشر ألفا، فسار لحيرة[4] وأبو عبيد بها. فأشار عليه المثنى بعبور الفرات فعبر. وجاء بهمردان، قس الناطف، بينه وبين العرب الفرات. وقال لهم: «أ تعبرون إلينـا أم إليكم؟»

فقال أبو عبيد: «بل نعبر إليكم».

فأشار عليه الناس ألا يعبر. فأبى وعقد جسرا وعبر. فحصل على مستطرد[5] . فوشقتهم[6] الفرس. فجُرِح منهم الكثير. ثم تدانى الزحفان، فأرسل الفيل الناس. فتقدم أبو عبيـد فى رجال من أصحـابه. فضرب مِشفَره وقال:

---

[1] ... فى الطبرى (تاريخه) ١/٢١٧٤ والبلاذرى (فتوحه) ٢٥١ والبداية ٧/٢٧ «رستم». وهو الصحيح لأن يزد... تولى أمر الفرس بعد وقعة الجسر».

[2] ... عتب عليهم.

[3] ... البلاذرى والكامل لابن الأثير ٢/١٦٤ «ذو الحاجب مردان شاه». وكان أنوشروان لقبه «بهمن» لتبركه. ... سمى ذا الحـاجب لأنه كان يعصب حاجبيه ليرفعهما عن عينيه كبرا. ويقال إن اسمه رستم. وقال الطبرى ... كثير إن اسمه بهمن جاذويه. أقول: ولم يذكر أحد من المورخين فى هذه الوقعة من اسمه «بهمردان». ... له تصحيف «بهمن مردان شاه».

[4] ... ياقوت ٣/٣٧٦: «بالكسر ثم السكون وراء. مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال ... النجف. وبالحيرة «الخورنق» بقرب منها مما يلى الشرق على نحو ميل. و«السدير» فى وسط البرية التى ... بينها وبين الشام. كانت مسكن ملوك العرب فى الجاهليةِ».

[5] مستطرد لهم: أى أظهر لهم الانهزام مكيدة ليحمل عليهم.

[6] ... رشقتهم بالسهم.

يا لك من ذى أربع. ما أكبرك! ٭ لأعلُونْ بالحسام مشفرك[١].

فان قُتلتُ بعدها، فلى درك[٢]

واستدبره أبو محجن. فضرب عُرقوبه. فاستدار وسقط. وتعاور[٣] الفرس أ... عبيد، فقتلوه. فتداول الراية بعده جماعة. فقتلوا إلى انتهت إلى المثنى. فجاش م... ساعة. ثم انهزم وانهزم الناس. وركبهم الفرس، فقتلوا منهم ألفا وثمانى مائة وقُتل من الفرس ألفان.

وبلغ الخبر عمر رضى الله عنه، فبكى وقال: «رحم الله أبا عبيد. لو رجع إلينا، لكان فينا فئة له[٤]».

فقال أبو محجن:

يا عين، بَكّى أبا جبر[٥] ووالدَه ٭ إذا تحطمت الراياتُ والحَلَقُ

«تحطمت» تكسرت. و«حُطام النبت» كُساره. وسميت جهنم بالحَطَمة من ذلك. وكانت الرايات تحملها رؤساء الجيوش يقاتلون بها. وهى رماح قصـ... مشدود بها خِرق، عليها أسنة يُطعن بها.

و«الحلق» الدروع. سميت بذلك لأنها تعمل من الحلق.

يوم يـوم أبى جبر وإخوته ٭ والنفس نفسان: منها الهول والشفق

قوله «والنفس نفسان» مثل. والمراد أنه يحدث نفسه بالفرار مرة وبالصـ...

١ — أى لأضربن بالسيف خرطومك.

٢ — أى فاذاً قد أدركت حاجتى.

٣ — أى تداول.

٤ — سقط «له» من م.

٥ — أبو جبر كنية أبى عبيد، لأن جبرا اسم ابنه الذى أخذ الراية بعده يوم الجسر كما فى الطبرى ... ٢١٧٨/١ والاصابة (ك) ١٤٢/٤ و(م) ١٣٧/٧.

ى. فكأن له نفسين: تأمره إحداهما بهذا والأخرى بذاك.

؛ ضلّ مُضلٌّ[1] المنايا، ما تركن لنا ◦ عِزا نبوء به ما مُهدِّل[2] الورق

ؤ ضل ضل المنايا» يريد: ما أضل المنايا. وهو مثل[3]. ومثله قول جذيمة
رش[4]: «يا مُضل ما تجرى به العصا». و «العصا» فرس جذيمة. ركبها مولاه
ر ونجا وتورط جـذيمـةُ فقال: ما أَضلَّ جريهـا، لأنها تجرى بغير صاحبها.
ال: «فلان مُضل بن ضُل وقُل بن قُل[5]» إذا لم يُعرف أصله.

(٤)

وقال أبو محجن يوم الجسر[6]. وكان يشبب بأم يوسف أختِ الحجـاج
يوسف:

- ل ما وحب و م «يا ضـل ضل» بضم الضـاد فى الموضعين وفتح اللام فيهما. وصوابه عـلى ما كتب إلى
ت.و العلامة الميمنى «يا ضل ضل»، كما أشكلته فى المتن
- ن تهدل وتدلى. ولم أجد التهديل فى المعاجم التى بيدى.
- ش هنا بمعنى (Idiom) لا بمعنى (Proverb).
- ال الميدانى (معجمه) ٣٠٨/٢: «قاله عمرو بن عدى لما رأى العصا، وهى فرس جذيمة، وعليها قصير.
وه قول زيد بن رفاعة الكاتب فى أمثاله ١٢٩. وفى اللسان ٤١٩/١٣ والتاج ٤١٣/٧: «يقوله قصير بن
ـ خذيمة بن الأبرش حين صار معه إلى الزباد. فلما صار فى عملها، ندم، فقال له قصير: اركب فرسى
ها واغ عليه، فانه لا يشق غباره».
وقال العسكرى (جمهرته) ٢٢٠: «يضرب مثلا للجد لا ينفع». وقال الميدانى: «المنادى فى قوله
يا محذوف. التقدير يا قوم ضل. أراد ضلل بالضم. وهى من ابنية التعجب كقولهم 'حب فلان' أى
حب، ومعناه ما أحبه إلى.... والضلل الهلاك.... ومعنى المثل، يا قوم ما أضل أى ما أهلك ما
جرى به العصا. يريد هلاك جذيمة».
- مع فرائد اللآلى للطرابلسى ومجمع الأمثال للكرمانى للمثل، و غ ٧١/١٤ والميدانى ٢٠٥/١ لقصة جذيمة.
- مع الميدانى ٢٧٠/١ والكرمانى ٣٦٩ والفرائد ٣٥٥/١.
- غ ١٤١/٢١: «إن الناس لما التقوا مع العجم يوم قس الناطف، كان مع الاعجام فيل يكر عليهم فلا
تقوم له الخيل. فقال أبو عبيد بن مسعود: «هل له مقتل؟» فقيل له: «نعم، خرطومه إلا أنه لا يفلت
من ضربه». قال: «فانا أهب نفسى لله». وكمن حتى إذا أقبل، وثب إليه فضرب خرطومه بالسيف
ه. ثم شد عليه الفيل فقتله. ثم استدار فطحن الاعاجم وانهزموا. فقال أبو محجن يرثى أبا عبيد:
أو تسدت الخ».

أنّى تسدّت نحونا أمُّ يوسفٍ ٭ ومن دون مَسراها فيافٍ مَجاهلُ

«تسدت نحونا» جازت إلينا. وقال ابن السكيت: «تسديت» علوت. وأصل الكلمة الرمى. ومنه قولهم: «ما أحسن سَدوَ يد الناقة» أى رميها بها فى السير. و «السدو» حفرة تحفرها الصبيان ويرمون إليها بالجوز. و «مسراها» موضع سراها. و «الشرى» سير الليل خاصة. و «الفيافى» الصحارى، واحدها فيفاء. و «المجاهل» التى لا أعلام بها. فسالكها جاهل بالطريق.

إلى فتية بالطَّفِّ نيلت سَراتُهم ٭ وغودر أفراس لهم ورواحلُ

«الطف» ما دنى من الريف[٢]. وهو من قولهم: «خذ ما طف لك واستطف» أى ما قرُب وسَهل. و «طِفاف المكّوك[٣]» ما قارب ملأه. و «سراة القوم» خيارهم. يعنى أصحاب أبى عبيد. والمراد بقوله «نيلت سراتهم» أى قتلوا. و «غودر» خلِّف. وسمى الغدير «غديرا» لأن السيل غادره أى خلّفه. و «الراحلة» فاعلة بمعنى مفعولة. والمراد أنهم قتلوا وخلفت أفراسهم ورواحلهم فى المعركة، يأخذها من يجدها.

وأضحى أبو جبر خلاءً بيوتُه ٭ بما كان يعفوها[٤] الضعاف الأرامل[٥]

أى خلت بيوته بدلا من عُمرانها بالضيوف. وذلك أنه ينال من العدو ما يقريهم به، فقتله العدو، فخلت بيوته. و «يعفوها» يأتيها العافى[٦]. و «عافية» الرجل غاشيته الذين يطلبون ما عنده. و «عوافى» الطير ما يأتى القتيل ليأكل منه

١ — فى البلاذرى ٣٥٢ «نيل».
٢ — أرض فيها زرع وخصب.
٣ — آلة فى الحياكة.
٤ — فى غ ٢١/١٤١ «وقد كان يغشاها».
٥ — جمع أرمل، المسكين ومن لا أهل له.
٦ — فى م «العواق».

فهي بنو عمرو[1] لدى الجسر منهم ٭ إلى جامد[2] الأبيات جود ونائل

هذا مأخوذ من قول النابغة[3]:

وغودر بالجولان حزم ونائل

كان جودا ونائلا فدفن فى هذا الموضع فذهب الجود والنائل. و «النائل» النوال، و «النيل» سواء. وهو العطية. و «قد ناله ينوله» إذا أعطاه. رجل نال» و «امرأة نالة» كثيرة العطاء.

وما لمت نفسى فيهم، غير أنها ٭ إلى[4] أجل لم يأتها، وهو عاجل[5].

يقول: ما لمت نفسى فيهم، لأنى لم أقصّر فى دفع الأعداء عنهم والمكافحة عنهم. ولكن كان أجلهم قد حضر وتأخر أجلى، فقتلوا وبقيت.

وما رمت حتى خرّقوا برماحهم ٭ ثيابى[6]، وجادت بالدماء الأباجل

«ما رمت» ما برحت. وجعل تخريق الثياب عبارة عن وقوع الطعن فيه. ل على ذلك بقوله «وجادت بالدماء الأباجل». و «الأبجل» عرق فى باطن راع. وإنما هما أبجلان فى الذراعين، فجمع، لأن التثنية جمع.

وحتى رأيتُ مُهرتى مُزوَرَّةً ٭ لدى الفيل[7]، يدمى نحرُها والشواكل

- عمرو هذا جد أبي عبيد.
- ق ع «جانب».
- صدره: «مآب مضلوه (أو مصلوه. وهي رواية اخرى) بعين جلية». ليراجع الديوان ٦٢ والطبرى (تفسيره) ١٩٩/٣ (وفيه: وعود بالخذلان). والصحاح ٢٠٧/٢ والبحر ٤٨٩/٢. وترجمته فى جمهرة أبي زيد ٥٢ والشعراء ٦٠ و ا العقد ٦٢/٢ و غ ١٥٤/٩ والمؤتلف ١٣١ و ١٩١ والمبهج ٦٣ والسمط ٧٩/١ وابن عساكر ٤٢٤/٥ والعينى ٨٠/١ ومعاهد التنصيص ١٥٠ ، والاسعاف ٣٦/١ ثم. و ح ١١٦/٢ (طبع جديد) وبروكلمان ٢٢/١ وتتمته ٤٥/١.
- ق غ رخب «لها».
- ق حب «آجل».
- كذا فى معجم الحموى ٣٢٨/١. وفى غ «بسلاحهم ٭ إهابى».
- ق معجم الحموى «مزوبرة ٭ من النبل».

يقول: ما برحت حتى رأيت مهرتى مزورةً من الفيل نافرةً يدمى حره
وخاصرتُها من الطعن والضرب. و «الشواكل» الخواصر. وقال «مزوئرة» ...
الهمزة ياء ثم حركها كما قال كُثَيِّرٌ[1]:

إذا ما احمأرّت بالعبيط الأنامل[2]

وما رحتُ حتى كنت آخر رائح ٭ وصُرِّع[3] حولى الصالحون الأماثل

«أماثل» القوم خيارهم وأولو الصلاح منهم. و «المثالة» الصلاح. ويقال
«ما يزداد فلان إلا مَثالةً»، أى صلاحا. و «المُثلى» تانيث الأمثل. وفى القرآن
العزيز «بطريقتكم المثلى»[4].

مررتُ على الأنصار وسَط رحالهم
فقلت لهم: «هل منكم اليوم قافل»؟[5]

«القافل» المنصرف من الغزو. ويقال «قفل يقفل قفولا». والاستفهام هنا
بمعنى التوجع لهم والنفى لقفولهم.

وقرّبتُ رؤاحاً وكورا ونُمرُقا[6] ٭ وغودر فى أُلَيْسَ بكرٌ ووائل

١ — هو كثير بن عبد الرحمن الخزاعى المشهور بكثير عزة. شاعر أهل الحجاز. وكان أكثر إقامته بمصر ... يهوى عزة بنت جميل الضمرية. وكان عفيف الحب. وأخباره معها مستفيضة. وتوفى سنة ١٠٥ هـ ٧٢٣ م. وترجمته فى الشعراء ١٢١ والعيون ٢/١٤٤ والعقد ٢/٦١ و ٧٦ و غ ٨/٢٥ و ١١/٤٣ والمؤتلف ... والمرزبانى ٣٥٠ والسمط ١/٦١ و ١٣٧ والشهرستانى (ملله) ١١١ والفرق بين الفرق للإسفرائنى ٢٨ وابن حد ١/٦١٧ واليافعى ١/٢٢٠ والعينى ١/٤٥٩ ومعاهد التنصيص ٢٤٢ والاسعاف ٢/١٢ و خ ٢/٣٨١ ... ١/٤٨ وتتمه ١/٧٩.

٢ — وصدره: «وانت ابن ليلى خير قومك مشهدا» كما فى شرح شواهد الرضى على الشافية للعدادى ٩٨ والقافية هناك «العوامل». و «العبيط» الذبيحة تنحر وهى سمينة فتية من غير علة.

٣ — فى خب «ضرع» وفى الحوى «ضرج».

٤ — سورة طه ٩/٣.

٥ — فى غ والحوى «فقلت ألا هل منكم». وفى خب بسقوط هل.

٦ — فى معجم الحوى ١/٣٢٨ «غرقة». وهى الشربة من اللبن وغيره.

«رواحا» يعني بعيره. و«الكور» الرحل. و«النمرق» الطُنفسة تكون تحت [الر]حل. و«أليس» موضع[1] قريب من النُخَيلة[2]. وكانت الوقعة بالنخيلة[3]. «غودروا» تُركوا مقتولين مُقتّلين.

ألا لعن الله الذين يسرُّهم ✽ رَدايَ، وما يدرون ما الله فاعل

«الرّدى» الهلاك. يقول: لعن الله من يحب موتي ولا يدرون لعل الله [جع]ل في بقائي خيرا و«اللعن» الابعاد عن الخير.

(٥)

وقال أبو محجن في ذم الخمر:

يقول أناس[4]: إشرب الخمر، إنها ✽ إذا القوم نالوها، أصابوا الغنائما

يقول: إنهم جعلوا شربها غنيمة لما فيها من السرور. وأصل «الغنيمة» مال [ا]لأعداء. ثم جعلت مثلا في غيره. يقال: «اغتنمت السرور بلقاءك، واغتنمت [ف]رصة في الأمر».

---

١ – وبه «اليس» مصغر بوزن فليس. وقال محمود وغيره: اليس بوزن سكيت، الموضع الذى كانت فيه الوقعة [بي]ن المسلمين والفرس في أول أرض العراق من ناحية البادية. وفي كتاب الفتوح: اليس قرية من قرى الأنبار ذكرها في غزوة اليس الآخرة».

وقال البكري (معجمه) ٩٨/١: «بلدة بالجزيرة».

٢ – قال الحموي ٢٧٦/٨: «النخيلة تصغير نخلة موضع قريب الكوفة على سمت الشام. وهو الموضع الذى خرج [إل]يه علي كرم الله وجهه لما بلغه ما فعل بالأنبار من قتل عامله عليها، وخطب خطبة مشهورة ذم فيها أهل [ا]لكوفة وقال: اللهم إني لقد مللتهم وملوني، فأرحني منهم. فقتل بعد ذلك بايام».

وقال البكري ٥٧٧/٢ «النخيلة تصغير نخلة بالكوفة. وهي التي كان علي رضي الله عنه يخرج إليها [إ]ذا أراد أن يخطب الناس. وقال الخليل: نخيلة موضع بالبادية».

٣ – قال البلاذري ٢٥٣: «ويقال لها يوم مهران». وفي الطبري ٢١٨٣/١ والكامل ١٨٥/٢ «وهرب أبو محجن من أليس ولم يرجع مع المثنى».

٤ – ل حب «رجال لي».

فقلت لهم: «جهلا كذبتم. ألم تروا
أخاها سفيها بعد ما كان حالما
[إذا شرب المرء اللبيب مدامة
نفى الدين عنه واستحل المحارما[1]]

وأضحى وأمسى مستَخَفاً مَهيَّما ٭ وحسبك عارا أن ترى المرء هذا

«مستخفا» بفتح الخاء أى يستخفه الناس، يجدونه خفيفا كما تقول «استحسنته» إذا وجدته حسنا و «استقبحته» إذا وجدته قبيحا. و «الهائم» المتحير الذاهب على وجهه.

(٦)

وقال أيضا فى ذم الخمر:

أتوب إلى الله الرحيم، فإنه ٭ غفور لذنب المرء ما لم يعاود

ليس لقوله «ما لم يعاود» معنى يصح، لأنه إن عاود وتاب غفر الله له والمعاودة فى ذلك كالابتداء[2].

ولستُ إلى الصهباء، ما عشتُ[3]، عائدا
ولا تابعا قول السفيه المعاند

«الصهباء» الخمرة المتخذة من العنب الأبيض. و «الصُّهبة» حمرة يعلوها بياض

وكيف، وقد أعطيت ربى مواثقا، ٭ أعود لها، والله ذو العرش شاهدى

---

١ — الزيادة من خب.

٢ — قال الفاضل السورتى بهامش خب: «وهذا القول منه فى غاية التكليف، فان التوبة المراد بها ترك الذنب من غير عود. فاذا عاد المرء، فله توبة أخرى. ولكن الله يقول «توبة نصوحا». وهو مراد الشاعر فلا معنى للرد عليه».

٣ — فى خب «يوما بعائد ٭ ولا تابع».

تاركها مذمومة لا أذوقها ⁂ وإن رغمت فيها أنوفُ حواسدي

رغم أنفه، إذا ذل. وأصله أن يلصق بالتراب. و «الرّغام» التراب. المراغِم» للقوم المغاضب لهم وفي القرآن العزيز «مراغَماً كثيراً وسَعَة».[١]

وكان حواسده، إذا شرب، قرّت عيونهم، لأنه كان يسقط بذلك عند لمين. فلما ترك شربها، رغمت أنوفهم لأنه عز بتركه عندهم.

(٧)

وكان مع سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه بالقادسية[٢]. وكان سعد لا يزال شاربا. فقال له: «لتنتهيَنّ أو لأوجعنك ضربا». قال[٣] «لست تاركها ك أبدا». وبلغه أنه قال:

ألا سقّني، يا صاحِ، خمراً، فانني ⁂ بما أنزل الرحمن في الخمر عالمُ
وجُد لي بها صِرفاً لأزدادَ مأثماً ⁂ ففي شربها صرفا تتم المآثم
هي النار، إلا أنني نِلت لذة ⁂ وقضّيت أوطاري، وإن لام لائم

فأمر سعد به فحُبس.

(٨)

فلما تواقع القوم بالقادسية، نظر أبو محجن إلى الناس قد فشلوا، فقال:

١- سورة النساء ٤/١٤.
٢- قال أبو عمرو: «القادس السفينة العظيمة». وقال المدائني: كانت القادسية تسمى قديسا وكان قصرا بالعذيب: معجم الحموي ٧/٥.
٣- ل م «فقال».

كفى حزناً أن تطعن[1] الخيل بالقنا[2] ۝ وأصبح[3] مشدوداً علىَّ وثاقيا
إذا قمت عنَّانى[4] الحديد وأغلقت[5] ۝ مصارع[6] دونى قد تصم[7] المناديا[8]
وقد كنت ذا مال[9] كثير وإخوة[10] ۝ فأصبحت منهم[11] واحداً[12] لا أخاليا
[13](وقد شف[14] جسمى أننى كل شارق ۝ أعالج كبلا مصمتاً قد برانيا
فلله درى يوم أترك موثقاً ۝ وتذهل عنى أسرتى[15] ورجاليا
حبسنا[16] عن الحرب العوان[17] وقد بدت ۝ وأعمال غيرى يوم ذاك العواليا

---

١ — فى الخراج ٣١ والمروج ٣٢٤/١ والاستيعاب ٦٦٣/٢ و ٦٦٤ والكامل ٢٠١/٢ و ٤٦/٤ «تردى». وفى الشعراء ٩٧ «تطرد». وفى العيون ١ ١٨٧ والاستيعاب ٦٦٣/٢ عن ابن سيرين وخ ٥٥٤/٣ «تلتو» وفيه بعد أسطر «تردد». وفى البلاذرى ٢٦٠ «تدعس». وفى البداية ٤٤/٧ «تدحم». وفى ح ١/٦١ ١٣٩ و ١٤٠ وأسد الغابة ٥ ٢٩١ «تردى». وفى الاصابة (ك) ٣٢٥/٤ و (م) ١٧٠/٧ «تردى» مصحفا.

٢ — فى البلاذرى «القنا» وفى البداية «الفتى».

٣ — فى الخراج والعيون والمروج وغ والاستيعاب والكامل والبداية وأسد الغابة والاصابة وح «أترك». وفى البلاذرى «وأترك قد شدوا». وفى الشعراء «وأتى مشدود».

٤ — أى آذانى وكلفنى وفى العيون «إذا شئت». وفيه وفى البداية وخ «غنانى».

٥ — فى العيون والشعراء والبلاذرى وغ والاستيعاب وأسد الغابة والبداية وخ «غلقت». وفى مروج «وأغلقت».

٦ — فى المروج والكامل ٤٦/٤ «مصارع من». وفى الشعراء والبلاذرى وغ والبداية «مصاريع من». وفى الكامل ٢٠٠١/٢ «مصاريع بدونى». وفى العيون وخ «مغاليق من».

٧ — فى المروج «وصم».

٨ — فى الكامل «ماديا».

٩ — فى الشعراء «أهل».

١٠ — فى المروج «ثروة».

١١ — فى الشعراء والمروج وغ والاستيعاب وأسد الغابة والكامل وخ «فقد تركونى». وفى البداية «وهم».

١٢ — فى البداية «مفردا».

١٣ — زيادة الأبيات من المروج وغ ١٣٩/٢١ والاستيعاب وأسد الغابة والكامل ٢٠١/٢ وح ٣ ٥٥٤ و...

١٤ — فى خب وخ «نفسى». و«شف» أوهن. و«الشارق» الشمس حين تشرق. والمراد النهار و«أعالج» أزاول وأمارس. و«الكبل» القيد «وبرانى» أضعفنى.

١٥ — فى الاستيعاب «يذهل عنى أثرتى».

١٦ — فى غ «حيينا» مصحفا. وفى خ وخب «حبست».

١٧ — فى غ «العيون». و«الحرب العوان» أشد الحروب.

هلمّ سلاحي، لا أبالك، إنني ٭ أرى الحرب لا تزداد إلا تماديا[١]

فلله[٢] عهدٌ لا أخيس بعهده[٣] ٭ لئن فَرَجت[٤] أن لا أزور الحوانيا[٥])

فان مت، كانت حاجة قد قضيتها ٭ وخلفت سعداً وحده والأمانيا[٦]

وقال لامرأة سعد «أطلقيني، ولك عليَّ عهدُ الله وميثاقه، لئن فتح الله على المسلمين وأنا حي لأرجعن إلى محبسي»!

فأطلقته، فركب فرساً بلقاء لسعد، وخرج، فشق الصفوف مقبلا ومدبرا. وأشرف سعد من القصر، فنظر، فقال: «لولا أن أبا محجن مقيد، لقلت إن الفارس أبو محجن وهذه فرسي البلقاء».

(٩)

لما هُزم المشركون أقبل أبو محجن راجعاً. فرأته امرأة من المسلمين، فظنت أنه منهزم. فقالت[٧]:

من فارسٌ كرِهَ الطعانَ يُعيرني ٭ [٨]فرساً، إذا نزلوا بمرج الصُّفَّر؟

أي يعيرني رمحه[٩] لأطاعن به عنه. تعيِّره الفرار، تقول: إذا فر الرجال فمعي أن تقاتل النساء.

- البيت في خب فقط.
- في ع والكامل «وقه».
- في لا أبك.
- في امرأة سعد.
- في دكاكين الخمر.
- نقلنا البيت عن غ ١٣٩/٢١ والشعراء والاستيعاب و خ.
- قال الحموي (معجمه) ١٦/٨: «قال خالد بن سعيد بن العاص، وقتل بمرج الصفر:
هل فارس كره الطعان يعيرني ٭ رمحا اذا نزلوا بمرج الصفر
- في غ ٢١ ١٤١ وخب «رمحا».
- كذا بالأصلين والصواب «فرسه» لأن العسكري لم يرو لفظة «رمحا» في البيت.

فقال أبو محجن مجيبا لها:

إن الكرام على الجياد مَقيلُهم[١] ٭ فذرى[٢] الجياد لأهلها و تَعَطَّرى[٣]

هذه كناية لطيفة. «المقيل» فى الأصل حيث يُقيل الرجل. وكثر حتى قيل لموضع الشيء مقيله. و «تعطرى» تطيبى للرجال.

فلما رجع سعد إلى منزله، سأل امرأته عن أبى محجن. فأخبرته بقصته فدعا أبا محجن وقال له: «والله، لا أعاقبك على الخمر أبدا». فقال «وأنا والله، لا أشربها أبدا. إنما كنت أشربها إذ كنتم تطهروننى».

(١٠)

وقال أيضاً:

ألم تَرَنى ودَّعت ما كنت أشرب ٭ من الخمر، إذ رأسى، لك الخيرُ، أشيب

يقال «رجل أشيب»، ولا يقال «امرأة شيباء». واكتفوا بلفظة «الشمطاء».

وكنت أُرَوِّى هامتى من مُعَقَّارها[٤] ٭ إذ الحد مأخوذ وإذ أنا أُضرب

فلما دَرَوا عنى الحدودَ، تركتها ٭ وأضمرتُ فيها الخيرَ، والخيرُ يُطلب

أصل «دروا» درأوا. فترك الهمزة استخفافا. و «الدَّرءُ» الدفع. وفى القرآن الكريم «ويدرأُ عنها العذابَ»[٥].

وقال لىَ النـــدمان، لمـا تركتها: ٭ «أ ألجدُّ هذا منك أم أنت تلعب؟»

---

١ — فى غ وخب «ميتهم». وقال فى خب: «ويروى: مقيلهم».
٢ — فى غ وخب «فدعى الرماح». وقال: «ويروى: فزرى الجياد».
٣ — فى خب «تعفرى». وقال: «ويروى: تعطرى».
٤ — أى من خيارها.
٥ — سورة النور ٨/١.

«الندمان» و «النديم» سواء، وقيل: الندمان جمع وواحد.

وقالوا: «عجيب تركك اليوم قهوة»[١] ، كأنى مجنون وجلدى أجرب

«جلدى أجرب» أى ليس يقربنى الناس كأنى أجرب يخافون منى العدوى.

سأتركها لله، ثم أذمها ، وأهجرها فى بيتها حيث تشرب

(١١)

وقال أيضاً[٢] :

إن كانت الخمر قد عزّت وقد منعت
وحال من دونها الاسلام والحرَجُ

«عزّ الشىء» إذا قلّ و «عز» إذا امتنع. وأصل «الحرج» الضيق. و «حرِجَ الشىء يحرَج حرَجا وهو حرِج» إذا ضاق. وأصله من الحرَجة. وهى الشجر الملتف. ويقال لقلادة الكلب «حِرج». و «الحَرَج والتحرُّج» كراهة الدخول فى الأمر.

فقد أباكرها رِيّاً[٣] ، وأشربها ، صِرفاً، وأطرب أحيانا فأمتزج

أراد: فقد باكرتها وشربتها صرفا. وربما طربت فمزجتها. وكان ينبغى أن يقول: شربتها ممزوجة. وربما طربت فصرّفتها. ولما قاله وجه، وهو أنه إذا طرب مزجها. لئلا تدخله فى السكر. وجاء بلفظ المستقبل وهو يريد الماضى.

---

١ - أى الخمر. وسمت بذلك لأن شاربها يقهى من الطعام أى تقل شهوته له.

٢ - فى العقد ٣/٤٠٧ و ٨/٦٥ (طبع جديد) «ثم حلف بالقادسية أن لا يشرب الخمر، وأنشأ يقول: إن كانت» الخ.

٣ - فى غ ٢١ ١٤١ «صرفا وأمزجها ، ريا — وأمتزج». وفى العقد «صهباء صافية ، طورا وأشربها صرفا وأمتزج». و «الرى» المنظر الحسن.

وقد تقوم على رأسى مغنية[١] ۞ فيها، إذا رفعتْ من صوتها، غَنَجُ[٢]
تُرفع الصوتَ أحيانا وتخفضه[٣] ۞ كما يَطِنُّ[٤] ذباب الروضة الهزِجُ[٥]

« الهزج » الصوت. شبه الغناء بطنين الذباب. وهو رَدِىٌّ. لكن الجيد أن يشبِّه طنينُ الذباب بالغناء كما قال عنترة[٦]:

وخلا الذبابُ بها، فليس ببارح[٧] ۞ غرِداً كفعل الشارب المترنم

(١٢)

وقال أبو محجن أيضا[٨]:

لقد عَلِمَتْ ثقيفُ غير فخر ۞ بأنا نحن أجودها[٩] سيوفا

---

١ — فى غ « معمعة ». ٢ — أى الدلال.
٣ — فى العقد « تخفض — ترفعه ».
٤ — أى يصوت. ٥ — المطرب. يقال مغن هزج.
٦ — هو عنترة بن شداد العبسى صاحب المعلقة من فحول شعراء الطبقة الأولى. كان بصيرا بأساليب الشعر وحسن التصرف فى المعانى. رقيق الشعر. عاش ٩٠ عاما وتوفى قتيلا سنة ٦٠٠ م (٢٢ قبل الهجرة) ترجمته فى ديباجة الديوان للعنانى، والشعراء ٤٢ وغ ١٤١/٧ و ١٤٨/٨ وجمهرة أبى زيد ٩٣ و... ٣٤/١ والمؤتلف ٩٩ و ١٥١ والمرزبانى ٢٤٦ والعينى ٤٧٨/١ وخ ١ ١٦٢/١ والاسعاف ١ ٦٠ ... النصرانية ٧٩٤ وبروكلمان ٢٢/١ وتتمته ٤٥/١.
٧ — كذا فى شرح المعلقات للنحاس ١٥. وشرحها للزوزنى ١١٥. وفى م « بنازح » و « الهزج » ... الديوان ٢١١:

فترى الذباب بها يغنى وحده ۞ هزجا كفعل الشارب المترنم
غردا يسن ذراعه بذراعه ۞ فعل المكب على الزناد الأجذم

قال العنانى فى الشرح: « شبه الذباب، إذا سن إحدى ذراعيه بالأخرى، برجل أجذم قاعد يقدح نارا بذراعيه. وهذا من عجيب التشبيه. يقال: إنه لم يقل أحد فى معناه. وقد عده أرباب الأدب من التشبيهات العقم. وهى التى لم يسبق إليها ولا يقدر أحد عليها ».
٨ — فى غ ١٤٠/٢١ والمروج ٣٢٥/١ « وأقبل أبو محجن (عن ساحة الحرب فى الليلة التى كانت صبيحتها الأرماث) حتى دخل القصر ووضع نفسه عن دابته وأعاد رجليه فى القيد وأنشأ يقول: لقد علمت ... غير فخر الخ ».
٩ — فى المروج ٣٢٥/١ وغ والكامل ٢٠١/٢ « أكرمهم ».

وأكثرها[١] دروعا ضافياتٍ[٢] ٭ وأصبرها[٣] إذا كرهوا الوقوفا

«الضافيه» التامة من الدروع. و «ضفا الشيء يضفو» إذا تم. «وأصبرها إذا هوا الوقوف» فى المعركة، نفروا.

وأنا رِفدهم[٤] فى كل يوم ٭ فان غضبوا[٥]. فسل رجلا[٦] عريفا

«الرفد» العطية. يقول: نحن أصحاب رفدهم. فحذف إيجازا كما قال الله تعالى يحُول بين المرأ وقلبه[٧]، أى يحول بين المرأ وتمنى قلبه. فحذف التمنى إيجازا. «العريف» العارف مثل العليم والعالم. وروى «عَروفا».

[٨][وليلةَ قادسٍ لم يشعروا بى ٭ ولم أُكره[٩] لمخرجى الزحوفا
فان أُحبَس، فقد عرفوا[١٠] بلائى ٭ وإن أطلق، أجرعهم حتوفا[١١]]

(١٣)

وقال أبو محجن أيضا:

عَمِى الذى أهدى لكِسرى جيادَه ٭ لدى الباب منها مرسَل ووُقوفُ
عشيةَ لاقى المُترجُمـان ورتّبه ٭ فأدّاه فردا والوفود عُكوف

١- ل ع والكامل «أكثرم». وفى المروج «أكرمهم».
٢- وبها «سابغات».
٣- وبها «أصبرهم».
٤- ل المروج والكامل «وفدهم».
٥- ل غ «جحدوا». وفى المروج «عتبوا». وفى الكامل «عموا».
٦- ل ع والمروج والكامل «بهم».
٧- سورة الأنفال ٣/٥.
٨- زيادة البيتين من المروج والكامل وخب.
٩- ل الكامل وخب «أشعر».
١٠- ل المروج والكامل «فذلكم».
١١- ل المروج والكامل «أترك أذيقهم الحتوفا».

«ربه» يعنى الملك كسرى. «فأداه» أى أدخله وحده إلى الملك، «عرِ من الوفود وقوف لا يؤذن لهم. و«العكوف» جمع عاكف. وهو اللازم لموضعه. ومنه الاعتكاف. «عاكف وعكوف» مثل جالس وجلوس. «ع الذى ذكره هو غَيلان بن سَلَمة الثقفى رضى الله عنه[1].

أخبرنا أبو أحمد الحسن بن عبد الله، عن الجلودى، عن المغيرة بن محمد، عن إبراهيم بن محمد ابن عبد الرحمن، عن العُتبى، عن أبيه، قال[2]:

خرج أبوسفيان بن حرب فى جماعة من قريش وثقيف، يريدون بلاد كسرى بتجارة. فلما ساروا ثلاثا، قال أبو سفيان:

«إنا فى مسيرنا هذا لعلى خطر، لأنا نقدم على ملك لم يأذن لنا فى القدوم عليه، وليست بلاده لنا بمتجر. فأيكم يذهب؟ فان أصيب فنحن براء من دمه وإن يغنم، فله نصف الربح».

فقال غيلان بن سلمة الثقفى: أنا أمضى بها». وقال:

فلو[3] رآنى أبو غيلان، إذ حسرتْ[4] ٭ عنى الأمور بأمر ما له[5] طبَق[6]
لقال: رَغْبٌ[7] ورهب أنت بينهما[8] ٭ حب الحيوة وهول النفس والشفق

١ — هو شاعر مقل. أحد حكام قيس فى الجاهلية وأحد من نزل فيه «على رجل من القريتين عظيم» ب ديوانه أبوسعيد السكرى ويعد فى الفحول. ليراجع غ ١٢/٤٦ والاستيعاب ٢/٥١٧ وأسد الغابة ٤ / ١٣ الاصابة ٥/١٩٢.
٢ — والرواية توجد فى الأوائل ٢٢٧ الف وب..
٣ — فى غ «ولو».
٤ — أى انكشفت.
٥ — فى غ «إلى أمر له».
٦ — أى الغطاء.
٧ — فى غ و الاصابة «رعب» وفى الأوائل «رحب».
٨ — فى غ «يجمعان معا».

إما مُسيف[١] على مجد ومكرُمة ٭ أو أسوة لك فى من[٢] يُهلك الورِق

خرج فى العير. وكان أبيض طويلا جدا. فتخلق ولبس ثوبين أصفرين، شهر نفسه، وقعد بباب كسرى حتى أذن له. فدخل عليه وشباك من الذهب نه وبينه.

فقال له الترجمان: «يقول لك الملك: ما أدخلك بلادى بغير إذنى؟»

فقال: «لست من أهل عداوة لك. ولم أكن جاسوساً. وإنما حملت تجارة. ن أردتها فهى لك؛ وإن كرهتها رددتها».

قال: فانه ليتكلم، إذ سمع صوت الملك، فخر ساجدا. فقال له الترجمان: يقول لك الملك: ما أسجدك؟».

قال: «سمعت صوتا مرتفعا حيث لا ترتفع الأصوات. فظننته صوت الملك، سجدت».

قال فشكر ذلك له وأمر له بنُمرُقة[٣] توضع تحته. فرأى فيها صورة الملك. وضعها على رأسه.[٤]

فقال له الترجمان: «الملك يقول: إنما بعثنا بها إليك لتقعد عليها».

قال: «قد علمت ولكن رأيت عليها صورة الملك. فوضعتها على أكرم أعضائى».

١- ل غ «بقيت» وفى الاصابة «مشف». و المسيف المتقلد السيف و الشجاع.
٢- ل ع والأوائل والاصابة «يهلك»
٣- بضم الأول والثالث وسكون الثانى، الوسادة الصغيرة يتكأ عليها. وفى الاصابة «بمرفقة». وهى المتكا.
٤- الخبر مذكور فى غ ٤٦/١٢ باختلاف يسير. وعنه وعن الأوائل فى الاصابة ١٩٣/٥. وفى الاستيعاب ٥١٧/٢ واسد الغابة ١٧٢/٤ والاصابة «قال: هو ممن وفد على كسرى وله معه خبر عجيب. قال له كسرى ذات يوم: «أى ولدك أحب اليك؟» قال: «الصغير حتى يكبر، والمريض حتى يبرأ، والغائب حتى يئوب» فقال له كسرى: «زه! ما لك ولهذا الكلام؟ هذا كلام الحكماء، وأنت من قوم جفاة لا حكمة فيها. فما غذاؤك؟» قال: «خبز البر»: قال: «هذا العقل من البر. لا من اللبن والتمر».

فقال له: «ما طعامك فى بلادك؟».

قال: «البر».

فقال: «هذا عقل البر».

ثم اشترى منه التجارة بأضعاف ثمنها، وبعث معه من بنى له أُطماً[1] بالطائف فكان أولَ أطم بُنى بالطائف.

(١٤)

وقال أبو محجن أيضا:

[2]وإنى. وما صاحت يهودُ وطرّبت ☆ ثلاثَ ليال بالحجاز لَحادِرُ
ولو لا ابنة الحَبر اليهودى، قد حدا ☆ بأجمالنا فى نَقب جُسمان جائرُ

«النقب» الطريق فى الجبل، وجمعه «نقاب وأنقاب». و «الجائر» المائل عن الطريق[3].

يقول: لو لا هذه. لخرجنا على غير قصد، كأنهم كانوا خائفين. و «طربت له اليهود» يعنى التوراة.

تقول ابنة الحبر اليهودى: «ما أرى ☆ أبا محجن إلا وللقلبُ ذاكرُ»
فان ابنة الحبر اليهودى تيّمت[4] ☆ فؤادى، فهل لى من سُمَيّة زاجرُ

١ — أى حصنا.
٢ — الواو سقطت عن خب وم.
٣ — قال الفاضل السورتى فى هامش خب: «الحادى الجائر. والعرب تحبه، لأنهم يقولون إن السير [illegible] بذلك. والله أعلم».
٤ — أى عبدت وذللت فؤادى بحبها.

(١٥)

قال الشيخ أبو هلال: أنشدني أبو القاسم الكاغدي، عن العَقَدي، عن أبي نغر. عن المدائني هذه الأبيات لأبي محجن.

وتروى[1] لسُحَيم عبد بني الحَسحاس[2].

تمنيتُ أن ألقاهما وتمنتا[3] ◦ فلما التقينا استحينا[4] من مُناهما
بكت هذه وانهلّ أُدمعُ[5] هذه ◦ وفاضت دموعي في عراض[6] بكاهما
هما سقتاني السمّ يوم توَلّتا ◦ جزاني إلهي عنهما وجزاهما

انهل الدمع واستهل، إذا انصب. وقال: «في عراض بكاهما» أي في مذهب دموعهما. ويقال: «صنعت هذه القصيدة في عراض قصيدة فلان» أي على وزنها ورَويّها.

(١٦)

وقال أيضاً:

إذا مت[7] فادفنّي إلى أصل[8] كرمة ◦ تروّي عظامي في التراب[9] عروقها

١- بهامش الاصل «خ: رويت».
٢- والأوليان موجودتان في الديوان بتحقيق أستاذي العلامة. وترجمته في الدياجة والشعراء ٩١ وغ . ٢/٢ والمؤتلف ١٣٧ و السمط ٧٢١/٢ و الفوات ٢١٣/١ و العيني ٦٦٥/٣ و خ ٨٧/٢ (طبع جديد) و بروكلمان ١٤٢/١ وتتمته ٧١/١.
٣- في د «تمنيا».
٤- في د «استحييا». ٥- في د «أرمض مدمع». ٦- في د «وأذريت دمعي في خلال».
٧- في خ ٣ ٥٥٢: «قال ابن السكيت: قوله إذا مت. هذا خطاب مع ابنه يأمره بذلك. وفيه مبالغة على حبه الخمر و تعطشه إليها، إذ أظهر الرغبة إليها وهو ميت».
وقال الدميري ٥٦٢/٢: «وذكر ابن خلكان وغيره أن أحق بيت قاله العرب هو إذا مت الخ».
٨- كذا في الشعراء ٩٧ و العيون ٣٨/١ وغ ١٤٠/٢١ و١٤٣ وابن الشجري (اماليه) ٢٥٣/١ و الكامل ٢٠١/٢ وحب و م. وفي العقد ٤٠٧/٢ و ٦٥/٨ (طبع جديد) «ظل». وفي الطبري (تفسيره. لكن بدون عزو) ٢٦١/٢ و ٣٧/٥ و المروج ٣٢٥/١ و غ ١٤٢/٢١ و البصائر ٧٥. و الاستيعاب ٦٦٣/٢ و الطبرسي (تفسيره) ٣٢٨/١ وأسد الغابة ٢٩١/٥ والقرطبي (تفسيره) ٥٦/٣ والحموي (معجمه) ٢٨٣/٣ والراغب (محاضراته) ٤١٤/١ والنهاية ٢١٦/٣ والدميري ٥٦٢/٢ وإحدى روايتي العسكري والاصابة (ك) ٣٢٨/٤ و (م) ١٧١/٧ والنويري ١١٧/٤ و خ ٥٥٠/٣ و ٥٥٥ «جنب».
٩- كذا في النهاية وفي العيني ٣٨١/٤ «في الممات». وفي العيون والشعراء والطبري والعقد والمروج وغ والاستيعاب والبصائر والطبرسي وأسد الغابة والكامل والحموي والقرطبي والدميري والاصابة والنويري وخ وإحدى روايتي العسكري «بعد موتي».

ولا تدفنَنّي بالفلاه[1]، فانني ٥ أخاف[2] إذا مامت[3] أن لا[4] أذوقها[5]

[وترِوى بخمر الحُصّ[6] لحدى فانني ٥ أسير لها من بعد ما قد أسوقها]

أُباكرها عند الشروق وتارة ٥ يعاجلنى بعد العشى[7] غَبوقها[8]

« الغبوق » شرب العشى و « الصبوح » شرب الغداة. ويقال « صبّحه يصبّحه وغبَقه يغبِقه واغتبق واصطبح ».

وللكأس والصهباء حظ منعم[9] ٥ فمن حقها أن لا تضاع حقوقها[10]

« حظ منعم » أى منعم صاحبُه. فحذف كما قال الله سبحانه وتعالى « واسأل

١ — كذا فى الطبرى والصائر و ديوان الأعشى ٣٥١ و الاستيعاب والحموى. وفى العيون والشعراء و...
٥٧،٥ والعقد والطبرسى والنهاية والدميرى والعينى والبحر ٣/ ٢٤١ والويرى و خ « فى الفلاة ».

٢ — فى خ ٣ ٥٥٢ « يقينا » وهو رواية ابن السكيت فى الشرح. ومعنى « أخاف » أعلم كما فى الصرى

٣ — فى العيون « وراء الموت ».

٤ — فى ح « لست ».

٥ — فى خ: « قال ابن السكيت، الفلاة الأرض المهلكة التى لا علم بها ولا ماء. والمعنى أن الفلاة لا ... كرم. فلا تدفنى إلا بمكان ينبت فيه العنب حتى أكون قريبا منه فألتذ بذلك ».

٦ — الزيادة من غ و الحموى وحب. وقال الحموى: « الحص موضع بنواحى حمص تنسب إليه الخمر ». وفى غ « ليروى — لحمى ». وفى الحموى « تروى » بضم التاء.

٧ — فى ح ٣/ ٥٥٢ « عند المساء ».

٨ — و فى خ: « قال ابن السكيت، قوله أباكرها أى إنى أصبحها عند شروق الشمس. ومرة أشربها عند... أنى أقدم شربها على العشاء، فيعاجلنى الغبوق. و « الصبوح » شرب الغدو و « الغبوق » شرب ... و « أباكرها » أبادر إليها فى بكرة النهار.

٩ — بهامش الأصل « نسخة: حق ». وفى خ « حق معظم ».

١٠ — فى خ: « قال ابن السكيت: حقها كونها تسر القلب وتذهب الهم وتسخى البخيل وتشجع الجبان ... من مثلها. وهذا حق لها. وإذا كان هذا دأبها فمن حقها أن تعظم ولا تضيع حقوقها.

وقال ابن الملا: فان قلت: حق الكلام أن يقول. ومن حقها أن لا تضاع حقوقها لادعائه ... المعظم الكأس والصهباء. قلت: نعم. إلا انه ذهب إلى أن الكأس والصهباء وإن كانا شيئين ... الواحد. واستلمح ذلك من قول القائل:

رق الزجاج، وراقت الخمر ٥ وتشاكلا، فتشابه الأمر
فكأنما خمر ولا قدح ٥ وكأنما قدح ولا خمر

قال البغدادى: وفيه أن هذين البيتين لأبى إسحق الصابى. وهو متأخر عن أبى محجن ... ثلاث مائة سنة. وكان ينبغى أن يعكس ».

القرية[1]، أى أهل القرية.

اقَوِّمُها زِقًا بِحِقٍّ بذاكُمُ[2] ٭ يُساق إلينا تجرها[3] ونسوقها[4]

«الحق» من الابل ابن ثلاث سنين. والأنثى «حقه». وسمى بذلك لأنه استحق أن يُحمل عليه.

يقول: أشترى زقا بحق، ولهذا تحمل إلينا الخمر لأنا نربح حاملها. و «التجر» جمع تاجر مثل صَحب وصاحب.

وعندى على شرب العُقار[5] حفيظة ٭ إذا ما نساء الحى ضاقت حلوقها[6]

وأعجلن عن شد المآزر وُلَّهاً ٭ مُفتَّجعةَ الأصوات قد جفَّ ريقها[7]

وأمنعُ جار البيت مما ينوبه ٭ وأُكرِم أضيافاً قراها طروقها[8]

«الوله» ههنا جمع والهة. وهى التى تحيرت من الفزع. و «أعجلن عن شد المآزر» من فزع الغارة.

١ – سورة يوسف ٣/٢.

٢ – فى غرائب القرآن ٢/٣١٥ «زقا بحق بذلكم» وفى خ «بداكم».

٣ – فى ح «لجرها وفسوقها». وهى رواية ابن السكيت.

٤ – فى ح: قال ابن السكيت، الزق بالكسر ظرف الخمر. والحق بالكسر من الابل ابن ثلاث سنين. وكذلك الحقة. وسميا بهذا الاسم لأنها استحقا أن يركبا. و «لجرها» لجورها. والفاجر المائل عن الطاعة. و «الطاعة» الوقوف على الأوامر و «الفسوق» توسيع ما ضيقه الله من أمر الدين.

٥ – فى خ «المدام».

٦ – فى خ: «قال ابن السكيت، «الحفيظة» كل شىء يغضب لاجله. يعنى، وإن كنت سكران، لا أهمل الحفظ إذا استغاثت بى نساء الحى وصحن لنازلة نزلت بهن».

٧ – فى ح: «قال ابن السكيت، أى دهمهن من البلاء ما أعجلهن عن شد المآزر فى أوساطهن. و «ولها» مفعول من أجله، أى للوله الذى نزل بهن. و «الواله» الذاهب العقل. و «المفجعة» التى نزل بها ما أغاها وأفزعها. و «جف ريقها» أى يبس».

قال البغدادى: «والصواب أن «ولها» حال لا مفعول من أجله».

٨ – فى خ: «قال ابن السكيت، «قراها» أطعمها. يقول: إذا طرقتنا الضيفان ليلا، أعجلنا لها القرى، فكأن طروقها هو الذى قراها».

يقول: إنى أشرب هذه الحال.

و «الحفيظة» الغضب. وهى ههنا المحافظة على شرب الخمر. وقال: «قوص طروقها» أى قرناها عند طروقها. و «الطروق» الاتيان ليلا.

تم شعر أبى محجن بأسره والحمد لله وحده. وكتبه محمد محمود بن التلاميد لطف الله به. ١٧ رمضان عام ١٢٩٥ هـ. ثم وقفه على عصبة بعده وقفاً مؤبداً فمن بدله فاثمه عليه.

نقلته من خط ياقوت. ولفظه «كتبه ياقوت المستعصمى. سنة إحدى وثمانين وستمائة. حامدا لله تعالى على نعمه ومصليا على نبيه محمد وآله وصحبه ومسلما.

أقول: وقد نقلت هذه النسخة من نسخة ابن التلاميد، فى يناير سنة ١٩٣٩ م. وأنا العبد إمتياز على عرشى، ناظم المكتبة الرامفورية، برامفور، الهند.

الاستدراك

(١)

قال الآمدى فى المؤتلف[١]: وهو القائل:

لما رأينا خيلا محجّلة ☆ وقومَ بغيٍ فى جَحفلٍ لَجِبِ

«الجحفل» الجماعة. و «لجب» من اللجب، وهو ارتفاع الصوت. يقال «لجب القوم» إذا صاحوا وألجبوا.

١ — المؤتلف ٩٥ و ٩٦ و خ ٥٥٦/٣ عنه (وقال: «لم يروه ابن الأعرابى و ابن السكيت فى ديوانه») وفيه: «ولعله قالها يوم القادسية».

طِرنا إليهم بكل سَلهَبَةٍ ٭ وكلٍّ صافى الأديم كالذهب

يعنى « بكل سلهبة » فرسا طويلا. والعرب تحبه. وصفاء أديم الفرس أيضا ...ود عندهم.

وكلٌّ عرَاصةٍ مُشقَّقَةٍ ٭ فيها سنانٌ كشعلة اللهب

«العراص» البرق المضطرب الكثير اللمعان. والمراد الرمح.

وكلٌّ عَضب فى متنه أثر ٭ ومَشرفى كالملح ذى شُطب

«العضب» السيف القاطع. و «الأثر» بسكون الثاء جوهر السيف، وهو ...يد. وإذا قلت بالتحريك، فتريد به أثر الجراحات. و «المشرفى» منسوب إلى ...رى من أرض العرب تدنو من الريف، اسمها «مشارف الشام». ومنها ...سيوف المشرفيه. وقيل: إن النسبة إلى موضع فى اليمن لا إلى مشارف الشام. و «الشطب» جمع شطبة. وهى الخط فى متن السيف ونحوه.

وكلٌّ فضفاضة[1] مضاعفة ٭ من نسج داوُد غيرِ مؤتشب

يعنى بالفضفاضة الدرع الواسعة. والمضاعفة من الدروع التى ضوعف حلقها ...نسجت حلقتين حلقتين. و «المؤتشب» المختلط. يقال «نسب مؤتشب» للنسب المخلوط الغير الصريح. و «داوُد» نبى الله الذى علمه الله صَنعة لَبوس لنا[2].

لما التقينا، مات الكلام و دا ٭ ر الموتُ دورَ الرحىٰ على القطب

يعنى بموت الكلام سكوت المقاتلين.

فكلنا يستكيص[3] صاحبُه ٭ عن نفسه، والنفوس فى كُرَب

١ – ل المؤلف «مفاضة» مصحفا.
٢ – سورة الانبياء ٨٠/٢١.
٣ – ل المؤلف «يستليس» وفى خب «يستليص».

«يستكيص» من كاص يكيص كيصا، إذا عجز عن الشيء.

إن حملوا، لم نَرِم مواضعَنا ⁂ وإن حملنا، جَثَوا على الرُكَب

«لم نرم» من رام يريم رَيما. يقال «رام المكان ومنه» إذا زال عنه وفارقه و «رام بالمكان» إذا أقام وثبت. ويقال «ما رام يفعل كذا» اى ما زال و «جثوا» أي جلسوا.

(٢)

قال أبو عثمان الجاحظ فى البيان والتبيين[١]: قال أبو محجن الثقفى:

ألم تسال فوارسَ[٢] من سُليم ⁂ بنضلةَ وهو موتور مُشيحَ[٣]

«بنضلة» أي عن نضلة. ومنه قولهم «سل به خبيرا» اى سل عنه. و «موتور» من «ووتَرت الرجل» إذا قتلت حميمه فأفردته منه. و «مشيح» يعنى الجاد فى الأمور.

رأوه فازدَروه وهو خِرق ⁂ وينفع أهله الرجل القبيح

«ازدروه» إحتقروه واستخفوا به. وفى القرآن العزيز «ولا اقولَ للذين تزدرى أعينكم[٤]» أى تحتقرونهم. و «خرق» هو الفتى الحسن الكريم الخليقة.

فلم يخشوا مصالته عليهم ⁂ وتحت الرغوة اللبن الصريح

يقال صال على قرنه يصول صولا ومصالة اذا سطا عليه وقهره حتى يذل له.

١ — البيان ١٤٦/٢، والراغب (محاضراته) ١٧٦/١، لكن من غير عزو إلى أحد. ونقد الشعر ٧٣ والصفحة ٧٨، البيت الثانى فقط من غير عزو.

٢ — الراغب، «تسل الفوارس».

٣ — فيه «يشيح».

٤ — سورة هود ٣١/٣.

الرغوة» (مثلثة) زبدة اللبن.

فكَرَّ عليهم بالسيف صلتاً ⁘ كما عَضَّ الشبا الفرسُ الجموح

تقول العرب «ضربه بالسيف صلتا وصلتا» إذا ضربه به وهو مُصْلَت (بفتح م) أى مجرد من غِمده. و «عض» أمسك بالأسنان. و «الفرس الجموح» ى إذا حمل لم يُردّه اللجام. قال الأزهرى: «له معنيان: أحدهما ذم يُردُّ منه ب. والثانى أن يكون سريعا نشيطا، وهو ليس بعيب.

وأطلقَ غُلَّ صاحبه. وأردى ⁘ جريحا منهمُ ونجى جريح

«الغل» طوق من حديد أو قِدّ يحمل فى العنق أو فى اليد. والجمع أغلال وغلول.

(٣)

قال أبو الفرج الاصبهانى[١]: أتى عمر ابن الخطاب رض بجماعة، فيهم أبو محجن نفى. وقد شربوا الخمر. فقال: «أ شربتم الخمر بعد أن حرمها الله ورسوله؟» قالو: «ما حرمها الله ولا رسوله. إن الله تعالى يقول، ليس على الذين آمنوا عملوا الصالحات جُناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات[٢]». فقال ر لأصحابه: «ما ترون فيهم؟» فاختلفوا فيه. فبعث إلى على بن ابيطالب رض ستوره. فقال على رض «إن كانت هذه الآية كما يقولون، فينبغى أن يستحلوا الميتة

---

[١] ج ٢١ ١٤٢. وفى خبر الأبيات فقط. وقد عزاها الطبرى (تاريخه) ٢٢٣/٤ والبداية ٩٢/٧ الى ابن أبى جمرا القشيرى، وصرحا بأنه قال ذلك فى ضرار بن الازور وأبى جندل. وكان قد أصابا الشراب فى سنة ١٨ هـ (٦٣٩ م) مع نفر من المسلمين وتأولوا وقالوا «قد خيرنا فاخترنا. قال الله تعالى فهل أنتم منتهون ولم يعزم علينا». فكتب بذلك أبوعبيدة إلى عمر بن الخطاب، فأجاب بأن يدعو بهم ويسألهم: حرام الخمر أم حلال؟ فان قالوا حرام، فاجلدهم ثمانين جلدة واستتبهم. وإن قالوا حلال فاضرب أعناقهم». فدعا بهم فسألهم. فقالوا «بل حرام». وقالوا: جاشت الروم. دعونا نغزوهم. فان قضى الله لنا الشهادة فذلك. وإلا عمدت للذى تريد». فاستشهد ضرار فى قوم وبقى الآخرون فحدوا».

[٢] سورة المائدة ٩٢/٢.

والدم ولحم الخنزير». فسكتوا. فقال عمر لعلى: «ما ترى فيهم؟» فقال: «أرى، إن كانوا شربوها مستحلين لها، أن يقتلوا. وإن كانوا شربوها وهم يؤمنون أنها حرام، أن يحدوا». فسألهم، فقالوا: «والله، ما شككنا فى أنها حرام ولكنا قدرنا أن لنا نجاة فيما قلناه». فجعل يحدهم رجلا رجلا وهم يخرجون. حتى انتهى إلى أبى محجن. فلما جلده، أنشأ يقول:

ألم تر أن الدهر يعثر بالفتى ٭ ولا يستطيع المرأ صرف المقادر[1]

يقال «عثر بهم الزمان» إذا جار عليهم وغدر بهم. و «صرف المقادر» نوائب الدهر وحدثانه.

صبرت[2]، فلم أجزع ولم أك كائعاً[3] ٭ لحادث دهر فى الحكومة جائر

«كائع» من كاع يكيع كيعا وكيعوعة عنه، إذا جبن عنه وهابه. و «جائر» من الجور. قال مولانا السورتى رحمه الله «كذب. ليس بجائر. بل هو الصحيح الذى لا جور فيه ولا ظلم. إنما هو بدل عن سوء»[4].

وإنى لذو صبر وقد مات إخوتى ٭ ولست عن الصهباء يوما بصابر
رماها أمير المؤمنين بحتفها ٭ فخلانها يبكون حول المعاصر[5]

«رماها بحتفها» من قولهم «رماه بكذا» إذا عابه واتهمه. و «الحتف» الموت و «الخلان» جمع الخليل وهو الصديق. و «المعاصر» جمع المعصر وهو مكان العصر.

---

١ — فى الطبرى والبداية «وليس على صرف المنون بقادر».
٢ — فى الطبرى والبداية:
صبرت ولم أجزع وقد مات إخوتى ٭ ولست عن الصهباء يوم بصابر وفى خب «ضرت».
٣ — فى خب «جازعا».
٤ — حاشية خب ٢ ب.
٥ — فى البداية «المقاصر».

(٤)

قال ابن قتيبة[١]: قال أبو محجن الثقفي:

إن يكن ولى الاميرُ، فقد ٭ طاب منه النجل والأثرُ

«النجل» الولد و «الأثر» ما بقى من رسم الشيء.

فيكم، مستيقظ فَهِمٌ ٭ قُلقُلانٌ حية ذَكَر

«الفهم» السريع الفهم. و «القلقلان» شجر أخضر ينهض على ساقه. منابته كان دون الرياض. يقول: هو خفيف مضطرب اضطراب الحية مشمر الحرب.

أحمد الله العظيم، فما ٭ وصلة إلا ستنبتر[٢]

«الوصلة» الاتصال والعلاقة. و «ستنبتر» من انبتر إذا انقطع. يقول: كل علاقة ستنقطع بالموت.

(٥)

قال سيبويه فى كتابه فى النحو[٣]: قال أبو محجن:

يا رُبَّ مِثلِكِ فى النساء غريرةٍ ٭ بيضاء قد متّعتُها بطلاق

١- الشعراء ٩٨.

٢- ل ح «ستنبتر».

٣- كتاب سيبويه ٣١٢/١ و ٣٥٠ و شرح المعلقات للنحاس ١٣١ الف ولم يعزه إلى أحد. ونسبه بالهامش إلى أبي محجن. وخب ٤ الف. وقال: «هكذا قال سيبويه و الأعلم وغيرهما. وذكر بعض شراح المفصل أنه لغيلان بن سلمة الثقفي. والله أعلم». وروى السكرى أن غيلان لما أسن وكثرت أسفاره، ملته زوجته وتعتت عليه وأنكر أخلاقها فقال: فيا يارب الخ. وبعده:

لم تدر ما تحت الضلوع وغرها ٭ منى تحمل عشرتى وخلاقى

«الضلوع» جمع ضلع، وهى عظم مستطيل من عظام الجنب منحن.

قال النحاس: «الغرة» الغفلة. ومنه امرأة غريرة.

(٦)

قال أبو الفرج الاصبهانى[١]: قال ابن الأعرابى. حدثنى ابن دأب بسبب و... عمر إياه. فذكر أن أبا محجن هوى امراة من الأنصار يقال لها شموس. فحاول النظر إليها بكل حيلة. فلم يقدر عليها. فآجر نفسه من عامل يعمل فى حائط ... جانب منزلها. فأشرف من كُوَّة فى البستان، فرآها. فأنشأ يقول:

ولقد نظرت إلى الشموس ودونها ٭ حرج من الرحمن غير قليل
قد كنت أحسبنى كأغنى واحد ٭ ورد المدينة عن زراعة فول

و «الفول» حَب صغير ويقال له الباقلى أيضا.

(٧)

وقال الاصبهانى:[٢] حدثنى هذا الخبر عمى عن الخزاز عن المدائنى عن إبراهيم بن حكيم عن عاصم بن عروة، أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه غرّب رجلا من ثقيف، وهو أبو محجن، وكان يُدمن الخمر، وأمر ابن جهراء النصرى رجلا آخر أن يحملاه فى البحر. وذكر الخبر مثل الذى قبله. وزاد فيه. وقال أبو محجن أيضاً:

---

١ — غ ١٣٨/٢١. وفى الاصابة (ك) ٣٢٧/٤ و (م) ١٧١/٧ الأول فقط. وفى اللسان ١٥ ٣٥٨ ... الأخفش لأبى محجن الثقفى: قد كنت — نزل — فوم. وهو الحنطة:. والبيت يوجد فى الصحاح ... والبحر ٢١٩/١ والشوكانى (تفسيره) ٧٦/١ من غير عزو إلى أحد. وقال الطبرى (تفسيره) ١ ٣٦٧ ... تفسيره ١٢٢/١: إن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما سئل عن قول الله تعالى «وفومها» قال الحنطة سمعت قول أحيحه بن الجلاح:

قد كنت أغنى الناس شخصا واحد ٭ ورد المدينـة عن زراعـة فوم

أقول: وظنى أن اللامية لأبى محجن والميمية لأحيحة. والرواة قد خلطوا البيتين ومزجوهما.

٢ — غ ١٣٨/٢١.

صاحبا سوء صحبتهما ∘ صاحباى[1] يوم أرتحلُ
ويقولان ارتحلْ معنا ∘ وأقول: إننى ثَمِلُ

«الثمل» من أخذت فيه الخمر وأثرت.

إننى باكرت مُترَعةً ∘ مزة راوُوقُها خَضِلُ

«مترعة» من أترع الاناء، إذا ملأه. و «المزة» والمز والمزاء الخمر اللذيذة الطعم. و «الراووق» الكأس وإناء يرَوَّق فيه الشراب. و «خضل» من خضِل يخضَل خضلا، إذا ندى وابتل.

(٨)

وقال فى تركه الخمر[2]:

رأيت الخمر صالحة[3]، وفيها ∘ خصال[4] تفسد[5] الرجل الحليما[6]
فلا والله أشربها صحيحاً[7] ∘ ولا أشفى[8] به أبداً سقيما[9]
ولا أعطى بها ثمنا حياتى ∘ ولا أدعو لها أبداً نديما

١– فى حـ. «صاحباى».
٢– ع ٢١ ١٤١ والسمط ٤٨٨/١ والقرطبي (تفسيره) ٥٦/٣ والتلقيح ٢٣٤ والاصابة (ك) ٣٢٨/٤ و (م) ٧ ١٧١ والشوكانى ١٩٥/١ وخب ٦ الف.
٣– فى أدب النديم ٥ «مصلحة».
٤– فى غ والسمط والاصابة وخب «مناقب»، وفى التلقيح «مثالب»، وفى رواية غير أبى على «مصائب».
٥– فى ع والاستيعاب والاصابة وخب «تهلك».
٦– فى الأوائل «الحكيما»، وفى السمط وأدب النديم «الكريما».
٧– فى ع والاستيعاب والسمط والاصابة وخب «حياتى».
٨– فى ع «أسقى» وفى خب «شفى».
٩– فى ع «نديما».

فإن[1] الخمر تفضح شاربيها ٭ وتجنيهم بها الأمر العظيما[2]

(٩)

وقال أيضاً[3]:

هابت الأعداء جانبنا ٭ ثم تغزونا بنو سلمه
وأتانا مالك بهم ٭ ناقضاً للعهد والحُرمة
وأتونا في منازلنا ٭ ولقد كنا أولى نقمه

---

١ — في أدب النديم «لأن» وفيه بعد هذا البيت :

«إذا دبت حمياها، تعلت ٭ طوالع تسفه الرجل الحليما»

وليس الثاني والثالث.

٢ — نسبه أبو علي القالي في أماليه لصفوان بن امية. وتبعه البكري في السمط. قال أستاذي العلامة الميمني محشي السمط : «المعروف أنهما من أبيات لقيس بن عاصم كما في أدب النديم لابن كشاجم ٥ وأوائل العسكري (أول من حرم الخمر) في خبر والنويري ٨٨/٤ (أقول وفي التلقيح والقرطبي أيضا). ولكن ... ١٤٩/١٢ له وفي ١٤١/٢١ لأبي محجن كما في المثل السائر ٤٠٧. فتحصل أن لم ينسبها أحد لصفوان فيما علمت».

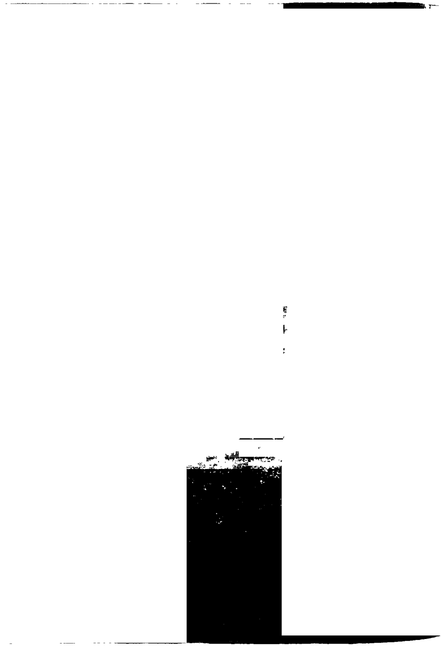
أقول : «وقال أبو عمرو في الاستيعاب : روى ابن الأعرابي عن المفضل الضبي، قال: قال أبو عمرو في تركه الخمر — رأيت الخمر الخ (البيتان) وأنشد غيره هذه الأبيات لقيس ابن عاصم». ولم ... والاصابة.

٣ — لم اجد هذه الأبيات في غير حب.

نموذج من الفن الرسم المغولى

أمر شاه جهان بصنع هذا العرش الفخم الجميل الذى كان آية من آيات الفن الهندى فى التصميم الصناعى. وقد كان العرش من الذهب مرصعا بالجواهر الكريمة وعلى رأسه طاؤوسان مصنوعان من الذهب قد نشرا ذنبيهما، وزينا بالأحجار الكريمة التى توافق ألوانها، الألوان التى جملت بها الطبيعة الطاؤوس. وقد وصف المؤرخون والفنانون هذا العرش بأنه لم يوجد له نظير فى العالم. وقدروا ما أنفق عليه من المال بستة ملائين من الجنيهات.

«تخت طاؤوس»



الامبراطور شاه جهان على عرشه «تخت طاؤوس»

من أخبار الهند الثقافية

بلغ عدد زجاجات الحبر التي استخدمت فى الأعمال الكتابية المتعلقة
انتخابات العامة الماضية ٣١٦٫٠٠٠ زجاجة، سعة كل منها خمس سنتيمترات
مة. ثمنها ١٨٤٫٤٠٠ روبية.

* * *

ألفت هيئة إذاعة عموم الهند لجانا استشارية للبرامج فى جميع مراكزها بالأقاليم.
غرض منها معاونة الاذاعة فى معرفة رأى الشعب فى البرامج. هذا وستقام فى
ن المدن الهامة مثل بومباى، وكلكتا، وبنكلور، وإلهآباد خمس أو ست
طات بقصد تحسين الالتقاط فى الأقاليم. أما فى دلهى حيث يوجد المركز
يسى للاذاعة فستنشأ محطتان أو ثلاث، قوة كل منها مائة كيلو وط لاستخدامها
إذاعات البرامج الداخليه والخارجية. والمفهوم أن جميع هذه المحطات سيتم
كيبها فى ظرف عامين أو ثلاثة.

* * *

بلغ ما دفعته الحكومة المركزية لتسع من الولايات المعروفة بولايات حرف
... خلال سنة ١٩٤٩—١٩٥٠ المالية، ٥٫٩٦٥٫٧٦٥ روبية. لتشجيع
تعليم فيها.

* * *

بدأت جامعة «أنامالى» بجنوب الهند مشروع التوسع الزراعى الذى يرمى إلى
تعليم أربعين فلاحا فى كل سنة أصول الزراعة الحديثة، وكيف يمكنهم زيادة
ريع أرضهم. وقد خصصت الجامعة ١٦٠ فدانا توزع على الفلاحين الأربعين
ليجربوا عمليا ما يتلقون نظريا من المعلومات، على أن تتقاسم معهم انتاج

الأرض آخر العام، ويحل غيرهم محلهم في العام التالي، وحتى إذا ما عاد هؤلاء إلى قراهم، كانوا نماذج حية لما يجب أن يكون عليه المزارعون فيقتدون بهم.

° ° °

قررت لجنة التصميمات تأليف جمعية خاصة بالاصلاح الاجتماعي لا يشتغل أعضاؤها بالسياسة، وينضم إليها الأعضاء بملء اختيارهم على أن يكونوا من المؤمنين بمبدأ عدم العنف. وستكون مهمة الأعضاء خدمة أفراد الشعب والعمل على رفع مستوى معيشته، وصحته، وزيادة انتاج الطعام، وتهيئة أذهان الشعب نحو الاصلاحات الاجتماعية. وتتراوح مدة التطوع بين سنة وخمس سنوات.

° ° °

افتتح وزير معارف الهند في الشهر الماضي المعهد الصناعي في كهركپور. وذلك تدعيما للابحاث العلمية الحالية، وقدمت المعونات الضرورية لاثنتي عشرة جامعة كما أدخلت في المدارس الصناعية المختلفة علوم وصناعات جديدة مما يحتاج إليه كل أقليم. فتتم بذلك الرابطة بين العلم والحياة العملية.

° ° °

اهتمت الحكومة المركزية اهتماما كبيرا بتعليم العميان. فألفت لجنة وصممت حروفا هندية بارزة بطريقة بريل، كما أنشأت مجلسا خاصا، خصصت له عشرة آلاف روبية للعناية بتعليم العميان ورعايتهم.

° ° °

احتفلت المؤسسات والمعاهد العلمية بمولد شاعر الهند، رابندرناتهم تيگور فنظمت فيها برامج موسيقية وراقصة.

ثقافة الهند

يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية

المجلد الثالث ديسمبر سنة ١٩٥٢ العدد الثالث

محتويات هذا العدد

مؤسس الديانة البوذية — كوتاما بوذا

للعلامة الفيلسوف، رادها كرشنن،
نائب رئيس الجمهورية الهندية

ألق فيلسوفنا هذا محاضرات على حياة بوذا وتعاليمه، نقتطف أهم ما فيها ونعربه لقرائنا — المدير

نجد فى كوتاما بوذا، العقل الفذ فى الشرق، ولا يسبقه أحد تأثير
الفكر البشرى والحياة البشرية، وهو محل لتقديس الكل لكونه مؤسسا لتقد
دينى، لا يقل عن غيره تمكناً وتوسعاً وتوغلا فى النفوس. وهو ملك
للتاريخ الفكرى العالمى، وإرث شامل لسائر البشر المثقفين. لأنه من أعظم
رجال التاريخ بعقله السليم، وخلقه العظيم، ونظريته الروحية.

— ١ —

وقد ارتاب البعض فى وجوده تاريخيا، ولكن العلماء الذين يعتد برأيهم
انسانا تاريخيا لا شك فيه، يمكن وضع خطط حياته، ومعرفة تعاليمه فى
المسائل الهامة من ناحية الفلسفة الدينية ثقة ويقيناً. وانى لا أحاول هاهنا
ما جاء فى الأدب الدينى البوذى القديم من ذكريات الذين رأوا ذلك المر
وسمعوه. لم تكن الكتابة شائعة فى ذلك العصر إلا قليلا، ولذلك كانت الذ
قوية، حادة، أكثر مما نجدها الآن. فهذا كتاب «رگ ويدا» (Rig Veda) الصح
وهو أقدم بكثير من الأدب البوذى، قد وصل إلينا من أفواه الحفاظ كاملا

يس فيه إلا بعض اختلافات فى القراءة وهى لا تؤثر فى أصله شيئا.
المستندات البوذية، وان تناولتها الأيدى بالتنقيح، إلا أن أقوال المؤسس وأعماله
يمكن معرفتها بمعانيها الصحيحة الدقيقة. وقد اتفقت الكتب الدينية (الهندية)
هندية قديمة) والتواريخ السيلانية والمستندات السنسكرتية على أهم حوادث حياته،
وبيان العالم الذى عاش فيه، والشكل الأول لتعاليمه. ولا ريب أن قصص
مولده وأيام صباه، أساطير محضة. ولكن ليس هناك مبرر للارتياب فيما روى
من نسبه.

إنه ولد فى سنة ٥٦٣ ق. م. واسم والده، سوذهودانا من طبقة كشتريا
المحاربة) وعرف بـ «ساكيا» وهو بطن من بطون كشتريا. ومسقط رأسه،
كپلاوستو (Kapilavastu) على الحدود النيبالية وعلى بعد مائة ميل من بنارس
شمالا. وقد أقام الامبراطور، اشوكا مسلة فى ذلك المكان، لا تزال قائمة به.
أما اسمه فهو، سدهارتها (Siddhartha)، واسم أسرته، گوتاما (Gautama).

وقد توفيت أمه بعد سبعة أيام من مولده، فنشأ فى حجر خالته التى تزوج
بها والده بعد موت زوجته. وقد اقترن بوذا فى دوره بقريبة له، تسمى
يسودهارا، فولدت له ولدا سمى بـ «راهولا».

ودلتنا الأساطير أن والد بوذا بذل جهده فى أن يبعد عن نظر ولده كل ما
يدعه عن الدنيا، مفاده ان بوذا ولد بطابع دينى، فوجد لذائذ الدنيا ومسراتها
لا تغريه، وعلى رغم ما سعى والده من تحبيب الدنيا إليه، نراه يهجر أسرته وبيته
فى السنة التاسعة والعشرين من عمره، ويرتدى رداء الرهبنة، ويبدأ بحياة الناسك
المتجول الباحث عن الحق.

وقد تتلمذ أولاً لراهبين برهمنين، هما ألارا كلاما (Ala a Kalama) وأوذاكا راماپتا (Uddaka Ramaputta) ولكنه لم يجد عندهما علاجا لأحزان الدنيا، فتركهما موطدا نفسه على نيل المعرفة بنفسه، وتوجه مع خمسة من رفقائه إلى يوروپلا (Uruvela) «مكان بهيج وغابة جميلة». وهنا شمر عن ساعد الجد وانهمك فى العبادة حتى خارت قواه وأشرف مرارا على الموت. ولكنه لم ير في كل ذلك بصيصا من النور، يرفع ولو ستارا واحدا عن لغز الحياة. فعلم أن سبيل المعرفة غير هذه الرياضات المضنية وتذكر ما جربه مرة فى شبابه من التفكير الروحى، فقرر أن يعود إليه، لعله يصل إلى المعرفة. وتقول الأساطير إن الشيطان حاول صده عن هذا الطريق بسائر الحيل التى يتقنها من دون أن يتغلب عليه. وهذا يدل على أن حياته الداخلية لم تخل من قلق إذ ذاك. ولم يتمكن من تحرير فكره من المعتقدات القديمة إلا بعد نضال فكرى شديد طويل. وما زال مثابرا على التأمل والتفكير، حتى امتلك نفسه. واتزن عقله. فأدرك أن الكون، ناموس مقرر، مكون من مخلوقات جاهدة كادحة، سعيدة وشقية، نبيلة ووضيعة، لا تزال تنتقل من هيئة إلى أخرى فى الوجود. فحياتها فى تغير صورى مستمر.

كان الليل فى مرحلته الأخيرة «اذ تهدمت بناية الجهل من أساسها وبرزت معالم المعرفة مكانها، وانا جاد، متحمس، مصمم!» نال گوتاما «بُدْهي» أو المعرفة، فأصبح «بُدّها» (بوذا) أى العارف المتنور.

وظل بوذا مترددا فيما يفعله: هل يبشر بما وصل إليه من الحق أو يكتم ولا يهتم إلا بنفسه. ثم قرر «أن ما دامت أبواب الخلود قد افتتحت فعلى الناس أن يدخلوها» وأخذ يبشر الناس بتعاليمه. ولم يكتف بالتبشير فحسب

إذ هـذا سهل، بل بدأ يعيش طبقا لما يدعو الناس إليـه. فاختار حياة المتشرد لمتسول مع كل ما تشتمل عليه من أخطـار الفقر والحرمان، والاشمئزاز، والاحتقار، والرفض، والسخرية، والمقـاومة من الناس. وأول من لبى دعوته، رفقاؤه الخمسة الذين صحبوه فى السنين التى قضاهـا فى العبادات الشاقة، ثم توجه إلى «سارناتهر» (بلدة فى ولاية بهار) فألقى أول موعظة فى منتزه بها. وقد أخذ تلاميذ والمريدون يهرعون إليـه من كل صوب. فقبل ستين منهم فى جمـاعته، بينهم قريبه آنندا الذى لازمه فى جميع تجولاته.

وقد قال لهم يوما «اذهبوا الآن وانتشروا فى البلاد رحمة بسائر الخلق، وايثارا لمصلحة الكثيرين عـلى راحتكم. ولا يذهبن اثنان منكم فى طريق واحـد، بـل يسلك كل واحد سبيلا غير سبيل أخيه. بشروا بهذه الدعوة النبيلة فى مبدأها، النبيلة فى وسطها، والنبيلة فى نهايتها. أرشدوا الناس إلى الحياة الكاملة، النزيهة، الطاهرة، المقدسة».

وما زال بوذا متجولا فى طول البـلاد وعرضها لمـدة خمس وأربعين سنة، يجمع حوله عددا كبيرا من التلاميذ. وقد انضم إلى جماعته البراهمة، والنساك، والرهبان، والمنبوذون، والنبلاء، والنبيلات، والمذنبون التائبون من سائر الطبقات.

وأقوال بوذا تثبت جليا أنه كان زكيا، عاقـلا بمعنى الكلمة، لا يحيـد عن الاستدلال والمنطق السليم أبدا. وقـد جعل أول خطوة فى مسلكه الاخلاقى، الفكر الصحيح والتزام العقل السليم. وكان يزيل كل ما يغشى العقل ويصده عن القيام بوظيفته، ويتحدى سامعيه أن يأتوا بمـا عنـدهم من الألفاظ والمصطلحات الفارغة من الحقـائق. وقـد وجـد فى ذاك العصر كثيرون يزعمون معرفة الله والاتصال به مباشرة، فـلا يقولون لنا أنه موجود أو ليس بموجود، بل يزعمون

العلم بما يقضيه الله، وبما يريده، وبما يفعله! وقد أفحم بوذا كثيرا من هؤلاء المدعين وقضى على مزاعمهم، فقال فى خطبة له إن المشائخ الذين يتكلمون و الله، لم يروه وجها لوجه. فهم كذلك العاشق الذى يذوب كمدا وهو لا يعرف من هى حبيبته! أو كالذى يبنى السلم وهو لا يدرى اين يوجد القصر! أو كالذى يريد أن يعبر نهرا، فينادى الشاطىء الآخر ليقدم إليه!

أما المذاهب المختلفة، والدعوات المتضاربة، والأقوال المتناقضة. فهو ينصح بتمحيصها على محك المنطق وحقائق الحياة. وأن لا نقبل قولا لعظمة قائله وهو لا يستثنى من ذلك نفسه. فقد قال لتلاميذه «لا تقبلوا قولا على علاته لانه قول مرشدكم». وكان يلح عليهم مرارا وتكرارا أن لا يقيدوا أفكارهم بأقواله وقد قال له مرة تلميذ متفان فى حبه واحترامه «إنى، أيها السيد، أومن بكل قلبى أنه لم يوجد قط. ولا يوجد الآن. ولن يوجد إلى آخر الدهر مرشد أعظم قدرا وأكبر عقلا من مرشدنا المبارك!». فأجابه بوذا مستنكرا لقوله «إذن أنت يا سرى پتا، قد عرفت كل العارفين الذين سبقونى؟». فأجاب التلميذ قائلا «كلا يا سيدى». فقال له بوذا «وهل أنت عرفت كل العارفين الذين يأتون بعدى؟» فأجاب التلميذ قائلا «لا يا سيدى، كيف يتيسر لى معرفتهم!». فقال له بوذا «أنت لا تعرف هذا ولا ذاك، ولكن اخبرنى، هل عرفتنى حق المعرفة وتوغلت فى نفسى كل التوغل؟». فقال التلميذ «كيف لى بذلك؟». فقال له بوذا «فلِمَ أسرفت فى قولك الأول؟ ولِمَ نحمتنى بدونَ حق؟»!

ولا يوجد شىء سرى فى تعاليمه، وهو يلوم الذين يزعمون أن لديهم حقائق سرية. فقد قال فى إحدى خطبه «أيها التلاميذ، هنالك ثلاثة يلتجئون إلى التكتم ويتجنبون العلن. ومن هم؟ النساء، والكهنة، والدعاة بالباطل.

ـعوة بوذا الرشيد وشريعته ، فليس فيها شيء سرى يتطلب الكتمان . إن مبادئ ـذا الرشيد نيرة ، مشرقة ، علنية ، لا خفاء فيها ولا سر ! »

وقال لأعز تلاميذه قبيل وفاته « اسمع . يا آننـدا . لقـد بلغت رسالتى طول حياتى بكل جلاء من دون أن أخفى منها شيئا . لم يكن استاذك قط كأولئك لأساتذة الذين يخفون بعض الحق عن تلاميذهم » .

ونحن نجده فى كثير من أحاديثه يسلك مسلك سقراط فى الاستدلال ، يطارد سامعيه من دليل إلى آخر ، ولا يقبل منهم أن يتقيدوا بمصطلحات ، أو يعطلوا عقولهم من التفكر فى خلاف ما اعتقدوه . لقد كان داعية إلى الفكر الحر المطلق الذى لا يتقيد بالروايات ولا المعتقدات ، فقال فى حديثه الأخير لآننـدا الذى كنا بصدده آنفا « اتخذ بصيرتك مرشدا لك . ولتكن بصيرتك ، ملجأك الذى تلجأ اليه . واعلم أن الهداية فى داخلك لا فى خارجك . كن بحاثا للحق فى كل مكان ، وأخاذا للحق حيث وجدته » .

فأعلى مستند وأوثق مرجع عنده ، هو صوت ضميرنا وروحنا . وليس فى تعاليمه إلا القليل الذى يصح أن يوصف بالعقيدة . وحقا إننا لنعجب عندما نراه يحبذ البحث والمناقشة بالحرية الفكرية التامة النادرة فى عصره والقليلة فى عصرنا . وقد كان التعصب عنده أعدى عدو للدين ، فنجده مرة دخل فى القاعة العمومية ببلدة « امبالتهيكا » (Ambalatthika) فوجد فيها بعض تلاميذه فى نقاش حاد مع برهمى كان يرمى بوذا بالالحاد وقلة الورع ، ويحتقر نظام الرهبان المتسولين الذى أسسه بوذا . فما كان من صاحبنا إلا أن قال لتلاميذه « أيها الإخوان ! إن كان هناك من يقدح فى ذاتى ، أو فى دينى ، أو فى النظام ، فليس لكم أن تغضبوا ، أو تحقدوا ، أو تحزنوا ، لأنكم بوقوعكم فى شيء من هذه السيئات ،

لا تتعرضون لخطر الخسارة الروحية فحسب. بل لا تتمكنون من تمحيص أقوال القادح هل هى حق أو باطل!» — حقا إنه لفكر نير جدا. منذ ألفين وخمسمائة سنة حتى اليوم.

ليست المبادئ أو المذاهب حقة أو باطلة. سواء كانت تعجبنا او لا تعجبنا فليس هناك تناقض. مهما كان ظاهرا. أو باطنا. أو إلحادا مهما كانت متطرفة يرفض بوذا النقاش فيه. أو يخاف من عرضه على تلاميذه. فقد أدرك أن الطريقة الوحيدة للقضاء على فوضى عصره وتطرفه. إنما هى بتمحيص الأفكار تمحيصا حرا نزيها. وبارشاد الناس إلى أن يبنوا حياتهم على أساس العقل والاستدلال. وقد لام الذين يعترضون على الأديان الأخرى بدون تعقل. فقال «إنهم كالذى يرفع وجهه ويبصق على السماء. فلا يصيب السماء بسوء. وإنما يلطخ وجهه ببصاقه!».

لا نجد فى حياة بوذا كلها مثالا واحدا لغضبه وطيشه. لم يكن يغضب ولا يسب. بل لا تجرى على لسانه كلمة جارحة مؤذية. كان يرى الدنيا جاهلة غافلة لا شريرة خبيثة. غير مرضية ولا ثائرة. فكان يقابل المعارضة بكل هدوء. وقد لم يظهر منه قط تهيج عصبى أو حدة وطيش. كان سلوكه. الأدب كله واللطف كله مع شىء من التهكم. فنجده مرة يصل فى تسوله واستجدائه إلى بيت غنى فما كان من الغنى إلا أن سبه ونال من كرامته. فقال له بوذا «اخبرنى. يا صديقى إن وضعت طعامك بين يدى فقير. ورفضه الفقير. فلمن يكون الطعام؟ فأجاب الغنى قائلا «وهل هذا شىء يحتاج إلى بحث؟ يكون الطعام لى». فقال بوذا «إذا ألا ترجع إليك شتائمك إن رفضت قبولها؟ ولكنى لا أفعل ذلك. لانه يحرم من صديق!»

لم يعرف الاكراه فى الدين طول حياته. وأساس نظامه هو العمل. لا العقيدة

ن يحاول خلق عادة لا إقرار عقيدة. نحن حرمنا السعادة لا لشيء إلا لرغباتنا ذرقا، فان كنا نريد السعادة لأنفسنا. فليس علينا إلا أن نجعل لنا قلبا جديدا، رى بعيون جديدة. فان قهرنا الأفكار الرديئة. وربينا الأفكار الحسنة، استطعنا ن بدل النفس الأمارة بالسوء بالنفس الأمارة بالحسنى. فلم يهتم بوذا بتغيير لمعتقدات أبدا. جلس مرة أمام النار المقدسة لبرهمي، وأخذ يشرح مبادئه من ون أن يتعرض لعقيدته. ولما انضم «سيها» من الطائفة الجينية إلى النظام بوذي. أمره بوذا أن يواصل عطاءه للرهبان الجينيين الذى كانوا تعودوا منه لك. لقد كان يعرض دعوته بغاية اللطف. ويترك الحق يجرى مجراه. لأنه كان مؤمنا بقوة الحق القاهرة.

وكثيرا ما كان هــذا البطل فى ساحات الأخلاق. يضطر أن يشغل نفسه لأمور التافهة التى تتعلق بنظام الرهبنة الذى أسسه. وذلك لأن تأسيس نظام يتطلب التفاهم مع الدنيا. والتنازل للضرورات الاجتماعية، وايجاد الملجأ للذين لا ملجأ لهم فى الهيئة الاجتماعية العادية. فكان يقع فى النظام منازعات يتطلب حلها حكمة وسياسة. فمثلا كان هنالك ابن عم لبوذا، وهو ديوا دتا. يحسده ويؤامر ضده ليحل محله فى رآسة النظام. وقد عفى عنه بوذا ولم يصبه من قبله سوء.

وجد بوذا يوما راهبا من رهبان النظام. قد أصيب بالاسهال، ولا يقترب منه أحد. فما كان من بوذا إلا أن أقبل عليه بنفسه، وغسله وغسل ملابسه وأزال الرجس عنه بيده. وقال للتلاميذ «أيها الرهبان، كل من تحدثه نفسه بتمريضى إن وجدنى مريضا، فعليه بتمريض هذا الأخ المسكين!»

خلى النظام البوذى من فروق الطوائف والطبقات. قال بوذا «اعلموا، أيها الرهبان. كما تفقد الأنهار الكبيرة، مثل الكنج وجمنا أسمائها، عندما تصب فى

البحر. كذلك تبطل الطبقات الأربعة: البراهمة، وكشتريا، وويسيا، وشودر عندما تدخل فى النظام وتقبل الشريعة. إن ما يدعو إليه بوذا، هو الرهبنة .. و الرهبنة يتساوى سائر البشر!»

ولم تكن المرأة الهندية فى عصره، منعزلة. وقد أعلن هو أن المرأة كذلك أهل للاتصاف بالقداسة، ولكنا على رغم ذلك نجده يتردد كثيرا من قبولها فى داخل النظام. وقد سأله مرة آنندا «كيف نعامل النساء، أيها السيد؟»

فقال له مجيبا «لا تنظر إليهن».

«ولكن إن اضطررنا إلى النظر إليهن؟»

«لا تخاطبهن».

«ولكن إن خاطبننا؟»

«إذن كن على حذر تام منهن!»

وكان آنندا من أنصار المرأة، فما زال يلح على مرشده حتى رضى بضم النساء إلى النظام، غير أنه على رغم نزوله على إرادة آنندا، كان يرى فى ذلك خطرا على النظام، فقال له يوما «إن لم نضم المرأة إلى النظام، لدام الدين خالصا طويلا، وربما امتد إلى ألف سنة، أما الآن بعد دخول المرأة بيننا، فلا أظنه يدوم أكثر من خمسمائة سنة» وربما إلى هذا الخطر نفسه أشار بقوله «للسنغا بعد موتى أن يغير من سننه ما يراه مضرا لمقاصده وحياته».

وقد ذكرت حكاية موت بوذا فى «مهاپرينبّاناستّا» (Mahaparinibbanasutta) بسذاجة متناهية. بلغ بوذا الآن ثمانين سنة من حياته، وقد أنهكته الأسفار المتوالية، والأتعاب الجسدية، فلفظ أنفاسه الأخيرة فى بلدة صغيرة. ثم

كوسيناگارا» (Kusinagara) على مسافة مائة وعشرين ميلا فى الشمال الشرقى
ن مدينة بنارس العتيقة. وكان ذلك فى سنة ٤٨٣ ق.م. ونهاية بوذا الهادئة
خالف بجلاء شهادة سقراط والمسيح العنيفة. وقد قوض الثلاثة بدرجات مختلفة
لمعتقدات الشائعة القديمة فى عصورهم. ومن المحقق أن بوذا كان أكثر معارضة
معتقدات والطقوس الويدية من سقراط لدين اثينا الرسمى، ومن المسيح لليهودية.
على رغم ذلك عاش بوذا ثمانين سنة. وجمع حوله عددا كبيرا من التلاميذ،
أسس نظاما دينيا فى حياته. ولعل الغزيرة الهندية أكثر احتمالا للتجديد الدينى
ن الغزيرة اليونانية واليهودية.

— ٢ —

وقد وصل إلينا نص موعظته الأولى، ولا نشك أنه يحتوى على ألفاظ بوذا
أفكاره. وهو فى نفسه جد ساذج. فيقول بوذا على الذين يرغبون فى الحياة
دينية أن يلتزموا الطريق الأوسط، فلا ينغمسوا فى الشهوات، ولا يعذبوا
نفسهم، وأن يتمسكوا بالاعتدال فى سلوكهم ومعيشتهم. وقد أعلن فى هذه
موعظة الحقائق الأربعة عن الحزن، وسبب الحزن، والتخلص من الحزن،
الطريق المؤدى إلى ذلك.

١ - فقال «الولادة حزن، والانحلال حزن، والمرض حزن، والموت حزن.
.. والاتصال بما لا نحب، والافتراق مما نحب. ذلك أيضا يجلب الحزن،
الحرمان مما نشتهى، كذلك حزن».

الولادة، والممات، والألم، والحب، حقائق عالمية. وهى تدل على النقص
التلاؤم الطبعى، وعلى النزاع النفسى. إن التناقض هو أصل شقاء الانسان
مرضه الروحى. وهو ملازم لكل وجود اختيارى عارضى... ويمكن التخلص

منه ، فلا بد من إيجاد سبيل للتخلص منه .

٢ - لكل شيء علة . ولكل علة تأثير . هذا الناموس الساذج مسيطر على الكون كله ، على السماء وعلى الأرض . وهو نافذ فى الماديات . وفى حياة الانسان . وفى حوادث التاريخ على سواء . فان فحصنا عن علة الحزن واقصدها زال الحزن بنفسه .

أما علة الحزن . فهى « تانها » (Tanha) أى اشتهاء الوجود . وهذه الحقيقة تتطور فتظهر فى سلسلة من العلل ذات اثنتى عشرة حلقة . فالجهل والشهوة توأمان كالوجهات النظرية والعملية لظاهرة طبيعية . والجهل يحدث فتقا مع الحياة واتهاك وحدتها العضوية . كذلك يؤدى الجهل إلى الأنانية المتطرفة ، والعزلة الذاتية والخروج على وئام العالم . والشهوة والرغبات تعذب الروح وتقيده بالسلاسل التى يعسر الخلاص منها . ويتم القضاء على الجهل بالبصيرة الوجدانية . وعلى الرغبة المكافحة الأخلاقية .

وقد قبل بوذا « كرما » (Karma) أى التناسخ كمبدأ أولى له . فيكون الانسان كما يعمل فى حياته . وإننا نحن الذين نخلق عالمنا الأخلاقى . حسنا كان أو قبيحا أعمالنا . فكل فكرة . وعاطفة ، وهفوة منا . لها تأثير فى تطورنا الشخصى الانسان هو الذى يشكل نفسه بنفسه ، فالأفكار والأعمال التى سبقت فى الماضى البعيد جدا ، غير المرئى ، هى التى فى الحقيقة أوجدت ما تشتمل عليه أرضنا يرى بوذا الحياة خاضعة للصلاح السرمدى . وعلى ذلك لا يمكن أن نفر من نتائج أعمالنا . والشقاء من أى نوع كان ، المرض ، والحرمان ، والفشل ، والخيبة جروح الحب ، وآلام اليأس ، كل ذلك له تأثير فى أخلاقنا ، وكل ذلك معلول لعلل أخلاقية . فهنالك عقاب للاثرة ، ومثوبة السلام القلبى للحياة المنزهة من

ـرة، كل ذلك لامناص لنا منه، ويعتقد بوذا بكل قلبه ما قاله بنى إسرائيل ـيل لنا من شرورنا».

وقد قال بوذا «إن عملى ملكى، وعملى ميراثى، وعملى هو الرحم الذى يحملنى، ـلى الجنس الذى أنتمى إليه، وعملى هو الملجأ الذى ألتجى إليه» وإن ناموس ـيعة هو الذى يسيطر على كل شىء. وهو يقضى أن لا يدوم العذاب والجحيم ـما لا نهاية له. فلا تدوم الجنة ولا الجحيم. ومهما طال عهدهما، فانهما ـلان أخيرا. متى وكيف يتم ذلك؟ هذا يتوقف علينا نحن. كل محرك سافل ـه، كل إرادة مهينة نضبطها، كل ضعف معيب تتغلب عليه، يحسب فى هذا ـعى. ولكن ليس معناه أن نغمض عيوننا عما يعانيه البشر من الفقر والشقاء، ـعين أنهم استحقوه بما جنته نفوسهم. إذ كل من يفكر هكذا ولا يتبشث لأخوة العامة والمحبة الشاملة مع سائر الخلق. فلا شك أن ناموس الطبيعة يعاقبه ـد العقاب، لأنه خارج عليه، ويأبى أن يكون آلته العاملة للعفو والمرحمة. هذا ـن ناموس الطبيعة ليس بخاضع لذات قدسى، يتصرف فيه كيفما شاء، بل هو ـى الناموس مستقل بذاته، ونافذ بنفسه، لا يتأثر بمؤثر بشرى أو إلهى أبدا.

الانسان، مركب جسدى، يملك قوى يتحرك بها. وآلات يشعر بها، فهو ـحس. ويلمس، ويبصر، ويسمع، ويشم، ويدرك، وهو بهذه الحواس والمشاعر ـتصل بالعالم الخارجى. أما طبعه فيشمل على النزعات والكفاءات المنتجة من ـماضى، فهى أرث له. حسنا كان أو قبيحاً، من الحياة التى عاشها فى الأزمان ـرة. وهى التى تكيف خلقه الذى يبدأ به حياة جديدة. ويجمعها كلها الفكر ـذى يحيط بسائر النشاط العقلى، من أعوص التصورات وأعقدها إلى التأمل المجرد ـن. وذلك أن الحياة الداخلية للشخص ليست إلا سلسلة من الخيالات،

والرغبات، والعواطف. فاذا انفصلت الأواصر المادية بالموت، تقمصت قوى المادة الأولية جسد شخص جديد، ولا تزال هذه القوى متواصلة، إن ... مادياً، فنفسياً. فيسعد الشخص الجديد أو يشقى حسبما هي، له سلفه ... السابق. والعناصر التى تشكل شخصا جديدا لا تزال فى تبدل مستمر، ولكنها لا تلاشى كلية. حتى تفنى تلك القوة التى تتمسك بها وتدفعها إلى الميلاد الجديد وليست تلك القوة إلا الرغبة — الرغبة فى الوجود المنفرد.

وهنا مسئلة. إن كان لا يوجد ذات مستقل بنفسه، فمن الذى يتأثر بالأعمال التى لم يباشرها عدم الذات؟ وقد أجاب عليها بوذا قائلا «هل يظن عبد ... أن يخرج وراء إرادة سيده؟» ولكن لا يوجد جواب لهذه المسئلة فى النصوص الأولية، إلا إشارة واحدة إلى التسلسل المادى. وعلى كل إن الذى يفهم حقيقة الروح وحياتها المتعاقبة، لا يقيم كبير وزن لحياة واحدة، وإن كان تأثيرها ... المستقبل خطيرا.

٣ـ ولا بد من إلتزام طريق الفضيلة الدقيقة لازالة الجهل. إن ... الحسنه والبصيرة الوجدانية توأمان ولا تفترقان، فلأن تكون سعيدا اجعل قلبك وفكرك طيبا نقيا، وتظهر طيبة القلب والفكر فى الأعمال الحسنة. فالروح الطيب والعمل الطيب، هو أساس دينه. وهو يعزل الحياة الكاملة عن سائر العلاقات بإله أو بقوى خارجية، ويعلم الناس أن أحسن ما يمكن وأقبح ما يمكن. هو ... وسعهم أنفسهم، لا فى يد غيرهم. فكثيرا ما نسمعه يقول «تعالوا، أيها التلاميذ وعيشوا حياة مقدسة تقضون بها على الألم والحزن».

والطريقة النبيلة المضعفة ثمانية أضعاف عنده، سلم للوصول إلى الكمال. والخطوة الأولى من هذا السلم، الفكر الصحيح، أى المعرفة بالحقائق الأربعة ...

علاقة لها بالحقائق عند الهندوس (Jnana) ولا بعقائد الموحدين، ولكن
رة العقلية وحدها. لا حياة لها. ولذلك يجب على كل إنسان أن يكتشفها
عمقها فى أعماق حياته. وأول خطوة إلى هذه الغاية هجر الطريق الذى يبعدنا
ا عن نهايتنا المنشودة.

وليس المطلوب تغيير الآراء. بل المطلوب تعديل الطبع التام الذى يصل إلى
ذوق الروح. ويسوق إلى الخطوة الثانية التى تحمل على التلهف على إنكار الذات،
عى عمل الخير. والعطف على سائر الخلق. ويتلخص ذلك فى توطين النفس
ى نبذ اللذات. وهجر الضغينة. واجتناب الايذاء

والقصد من الكلام القويم. اجتناب الكذب. والافتراء. والشتم. وبذاءة
لسان. واللغو من القول.

والعمل الصحيح معناه. الاجتناب من قتل النفس. ومن أخذ ما لم يؤذن
أخذه. والانغماس فى الشهوات.

ومعنى الحياة الصحيحة الابتعاد من طرق الحياة الممنوعة. وهى الاتجار
الأسلحة. وبالرقيق. ومهنة القصاب. وجابى المكسوس. والخمار. وتاجر السموم.
قد حرم بوذا على أتباعه أن ينسلكوا فى الجندية تحريما باتا.

والطريقة النبيلة المضعفة ثمانية أضعاف. سبيل للحياة أكثر من أن تكون
قهى أو شريعة أخلاقية. فالجهد الصحيح لها يرمى إلى إزالة الحالات الشريرة،
زيادة ما ظهر منها. وإنعاش الحالات الحسنة. وتقوية ما ظهر منها. فالطريقة
نبيلة إنما هى التهذيب العقلى.

ومراقبة النفس خير الوسائل لمعالجة العالم المخفى من العقل الانسانى، ولقلع

الشهوات الفاسدة والعواطف الرذيلة . ولايجاد نوع من التوازن بين العقل والروح وبين الأعضاء الأخرى من جهازنا المعقد المركب من الآلات النفسية والمادية

والانسان لا يخدع غيره فقط بل يخدع نفسه كذلك . وإننا لا نفكر دائما مبرهين عن الأنانية والأثرة ، بل كثيرا ما يسوقنا إليها الاشمئزاز والفشل فى الحياة . وليس أكثر الناس إلا آلات لمحاكاة عصرهم . فهم يجرون مع تيار الزمن . ولكن مراقبة النفس تساعدهم فى التحرر من عبودية العصر ، وتسهل لهم معرفة النفس

وليس الكسل العقلى بأقل ضرر للارتقاء الروحى من الرغبات الفاسدة . واليقظة العقلية الصحيحة تؤهلنا بأن نراقب الجسد والروح معا مراقبة دقيقة دائمة فنظل مسيطرين على أنفسنا . ولا ندع المجال للرغبة فيها أو الاكتئاب . ومعنى ذلك أن تملك نفسك بمعرفة نفسك فتطيعك طاعة عمياء . ولا تميل إلى الاهواء بارادتها .

ويظهر من كل هذا أن بوذا يرمى إلى تقوية الارادة الانسانية . ويرى فى الخير ، كل الخير للبشر . فليست المراقبة عنده إلا وسيلة لتقوية الارادة .

وقد علم بوذا أن كل انسان إذا جاهد بجد وعزم فلا بد من أن ينجو نجاة كاملة . وبعبارة أخرى ، نجاة كل إنسان بيده ، ومنوطة بارادته وحده . فيرى بوذا أن النجاة ليست هبة من واحد إلى آخر . بل هى نتيجة لعمل الانسان نفسه .

فمراقبة النفس وامتلاكها بالارادة القوية ، غاية الطريقة النبيلة البوذية . فاذا ملك الانسان نفسه ، وسخرها لارادته . ولم يبق فيها مجال للرغبات . تفتحت أبواب الحياة الطاهرة النبيلة الضامنة للسعادة والنجاة .

وقد وضع بوذا نظاما عمليا للنساك ولعامة الناس . فأوضح أوامره الأخلا

ـنة للعامة فى محاورة له مع برهمى، وهى: الاجتناب من القتل، والاجتناب ـ أخذ ما ليس لك، والاجتناب من طاعة الرغبات، والاجتناب من الكذب، لاجتناب من المسكر.

ولم يقل بوذا قط بالبطالة وترك العمل. فقد سأله رجل من الطائفة الجينية هل أنت تدعو إلى ترك الأعمال وهجر الأشغال» فأجابه قائلا «كيف يسمح أحد ـه ان يقول عنى بأن الناسك گوتاما (بوذا) يدين بمبدأ البطالة؟ أجل إنى ـو إلى هجر ما لا يجوز فعله للجسد واللسان والفكر، وكذلك أدعو إلى ترك ـ عمل قبيح يجر إلى الشرور... ولكنى بجنب هذا أدعو إلى القيام بكل ما ـ حسن للجسد واللسان والفكر. وكذلك أدعو إلى الاقبال على كل عمل يؤدى ـى الخير والسعادة».

والمحبة العامة الشاملة لسائر الخلق، أهم وأفضل عند بوذا من الأعمال الحسنة، ـ قال «الحسنات على اختلاف أنواعها لا تبلغ سدس فضل المحبة التى تحرر القلب ـ شوائب الشر. لأن مثل هذه المحبة تتضمن سائر الحسنات. إن المحبة تشرق ـ وبهاءا. ترون الأم تحيط بوليدها حتى فى الأخطار التى تهدد حياتها. كذلك ـ على كل انسان أن يغرس فى نفسه الحب العميق الصادق لسائر الخلق!»

والاحترام للحياة، إنسانية كانت أوحيوانية، من أهم الأخلاق البوذية، فليس ـى أن يقتل حيوانا كلهو الصيد أو للأكل، بل عليه أن يرفق بالحيوان ويعده ـه فى الخلق، ولا يراه خلقا أدنى منه. الهدوء الروحى والحب لكل نسمة ـما أرشد إليه بوذا. إنه لم يتكلم عن الذنوب، ولكنه تكلم فقط عن الجهل ـخرق الذين يداويان بالمعرفة والرفق.

٤- وإذا استطاع المرء أن يتغلب على جهله، حطم سلطان أعماله الذى يجره

إلى الوراء للتكفير والاستغفار، فانتهت فيه الرغبة، وخلى قلبه من الأسف. وتفتحت أمامه أبواب المعرفة. فعند ذلك يجد نفسه فى عالم غير العالم الذى كان يعيش فيه، فى عالم معنوى منزه عن كل شكل ولا شكل، عن كل ألم وحزن. وعن كل هناء وسرور. وان كان مثل هذا العالم فوق التصور البشرى. ه التحرر والنجاة من تعدد الولادة. انه «نروانا» (Nirvana).

وقد رفض بوذا ان يشرح كيفية «نروانا». ولا يخفى أن السوال عنه لا يجدى نفعا، بل ربما كانت اللغات البشريه لا تستطيع شرحه، ولكن بوذا أرشد إلى هذه النجاة، ووعد الذين يتبعون سبيله بهذا الشعور السعيد فى هذه الحياة الدنيا.

وما هو سبيله؟ انه لم يأمر بالعبادات والرياضات. والتقشف. ولم يذكر إله أو آلهة. بل لم يقل أن يعبدوا شخصه أو وثنه. وجل ما قال عن نفسه. إنه باحث عن الحق. وإنه مرشد إلى الحق. وكل إلحاحه على التدريب الاخلاقى. فنجده يرفض الجدال فى ما وراء المادة مع السوفسطائيين المعاصرين. فلا يخوض فيما هذا العالم له نهاية أو لا نهاية له؟ أو أن العالم قديم أو حادث؟ أو أن من فاز بالحق تبقى له شخصيته أو تزول؟ أو هل هنالك حياة بعد الموت أو الفناء المطلق؟

وبوذا لا يقرر العقائد، ولا يؤسس مذاهب فلسفية، ولا يزعم أنه جاء إلى الأرض بحكمة خصوصية ملكها من الأزل، بل يعلن بكل جلاء أنه كسب هذه الحكمة بجهود جبارة فيما سبق له من الحياة على هذه الأرض دهورا وأحقابا بتعدد المواليد. فانه يرشد أتباعه إلى نظام يضمن الرقى الاخلاقى. ولا يدعوهم إلى دين كسائر الاديان. يريهم سبيلا ولا يقرر عقيدة، لأنه يعلم أن قبول عقيدة يصد عن البحث وراء الحق. فكثيرا ما نرفض الحقائق الواقعة، لا لأ-

دلائل القاطعة تبطلها، بل لأنها تخالف عقيدة تمسكنا بها.

أسس بوذا دعوته، على حصوله المعرفة، أو بعبارة أخرى على تجربته الروحية ى لا يمكن بيانها بالألفاظ. فدعوته، حكاية عن هذه التجربة وعن الطريق تؤدى إليها. وهو يقول إن الحق لا يعرف بالنظريات، بل يعرف بالسير تواصل فى طريقه.

(يتبع)

مساهمة الهند
فى قضاء مآرب الانسان الاقتصادية

للاستاذ السيد أبى النصر أحمد الحسنى (بالقاهرة)

مآرب الانسان فى حياته لا تعـد ولا تحصى. فمها أوتى هو بالطّم والنّم قضائها لم تمل به عنها مخيلة أمله للزيد، ولا بارقة طمعه للكثير. ولذلك سعى الأنبياء والمرشدون الروحانيون لانقاذه عن عبوديتها.

على أن طرق الانقاذ لدى هؤلاء الأنبياء والمرشدين اختلف. فمنهم من رأى إنقاذه عن عبوديتها فى إستئصال شأفتها وإجتثاث أصلها وذلك بقتل ذات الرغبة وإبادة خضرائها وغضرائهـا فى نفس الانسان. ومنهم من رأى إنقاذه عن عبوديتها بتقليل طلب النفس وتحديد رغباتها. ومنهم من رأى إنقاذه عن عبوديتها لا فى تبديد الرغبات ولا فى تحديدها بل فى تنظيمها وتوجيهها إلى وجهة جديدة مجردة عن العبودية.

أما دعوة أصحاب الرأى الأول، وهم الذين رأوا نجاة الانسان فى فناء الرغبة الموجودة فى نفسه. فدعَوا إلى قطع دابرها واصطلام جرثومها. فهى فى الحقيقة دعوة إلى اختيار حالة هى أشبه بالموت من الحياة. فان أكبر مصدر للحركة والحياة فى الانسان هو الطلب الموجود فى نفسه. فاذا فقد ذلك لم يبق لحياته معنى

أما أصحـاب الرأى الثانى فقـد ميزوا بين رغـبات الانسان الضرورية وغير

ـرورية حين باشروا تشذيبها وتحديدها. كذلك نوه سيدنا محمد عليه الصلاة ـلام بما لا بد منها وبما يمكن الاستغناء عنها للتنظيم والتوجيه. فقال: «يقول ـد: مالى! مالى! إنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى. أو ـلى فأبقى، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس».[1] وأيضاً: «كل شىء ـى ظل بيت وجلف الخبز، وثوب يوارى عورته، والماء. فما فضل عن هذا ـس لابن آدم فيهن حق».[2]

فنبى الاسلام لم يطلب منهم اجتثاث أصل الرغبات فى النفس، ولا فرض ـيهم حذف جزء منها، بل ترك لهم حرية كاملة فى السير والاختيار مع حسر ـام عن الطريق القصد بين شعاب وادى الرغبة ومعاطف لجاج الطلب، فقال: ـكن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل».[3] «فالغريب» أو «عابر السبيل» ـرف بمقتضى ظروفه — وهى تختلف حسب المكان والزمان — ما يستحق ـلاختيار وما يستحق الترك من رغبات نفسه. وهو يقدر مع التمتع بحرية كاملة على ـ يجد لما يهمه منها مقصداً قريباً فيقصده، ولما لا بد له منها مشرعاً سهلاً فيرده.

وعليه فما أشار إليه نبى الاسلام فى أحاديثه المذكورة من حاجات الانسان ـز حياته — السكن، والأكل، والشرب، واللبس — هى فى الحقيقة حاجاته ـلاساسية التى لا يمكن له أن يستغنى عنها فى حياته بحال من الأحوال. ولا يزال ـعترف بخطورة شأنها إلى اليوم، بعد مرور عليه عشرة ونيف من القرون،

١- رواه مسلم فى صحيحه طبع مصر شرح النواوى ج ١٨ ص ٩٤.

٢- رواه أحمد بن حنبل فى مسنده طبع المعارف ج ١ ص ٣٥٠، ورواه أيضاً الترمذى فى صحيحه طبع مصر ج ٣ ص ٣٦٧؛ ورواه أيضاً الحاكم فى المستدرك طبع الهند ج ٤ ص ٣١٢.

٣- رواه البخارى فى صحيحه طبع الحلبى ج ٤ ص ٧٨؛ ورواه أيضاً الترمذى فى صحيحه طبع مصر شرح ابن العربى ج ٩ ص ٢٠٣.

إقتصاديو الغرب. فبعد أن تفنن الاقتصادى الألمانى الشهير فون هرمان فى تقسيم حاجات الانسان وتحليلها، اعترف بينها بخطورة شأن الحاجات المذكورة[١]. كذلك اعترف بها الاقتصادى الفرنسى الشهير جيد[٢]، كما اعترف بها الاقتصادى الانجليزى الذائع الصيت مارشال[٣]؛ وأيضاً الاقتصاديون الأمريكيون فيرتشائلد وفرنس وبك[٤] واسمث[٥].

فاذا كان السكن، والأكل، والشرب، واللبس من أوطار الانسان الاقتصادية الأساسية التى اعترف بخطورة شأنها الأنبياء والمصلحون والمفكرون الاقتصاديون من الزمن الغابر إلى العصر الحاضر، حيث لا محيص له عنها فى حال من الأحوال. فما هى مساهمة الهند التى قدمتها إليه بخاصة لقضاء تلك المآرب عدا الكثيرة الغير الضرورية؟ هذا هو السوال الذى نحاول أن نرد عليه ما نستطيع إليه سبيلا بالايجاز فى هذا المقال.

أما السكن فالتاريخ شاهد على أن كل من هبط الهند من الأفراد والقبائل والشعوب سواء كان زائراً أو لاجئاً أو فاتحاً وقصد استيطانها. لم تأل الهند فى ترحيبه وتقطينه بها. ثم التثقف بثقافته، وتثقيفه بثقافتها. فسكان الهند اليوم مزيج هؤلاء النازلين بها من الأفراد والقبائل والشعوب المختلفة. قد انحدر معظمهم من الأجناس التى هبطتها مثل الآرى، والايرانى، والأفغانى، والمغولى، والعربى وغيرها وجميعها شرقية.

---

١ — راجع كتابه: W. VON HERMANN: *Staatswirtschaftliche Untersuchungen.*

٢ — راجع كتابه: C. GIDE: *Principe d'Economic Politique.*

٣ — راجع كتابه: A. MARSHALL: *Principles of*

٤ — راجع كتابه: FAIRCHILD, FURNISS, of BUCK: *Economics.*

٥ — راجع كتابه: A. A. SMITH: *Economics.*

علىٰ أنه امتاز بين هؤلاء النازلين بها المستعمر الغربى الذى استولى عليها بالمكر
جـل ، وتسيطر عليها بالدس والخفل . وإن مرع فى الخفض المتسق فى
ـها . والنعيم المطرد فى مياهها . والأنس المنبلج فى أجوائها ، والسلام المنبسط
أرجائهـا ، لم يشأ أن يستوطها . وأبى أن يلابس أهلها ، ويمازج شعبها ، بل
ـ رداء الكبر . وأذال ذيول التيه ، وصعر خده ، ونأى بجـانبه ، ولم يكن
أحدا إلا نافضاً مِذرَوَيهِ ، رافلاً من التيه فى بُردَيهِ . فنجم عنه أن بدأت
ن ثروتها إلى الخـارج[١] ويبذ أهاليها من الفقر والبؤس بذذاً[٢] . يقاسون منه
ا تخف الحليم . وترعى الهشيم . إن رجوا منه غفلة إقتحمت . وإن راموا منه
ـة تضايقت والتحمت . اصطبحوا من الضنك فى ظله كأساً مترعـةً . وتجرعوا
الشقاء بيده أمرَّ جرعة .

أما حاجة الانسان إلى الأكل فالهنـد ساهمت فى إسعافه بها بتقديم الأرز .
ـرز الذى هو اليوم غذاء معظم سكان العالم وطنه الأصلى الهنـد . ومن الهند
ـر فى العـالم بأسره . قد ورد ذكره فى القرن السادس قبل الميلاد فى الكتب
ـنية المقدسة السنسكريتية القديمة باسم « ورِيهى » (व्रीहि) وحين نُقل عن الهند
إيران سمى بالايرانية القديمـة باسم « بريزى » . وعنـد ما إقتحم الاسكندر
ـنى الذائع الصيت الشرق ، نقل من إيران إلى اليونان فسمى باليونانية باسم
ـروزا ، « Oryza » . ومن اليونان نُقل إلى العرب فسمى بالعربية « الأرز » .

---

(١) ذكر الاشتراكى الانجليزى الشهير هاتندمان فى كتابه « استيقاظ آسيا » أن الانجليز نقلوا عن الهند ثلاثين مليونا
جنيه سنويا لمدة مائة وستين سنة بغير أى تعويض لها لذلك (راجع كتابه المذكور ص ٢٣٥) .
(٢) ذكر المصنف المذكور هاتـندمان أيضاً فى الكتاب نفسه مثالا لذلك البذذ أن الايراد اليوم لكل فرد من
سكان الهند البريطانية فى سنة ١٨٥٠ أى قبل استيلاء الانجليز التام عليها كان بنسين (أى ثمانية ملاليم) . وفى
سنة ١٨٨٢ م أى بعد مضى جيل واحد أصبح بنسا ونصف (أى ستة ملاليم) وفى سنة ١٩٠٠ م أصبح أقل
من ثلاثة فاردنجات (أى أقل من ثلاثه ملاليم) . (راجع كتابه المذكور ص ٢٢٣ - ٢٢٤) .

ثم حمله العرب إلى الأندلس فسمى بالاسبانية «الرز» (ARROZ) وانتشر من الأندلس إلى البلاد الأوربية الأخرى، فسمى بالفرنسية «ريز» (RIZ) وبالانجليزية «رائس» (RICE) وبالألمانية «رائز» (REIS) وباللاطينية «ريسوس» (RISUS) وبالايطالية «ريزو» (RISO) وبالروسية «ريس» РИСЪ وهلم جرا[1].

ومما يستلفت النظر أن اسم الأرز وإن وصل العرب عن طريق اليونان، ولكن اسم الطعام المصنوع منه وصلهم رأساً من الهند. فالأرز بالهند غذاء أساسى بخاصة لدى الهنود القاطنين فى سواحلها. فيسمى المغلى أو المطبوخ منه فى معظم اللهجات الهندية ولغاتها «بهات» يأكلونه فى الغالب مع الطبيخ المصنوع من حوت. فكانت العرب به أعلى عيناً فى القرون الأولى الهجرية. فقد ذكر باسم «بهط». قال الشاعر العربى أبو الهندى غالب بن عبد القدوس الذى أدرك دولتى الأموية والعباسية وتوفى حوالى سنة ١٨٠ هجرية:

فأما البهط وحيتانكم ٭ فما زلت منها كثير السقم

قال الجوهرى: البهطة ضرب من الطعام أرز وماء. والتبس عليه أصله فظن أنه معرب عن الكلمة الفارسية «بتّا». وإن كانت «بتّا» أيضاً مأخوذة عن الكلمة الهندية «بهات». ولكن ثبوت الهاء فى الكلمة العربية «بهط» يدل على أنها لم تؤخذ من الكلمة الفارسية «بتّا»، بل أخذت رأسا من الكلمة الهندية «بهات».

أما حاجته إلى الشرب، فالهند وإن اكتظ صدرها بمياه الجداول والأنهار ورضاب الينابيع والأنباط، لارضاع مستوطنيها، وإرواء زائريها، لم ترض بأن

---

١ — ذكر الجوهرى فيه ست لغات: (١) ارز كأشد وهى اللغة المشهورة عند الخواص، (٢) ارز مثل عقل (٣) مثل قفل، (٤) لوز مثل طنب، (٥) ارز مثل رسل، (٦) رز باسقاط الهمزة وهى المشهورة عند العوام.

ـعفه بما إحتاج، وتمكنه مما ابتغى. بل أرادت أن تخصه بأكثر مما رجا، وتنيله ـفع مما طلب. فأطمت عليه بنان جودها، وتهدلت له ثمار عودها، حين ـدمت إليه «السكر» لتحلية المشروبات. فالسكر وطنه الهند. هو من اختراعها ـ ذكر فى الكتب الهندية القديمة المقدسة السنسكريتية باسم «شركارا» (शर्करा).

قد أدرّت الهند عليه بتقديم السكر إليه أخلاف أعظم نعمة وأسدت إليه به ـكبر معروف، إذ لم يكن يعرف العالم قبله تحلية المأكول والمشروب إلا بعسل ـحل. ولذلك ذكره الشاعر الرومانى، هوراس الذى عاش فى القرن الأول ـيلادى فى بعض شعره الفكاهى قائلا: «وصارت الأسر الرومانية بدلا من أن ـحلى ألوان أطعمتها بالعسل كما كانت تعمل قديما، تستعمل لذلك مادة جديدة ـحدت فى السوق تدعى "شكارا" جاء بها بحراً أحد النوتية الشرقيين من الهند ـلى البحر المتوسط فى القرن الأول الميلادى». وقال أيضاً: «إنها مستخرجة من ـصب السكر». وقال عالم التاريخ القديم الشهير الأستاذ بريستد الأمريكى فيه ـه أقدم ذكر للسكر فى التاريخ[١]. فلعل قصد الأستاذ بريستد به ذكره فى تاريخ ـشرق الأدنى القديم، والأستاذ متخصص فيه. والا ذكر هو كما أبنا آنفاً فى الكتب ـهندية القديمة المقدسة السنسكريتية قبل ذلك بقرون.

على أنه يظهر أن السكر لم يصل العرب فى وقت وصل فيه بلاد الرومان، بل ـد مدة طويلة بعده، فلم يكن معروفا عند نزول القرآن. لذلك ذكرت فيه من ـهار الجنة بجنب أنهار الماء، واللبن والخمر الأنهار التى تشمل مشروباً حلواً بأنها ـأنهار من عسل مصفى». ولذلك أيضا استغرب الحافظ ابن قيم الجوزية وغيره ـين نقل إليهم عن بعض الحفاظ أنه جاء فى بعض ألفاظ السنة الصحيحة فى

١- العصور القديمة للأستاذ بريستد، طبع بيروت، ص ٤٤٥.

وصف حوضه الشريف صلى الله عليه وسلم أن ماءه أحلى من السكر. فل
ولا أعرف السكر جاء فى الحديث إلا فى هذا الموضع. وهو حادث لم تكل
به متقدمو الأطباء، ولا كانوا يعرفونه. «أما السكّر» فاتفقت أئمة اللغة العربية مثل
ابن دريد، والجوهرى، وابن منظور، والفيروزآبادى، والزبيدى على أنها عربت عن
الكلمة الفارسية «شكر» وهو يدل على أن السكر وصل العرب عن طريق إيران
و «شكر» طبعاً مأخوذ عن اسمه السنسكريتى «شركارا». بيد أنه يظهر أنه انتشر
فى بلاد أوربا بواسطة العرب عن طريق الأندلس كما تدل عليه أسماؤه فى لغاتها
المختلفة. فاسمه بالاسبانية «اثوكر» (AZUCAR) وبالفرنسية «سوكر» (SUCRE)
وبالانجليزية «شوجر» (SUGAR)، وبالألمانية «تسكر» (ZÜCKRE)، وبالايطالية
«زكيرو» (ZUCCHERO)، وباللاطينية «سكارم» (SACCHARUM) يبدو من جميع
تلك الأسماء أنها مأخوذة من الاسم العربى «سكر».

بقى نوع آخر من السكر وهو القند أى السكر المبلور الشفاف. فهو أيضاً من
اكتشاف الهند. فالقند ماخوذ من اسمه الهندى السنسكريتى «كهاندا» (खण्ड)
وزيد هذا الاسم لمعرفة هذا النوع فى أكثر اللغات الاوربية مع اسم السكر
فيها، فأصبح وبالألمانية مثلا ZUCKERKAND، بالفرنسية SUCRE CANDI
وبالايطالية ZUCCHERO CANDITO. وهلم جرا.

ثم أتحفته الهند زيادة عليه بما يستدر منه المنافع فى الأكل والشرب على حد
سوى، وهو الزنجبيل. فالزنجبيل وطنه الهند. منها انتشر فى العالم قاطبة. واسمه
فى الكتب الهندية القديمة السنسكريتية «سرنجاويرا» (शृंगवेर). ثم أصبح
حسب قانون الابدال فى قواعد اللغة السنسكريتية البراكريتية «سنجيل» فقط

١ — فبموجب ذلك القانون أحياناً تسقط الراء وأحياناً تبدل باللام. (ومثال الاسقاط أن «برية» بالسنسكريتية اصبحت «پيا» بالبراكريتية. ومثال إبدالها باللام أن «چورا» بالسنسكريتية أصبحت «چولا» بالبراكريتية. كذلك تبدل الواء بالباء والباء بالواو. ولذلك أصبحت الكلمة السنسكريتية «سرنجاويرا» طبقاً لذلك القانون «سنجيل».

أهل إيران والعرب اسمه «زنجبيل» عن اسمه الثانى البراكريتى، بتغيير السين بالزاء تقرب مخرجهما[1]. ويظهر أنه سار فى البلاد وانتشر فى زمن ممعن فى القدم، فكان معروفاً ومرغوباً فيه لدى العرب قبل نزول القرآن. لذلك وصف الشاعر الجاهلى أعشى أحد أصحاب المعلقات ريق جارية، فقال:

كأن جنيا من الزنجبيـ ـل بات بفيها وأرياً مشوراً

ولذلك وصف القرآن مشروب الجنة بقوله: «ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا» (٧٦ : ١٧).

غير أنه يلوح أن اسمه فى اللغات الأخرى نقل عن اسمه السنسكريتى «سرنجاويرا». فسمى مثلا باليونانية «زنجى بيريس»، وباللاطينية «زنجى بير» (ZINGIBER)، وبالفرنسية، «جن جمبر» (GINGIMBRE)، وبالاسبانية (JENGIBRE)، ولما لم يكن فيها صوت الجيم فنطق «هن هى بريه»، وبالايطالية «زنزرو» (ZENZERO)، وبالألمانية «انجوير» (INGWER)، وبالانجليزيه «جنجر» (GINGER)، وهلم جرا. فثبوت الراء فى آخر جميع تلك الأسماء يدل على أنها لم تؤخذ عن اسمه البراكريتى «سنجبيل».

كذلك أضفت عليه الهند فضلا على ذلك أوراق نبات يطلق تجرع نقوعها النفس من عقال السأم، ويجلو عنها صدأ الفتور ليتسنى له القيام بأموره وهو على جمام من نفسه، ونشاط من عزمه، وارتياح من طبعه. ألا وهى أوراق الشاى. فلا يملكنك العجب لو قلنا لك أن وطن الشاى هو الهند، فان ما

[1] لقد أخطأ صديقنا المحترم صاحب الفضيلة الشيخ احمد محمد شاكر فى تعليقه على كلمة «زنجبيل» فى «المعرب» للجواليقى (طبع دار الكتب المصريه ص ١٧٤) إذا ادعى فيه انها عربية الأصل. وخالف به كبار أئمة اللغة العربية الذين قرروا أنها غير عربية ومعربة، وكانوا مصيبين فيه شوا كل السداد.

سار فى العالم على الأفواه، وملأ فى الدنيا الأسماع، هو أن موطن نباته. ومكان غراسه هو الصين. ولكن جماعة من كبار المحققين لا يستهان بهم ترى أن موطنه الأصلى هو الهند، وأنه حمل قبل أن يكتب التاريخ إلى الصين. وذلك لأنهم عند إمعانهم فى التقيب، واستقصائهم فى التنقير وجدوا أشجاره البرية ست من تلقاء نفسها بغير زرع فى كل مكان من الهضبات الجبلية بين واديى «برهم پترا» و «بارك» فى مقاطعة آسام بالهند. ويبلغ بعض منها قدر الأشجار الكبيرة فذلك وأسباب أخرى حملتهم على أن يرتأوا ويقرروا أن وطنه الأصلى هو مقاطعة آسام بالهند، وإنه نقل إلى الصين فى عصر ما قبل التاريخ.[١]

وفى الصين لأصله واكتشافه قصص وروايات. فيروى عن أصله أنه نبت من أهداب الناسك «دارما» الذى قطعها كفارة عن ذنوبه، لئلا تذوق عيونه طعم الكرى. ويعزى اكتشاف تأثيره فى الزمن القديم إلى العمال الذين كانوا يزرعون الأرز، فأرادوا إصلاح ماء الشرب الذى لم يكن لذيذاً. بغلى أوراق النبات فيه. وبينما هم يبحثون عنها فى دغل، وقعت فى أيديهم أوراق الشاى. فورد عليهم من شربه ما إستأنف نشاطهم، وارهف طبعهم، وصقل ذهنهم.[٢] ومن ذلك اليوم عرف تأثيره، فتداولته الرواة، وتناقلته الركبان. فنال فى حياة الانسان عزة لا تقهر، وأدرك لديه من منزلة لا تضام، حيث استعملت قراميد من عجين أوراقه حتى إلى أواخر القرن الماضى كالنقد فى البيع والشراء فى بلاد الصين والتركستان.[٣]

١ — راجع: E. FRANKE: *Kakao, Tee, und Gewürze. S. 139*
وايضاً: W. W. HUNTER: *The Indian Empire. p. 398*
٢ — E. FRANKE: *Kakao, Tee, und Gewürze. S. 140*
٣ — W. W. ROCKHILL: *Land of The Lamas. p. 278-280*

لم تعهد البلاد الأوربية شرب نقوعه الباعث للنشاط ، والناضح للعطاش ، وهو اعى اليوم أفئدة الناس فى أرجائها المختلفة زرافات ووحدانا ، إلا فى القرن ـابع عشر الميلادى . وذلك بواسطة شركة هولندية شرقية هندية تجارية . فأول رة رشف مشروبه فيها فى باريس فى سنة ١٦٦٦ ميلادية . وفى سنة ١٦٦٦ يلادية شرب أول مرة فى انجلترا ، إلى أن اتسع استعماله شيئا فشيئا فى القارة سرها .

على أنه عرف فى الشرق وبخاصة فى البلاد العربية قبل أوربا بقرون . وإن يصبح استعماله حينئذ فيها عاما مثل اليوم . ولكنه كان معدودا من الأشياء ثمينة النفيسة الجديرة بالاتحاف والاهداء إلى الملوك والأمراء . فالشيخ على بن حسن الخزرجى يذكر لنا أنه حين وجه الملك المؤيد داود بن يوسف (٦٩٦ -٧٢١ هـ) من ملوك اليمن الرسوليين فى ٧٠٤ هـ الموافق سنة ١٣٠٤ ميلادية هدايا والتحف إلى ملك مصر . كان بينها «الشاه صينى» أيضا.[١] وهو يدل على نه كان معروفا ومرغوبا فيه لديهم قبل أن تعرفه أوربا بأكثر من ثلاثة قرون .

هذا ماعن لنا وموعدنا للتحدث عن مساهمة الهند فى قضاء حاجة الانسان ى اللبس هو مقالنا المقبل ، و الله ولى التوفيق .

قاهرة (مصر) . السيد أبو النصر أحمد الحسينى

---

١ - راجع «العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية» طبع اوربا فى سلسلة جب ج ١ ص ٣٦١ .

إلى الأدب العربى

بقلم الدكتور زبيد أحمد   تعريب عبدالحميد النعمانى

﴿ التفسير ﴾

كتب التفسير ـ ما برحت كتب التفسير طليعة الأدب الاسلامى ومتاعه الخطير ولا زالت العلماء من المسلمين يبذلون جهوداً جبارة فى سبيل الكتابة فى التفسير كواجب دينى مقدس. والترتيب التاريخى يمثل عهد المفسرين حسب ما يلى

١ ـ عهد النبى صلى الله عليه وسلم وعهد الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين الذين فسروا آيات القرآن شفاها، ولم يخط أحد ما فسروا به ولم يكتبه كاتب.

٢ ـ عهد القدماء الذين بدأوا بالكتابة أول مرة، وفسروا كاتبين ما كان شده عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين

٣ ـ عهد المفسرين من القرن الرابع والخامس، ومنهم الامام الطبرى الشهير الذى لا يدانيه أحد ولا يفوق، وتفاسيرهم ككتب الحديث روايات مسندة متصلة بالاسناد بالتمام كليا.

٤ ـ عهد المفسرين اللاحقين الذين أسقطوا من الوسط سلسلة الرواة. والتزموا على كل حال ذكر من انتهت إليه الرواية وأسندت.

٥ ـ عهد القرن السادس، كتب المفسرون فيه تفاسيرهم تحت إتجاهات اختصاصية لبراعة فى ناحية من نواحى العلوم والنبوغ فيها. فسر إمام من أئمة

. وراعى فيها كتب جانبا من النحو والصرف، بينما ترى صوفيا أو فلسفيا فسر
آن تحت تأثير التصوف أو الفلسفة . فتنوعت فى هذا العهد كتب التفاسير ضروبا
ونا. وللعلامة الزمخشرى مركز سام شغله بين المفسرين، وتفسيره «الكشاف»
على جليل يختص بوجوه النحو والمعانى والبلاغة والبيان. وإنه مثل للفسرين
لين. فكم من بناة جعلوا الكشاف أساساً لبنيانهم ورأوا فيه مثلا به اقتدوا.

٦ - عهد المفسرين من القرون المتأخرة. لم يأت المفسرون فى هذا العهد
. مبدعين ولا مبتكرين، وإنما اقتفوا الآثار واتبعوا خطوات السابقين. إلا أن
ين منهم فى المستوى الرفيع. ويحوزان قبولا وشيوعا بين العلماء والمتعلمين،
دهما «الجلالين» وهو تلخيص غريب وإجمال مدهش والآخر «البيضاوى»
و تفسير جامع شامل كفى تقديرا. بجلالة قدره وخطورة شأنه أن علق عليه
ثير من العلماء المتأخرين الحواشى وكتبوا له شروحا وإيضاحات ما لم يكتبوا على
سير غيره. وقد بلغ من السمعة والاقبال ما لم يبلغه أى كتاب. وستعلم مما يأتى
ن عديدا من علماء الهند شرحوا البيضاوى ونسجوا على منواله.

أما عهد كتب التفسير الموضوعة فى بلاد الهند فيعود إلى الدور السادس. ومن
كتب الهندية فى علوم القرآن وتفسيره خمس عشرة كتابا يمتاز ويستحق
ذكر وهى:

١- كتب التفسير من جنس العموم ٣
٢- كتب التفسير لها وجوه اختصاص ٤
٣- فى أصول التفسير ١
٤- كتب التفسير أدبا وعلماً ٢
٥- الشروح والايضاحات للتفاسير المتقدمة ٣

٦ - قائمة المواضيع وفهرس المندرجات ٢

(١) كتب التفسير من جنس العموم - ٣

١ - تبصير الرحمن وتيسير المنان — والمعروف بين الناس به تفسير رحمن، صنفه علاء الدين بن أحمد المهائمى المتوفى ٨٣٥ هـ - ١٤٣١ م وهو من بنى نوائط قبيلة من سلالة العرب من المدينة المنورة. وهم الذين هاجروا إلى شواطئ الهند مخافة طغيان الحجاج بن يوسف واعتدائه عند ما هاجمها وأغار عليها.

والعلامة المهائمى كان بارعا متضلعا وكان شافعيا. صنف عدة كتب وقد طبع كتابه تبصير الرحمن فى حيدر آباد فى مجلدين[١].

وهذا التفسير من قبيل الشرح الممزوج موضوع على أسلوب الجلالين. ولكن أوسع منه مجالا وأجمع درجة. فيه بيان موجز لكل قصص القرآن. وذكر مواقع نزول الآيات والسور، وفيه كذلك بيان ربط آيات القرآن بعضها بعضا.

وللكتاب ميزتان أبدع بهما واضعه ببراعته إلى نهاية الكتاب. فالأولى يأتى قبل كل سورة بتوجيه وجيز لتسميتها، والثانية أنه يشرح بسم الله مستهلا بمواضيع السورة ومباحثها — فيقول فى السورة الأخيرة مثلا:

«بسم الله المتجلى بأسمائه وصفاته وأفعاله فى الناس، الرحمن بتكميله بعد إصدار نور الوجود عليه، الرحيم بحفظه من شر ما فيه وشر ما خرج عنه»

وكذلك يشرح بسم الله فى سورة قبل السورة الأخيرة مثلا، فيقول:

---

١ — فى قائمة كتب برلن نسختان خطيتان على رقم ٩٢٥ و ٩٣١ قيل عنها انها من تصانيف أصل ... والمخطوطة المرقومة ٨٧٠، قالوا عنها انها تفسير للعلامة المذكور والذى أرى أن هذه كلها أجزاء من ... رحمانى، تفرقت.

«بسم الله المتجلى بكمالاته فى النور الفالق — الرحمن باشاعة ذلك النور، الرحيم باعاذة من عاذبه من الشرور»

فهو يأتى بكلمات «المتجلى بكمالاته» بعــد كلمة «الله» ويتبعه كلمة تستهل وتلائم موضوع السورة. وكذلك فى الرحمن والرحيم. ولم يتعرض مفسر لهذا النمط الغريب فى تفسيره فى شرح بسم الله حتى يومنا هذا.

٢ - التفسير المحمدى[١]. وضعه الشيخ محمد بن أحمد ميان‌جى ابن نصير الگجراتى، وكان صوفيا سالكا كما كان عالما. توفى ٩٨٢ هـ — ١٥٤٧ م. ويقولون عنه أنه شرح تفسير البيضاوى. وضع الشيخ هذا التفسير وكان نصب عينه أن يبين اتصال آيات القرآن وربطها فيما بينها. وكان يقول أنه لم يلتفت أحد إلى هذا الموضوع. وبالكتاب ليس جامعا ولا جليلا لنسبة إلى «التفسير الرحمانى» ولعل الواضع استفاد به وأخذ منه النصيب فى وضع تفسيره.

٣ - التفسير المظهرى للقاضى ثناء الله پانى‌پتى المتوفى ١٢٢٥ هـ — ١٨١٠ م. وكان عالما متضلعا، وكفاك تقديرا ببراعته أن الشاه عبد العزيز الدهلوى المتوفى ١٢٣٩ هـ — ١٨٢٣ م. كان يلقبه ببيهقى الهند. سمى تفسيره بالمظهرى على اسم شيخه مرزا مظهر جان جانان. وللقاضى الموصوف كتاب فى الفقه الحنفى باللغة الفارسية سماه «ما لا بد منه» نال من قبول الناس فى بلاد الهند طولا وعرضا أوفر حظ. والتفسير المظهرى تفسير معتبر يعرض اتجاهات الأحناف فى المسائل. وله سبعة أجزاء طبعت منها البعض فى الهند طبعا حجريا.

(٢) كتب التفاسير التى لها اتجاهات اختصاصية — ٤

١ - شئون المنزلات. تفسير وضعه على المتقى البرهانپورى المتوفى ٩٧٥ هـ —

[١] - أرى أن هــذا الكتاب يماثل كتاب «كاشف الحقائق وقاموس الدقائق» الذى وضعه محمد بن أحمد التهانيسرى الگجراتى وهو مذكور فى قائمة المخطوطات العربية فى مكتبة ايشياتك سوسائتى بنگال.

١٥٦٨ ع. وكان عالما جليلا. ارتحل فى أخريات أيام الحياة إلى مكة المكرمة فاستوطنها. وله عدة كتب منها كتاب «كنز العمال» اشهر المطبوعات لدى العلماء وأعمهم. وأما «شئون المنزلات» فذكر فيه الواضع كل الظروف المعتبرة لنزول آيات القرآن مع ما شرح على وجوه النحو واللغة والبلاغة بعض الكلمات وبعض جمل والعبارات المنسوبة إلى المراجع المنوطة بموضوع الكلام. وليس الكتاب يفسر القرآن كله سورة بعد سورة وإنما يتناول تفسير سور تتعلق بأسباب النزول.

٢ - ترجمة الكتاب أو المراتب الأربعة. لمحب الله الالهآبادى المتوفى ١٠٥٨ هـ — ١٦٤٨ م. وهو من سلالة الصوفى الهندى الشهير فريد شكرگنج الذى تنتهى شجرة نسبه إلى الخليفة الثانى عمر بن الخطاب. وكان عالما وعارفا، بشر بأفكار ابن العربى تبشيرا جعله يدعى ابن العربى الهندى. وكان كاتبا خصيبا وضع عدة كتب. وقد شرح كتابه هذا وسماه حاشية ترجمة القرآن. وكان مطمح أنظاره فى تأليف ترجمة الكتاب بالتمام وجه التصوف وبالأخص مسئلة وحدة الوجود. وترى فى الكتاب مواضع انحراف عن صحة العقيدة ومواقع الارتداد عن استقامة الرأى كالاستنتاج من آيات ٩٠ - ٩١ أن فرعون كان قد آمن بديانة بنى إسرائيل واعتنق بها عند الغرق، كما ذهب إليه بعض المفكرين.

٣ - التفسيرات الأحمدية فى بيان الآيات الشرعية. صنفه أحمد بن سعيد المتوفى ١١٣٠ هـ — ١٧١٧ م المعروف بملا جيون. وهو أحد أساتذة السلطان اورنگ زيب وشيوخه، وذلك يدل على توسعه فى العلم وتبحره، وكان السلطان يجله إكراما ويظهر لمعرفته وعلمه أعظم التفات وأكبر اعتبار. وله كتاب مدرسى شهير فى اصول الفقه موسوم بنور الانوار وهو شرح «المنار».

وأما التفسيرات الأحمديه التى نحن بصددها، ويعرفها الناس بالتفسير

حدى فليست تفسيرا للقرآن بأجمعه ولكنها تقتصر دون الآيات التى تتعلق بها
وامر والنواهى. وقد صرح المصنف فى مقدمة الكتاب أنه ما أعتنى أحد
الآن بهذا الموضوع وما سعى كاتب أن يلتقط من تلك الآيات فيجمعها ويفسرها
أنه كان مما يسمع فى فتوة عمره عن الامام الغزالى أنه جمع خمسمائة آية من
ذا الجنس، ولكنه لما لحص عنه علم أن المسموع كان مكذوبا، فقام للأمر
عزم أن يفعل ذلك هو نفسه. فباشر العمل وهو ابن السادس عشر وأتمه وقد
غ الواحد والعشرين من عمره، ثم نقحه وراجعه بعد ستة أعوام.

فاستأنف الكتاب بترتيب كل سور القرآن التى استنبطوا منها الأحكام، ثم فصل
عية تلك الأحكام والتوصيات، وأعلن عن السور التى لا تحتوى آيات
الأحكام أنها خالية عن الأحكام فبدأ بالآية السابعة والعشرين من السورة
ثانية وهى:

«هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا».

استنبط منها أن الاباحة أصل فى الأشياء. والجزء النهائى من القرآن، كل سورة منه
مجردة عن آيات الأحكام إلا سورة ١٠٨ استدل بها على وجود حوض الكوثر.

٤ - فتح الخبير بما لا بد من حفظه فى علم التفسير. لواضعه الشاه ولى الله
الدهلوى المولود ١١١٤ هـ — ١٧٠٢ م. وكان أكبر الفقهاء والمحدثين صيتا وسمعة فى
عصره. أتم دروس التعليم وهو ابن الخامس والعشرين من عمره وانخرط بعد ما
رغ من التعليم العرفى فى سلك النقشبندية تحت تأديب أبيه وتعليمه فاستخلفه أبوه
بعد عامين. وفى سنة ١١٤٣ هـ — ١٧٣٠ م. ارتحل إلى مكة المكرمة ومنها إلى المدينة
المنورة حيث تعارف هناك بالعلماء والمحدثين وتعلق بهم فنال الشهادة والخرقة من
عرف الشهير والعالم الكبير والمحدث الجليل أبى طاهر محمد ابن إبراهيم، وبدأ

بالكتابة والتدريس بعدما رجع إلى مقره فى دهلى، وجدا فى العلم والأدب فوضع الكتب والمصنفات فى الحديث وفى فروع أخرى من الفلسفة الالهية الاسلامية ولا يماثله أحد فى تاريخ العلوم الاسلامية فى الهند. وقد طارت سمعته الحميدة وذاع صيته فى طول البلاد وعرضها بل ملأ الآفاق ما وراء بلادها. وإن جلالة قدره وعظمة شأنه مرتكزة على تبحره فى الأدب الاسلامى وتوسعه فى كل فروعه وضروبه. ومع ذلك كان صوفيا ولقد أصاب نواب صديق حسن خان فيما قال عنه. أنه لو كان فيما مضى من القرون لرضوا به إماما لعصره. ولما سئل عن فقه أهل السنة من الأئمة الأربعة وعما تنتمى إليه نفسه وتختص، أجاب «إنى أعالج مستطاع جهدى أن أجمع وأمزج بين أطراف المسائل والاتجاهات من المذاهب فأجعلها تلتئم وتتحد، وعند الاختلاف أتمسك بما يثبته حديث صحيح صريح. وهذا ميسور لى مناله ولله الحمد على ذلك» وإذا استفتاه أحد أجابه بما يتبع من المذاهب. وتوفى رحمة الله عليه سنة ١١٧٦ هـ — ١٧٦٢ م.

وأما فتح الخبير، الكتاب الذى نحن بصدده فقد جمع فيه الواضع كل حديث يفسر أية آية من آيات القرآن. وفى كتاب الاتقان للسيوطى باب جمع فيه الأحاديث من هذا النوع المسندة إلى عبد الله بن العباس المروية عن ابن على طلحة وعن الضحاك. ولكن هذا الكتاب يحتوى على جميع الأحاديث المعتبر عند المراجع من هذا القسم، وهو الباب الخامس لكتاب آخر للواضع نفسه المسمى بالفوز الكبير فى أصول التفسير الباحث بأصول التفسير عن آيات القرآن وستتكلم عليه فيما يأتى. وهاك مثلا من كتاب فتح الخبير:

«إنا أعطيناك الكوثر، قال الرسول هو نهر، شأنئك عدوك (سورة ١٠٨
قال المشركون صف لنا ربك فانزل الله قل هو الله أحد (سورة ١١٢)».

ذا الكتاب لا يذكر سلسلة الرواية كما تذكرها كتاب « الاتقان » من غير تغيير.

(٣) تفاسير علمية وأدبية - ٢

١ - سواطع الالهام. كتاب وضعه أبو الفيض فيضى المتوفى (١٠٠٤ هـ ١٥٩٥ع) وكان شاعر الدولة أيام السلطان أكبر فى بلاطه الملكى، وكان شاعراً فارسية شهيرا، له براعة بارزة فى ضروب العلوم وتضلع فوق العادة فى الفنون كاباه العربيان لشهيدان صادقان على نبوغه فى اللغة العربية وعبقريته المدهشة فى بها. فقد وضعهما مع لزوم الصنعة المهملة متقنا وضعه بكمال الحذق ومهارة ن. أحدهما « موارد الكلم وسلك درر الحكم » والآخر « سواطع الالهام » الذى سوق إليه الكلام.

بدأ الواضع كتابه كمقدمة تحت عنوان « السواطع » وجعلها شطرين أجمل فى الأول ما سنح له من الأحوال وأتى فى الثانى بتجلية علوم القرآن ، ثم قسم الشطرين إلى أبواب شتى ، وسمى كل باب بالساطع وهذه السواطع يختلف بعضها عن بعض فنها ما تطول إلى ثلاثين سطرا ومنها ما تقصر دون سطر واحد.

وصف الواضع من احواله ومسقط رأسه وأنه كيف تسنى له البلوغ إلى بطانة الملك الذى خصص له ساطعين يمدحه فيهما وقد وضع ساطعا طويلا يمدح فيه وألحق المقدمة منظومة يصف بها كتابه ويقدر احسانه أحسن تقدير.

إنه يأتى باسم أبيه وأسماء إخوته فى كتابه مرموزاً بالأحجية والالغاز ، مدفوعا تقاضاه الصنعة المهملة ، وهذه الاحاجى معقدة ، غامضة ، لن يهتدى إليها من علم له بتلك الأسماء من قبل ، إلا بشق النفس وكثرة التفكير ، على أن الخبير كذلك لا يدركها بسهولة.

إنها تسعة. ستة منها المعمى وثلاثة إلغاز. والفرق بينهما أن الأول لا يصح إلا برد واحد والآخر يصح بردود عديدة. فالأسماء التى ألغز بها الواضع ثلاثة أبو الفضل، وأبو الفيض فيضى (الواضع نفسه)، وأبو الخير. وهى مرسومة بكلمات ليست بقاطعة المدلولات، فهى تطلق على معان متماثلة. وأما الكلمات التى أتى بها فى باب المعمى فهى قاطعة فيما تعنى، محددة لما تدل، وأنا فسرتها بوجه كما تأتى:

١ - المعمى الأول: أساس العلم، أصل الروع، مطلع الالهام، رأس الرؤس إمام الكرام. عبر الواضع بهذه الكلمات عن اسم «مبارك» فالميم أساس للعلم والباء كذلك أصل وأساس «للقلب» الذى يرادف «الروع»، والألف محل طلوع لكلمة إلهام، وكذلك الراء والكاف فى كلمتى الرؤس والكرام. رأس وإمام.

٢ - المعمى الثانى: والد عاد أصله أصل الروع، مروم دور الاكر ومكرر الدهر. فكلمة عاد مرادفة للاب، والباء كما مر سابقا، وكلمة ركا تخرج بقلب أكر والتاء خرجت من مكرر أمد الدهر، أعنى الراء التى إذا كررت إعدادها الحد ٢٠٠ تصير ٤٠٠.

٣ - المعمى الثالث: مدلول الوالد والمكارم معه. وهو ليس بغامض جدا فانك إذا ألصقت مدلول الوالد أعنى الأب بالمكارم تقرأ أبو المكارم.

٤ - المعمى الرابع: الأمل، الروع (بمعنى البال)، الولع، الروح المكرم الروع المرح (معناه البطر). فاذا أخذت الأحرف من أوائل الكلمات لأبى الاسم «أبو تراب».

٥ - المعمى الخامس: الحال، الطود (بمعنى الجبل)، الطول، الصحو، الو

مناه البال)، السمو، الحدس. إذا جمعت الوسط من الكلمات لرسمت الاسم
بو حامد».

٦ ـ المعمى السادس: الطاء، الروع (بمعنى القلب)، الهدو، الأمر، الطمس
سوم، الرأى، الأمد. إذا رتبت الأواخر من أحرف الكلمات وجدتها تنطق
الاسم «أبو رشيد».

وحسبك من الدلالات على ما أسست هذه المعميات عليها. وهى:

١ ـ ان هناك تعبير أحرف الأسماء بأخذ الأحرف من أوائل الكلمات المضروبة
أواسطها أو أواخرها. فاذا كانت الأحرف المأخوذة من المهملات فلا سبيل
وعورة ما وتكون الكلمة على وجه المطلوب، وأما إذا كانت منقوطة فيأتى
ضع إما بكلمة مترادفة يؤخذ منها الحرف المطلوب ككلمة أصل الروع ترادفه
أصل القلب وإما يرمز إلى الحرف المطلوب من ناحيته العددية كحرف التاء
صل بتكوير الراء.

٢ ـ إن الواضع فى تعبير الأسماء من ذوى قرباه بهذا الأسلوب البديع يختار
ت تنطق بالبراعة وتفوح بالكرامة والفضل. ودلالة الأحرف من فواتح
كلمات وأواسطها وخواتيمها تمثل ألوانا من مميزات المدح والثناء بنفسها.

٣ ـ هؤلاء أبو تراب، أبو حامد، وأبو رشيد، هم أخوة العلات للواضع. ذكرهم
الترتيب لكى يشير إلى أعمارهم. فللسابق الحرف الأول من الكلمات، وللتوسط
رف الوسط، وللاحق الحرف الأخير.

ومن الغرابة وأعجب العجب أن الناس على وجه العموم أضمروا لفيضى الطعن
دينه وحسبوه ضالا، فاسد العقيدة والايمان من غير أن يكتب فى تفسيره أو

فى مقدمة كتابه ما يخالف معتقدات القدماء أو ينافى استقامة تقاليد دينية وإليك من كتابه أربعة وجوه يعرف بها الضال من المؤمن المتبع :

١ - القرآن آخر كتاب من الله ومحمد آخر من رسله صلى الله عليه وسلم أجمعين.

٢ - المعجزات وخوارق العادات كولادة عيسى بن مريم بغير أب. وقصة أصحاب الكهف وأصحاب الفيل وما سواها.

٣ - إن الله يهدى من يشاء إلى الصراط المستقيم. ويضل الله من يشاء عن سواء السبيل.

٤ - الاسلام هو الحق دينا.

ترى فيضى يذهب فى كتابه فى تمثيل تلك الاتجاهات إلى أقصى حدود الاشداء المتمسكين بالعقائد من القدماء.

وهذا التفسير ليس بشىء غير الاتقان اللغوى والنبوغ الأدبى. فان الالتزام حتم على صاحبه إيجازا جعل الشرح أعقد من المتن نفسه، وجعله لا يهمه إلا أن يتحاشى ويتجنب عند التفسير عن الأحرف المنقوطة فى الكلمات فلا حيلة إلا أن يقوم مقام المطنب العابث أو أن ينزل منزل الموجز الغامض غير مكترث بمسيسة الاجمال أو بضرورة الوضوح والتفصيل، ولنا أن نقارنه فى إيجازه بالتفسير الشهير بالجلالين الذى يخلو عن اللزوم من هذا النوع، فهو يقدم بين أيدينا أجمل البيان بأيسر الكلمات، بينما «السواطع» تشقشق وتبالغ بكلمات غير عادية.

الناقد الهندى العلامة «شبلى» الذى استشهد به الاستاذ براون المتوفى فى كتابه «تأريخ آداب اللغة الفارسية» يقول عن السواطع أنه ليس إلا التظاهر والتصنع

ـدرة صاحبه على اللغة العربية وكفائته لأدبها[١]، ويرى المولوى عبد الحق الذى ـت مقدمة تفسيره الأردو إلى اللغة الانكليزية ما يرى العلامة سواء بسواء[٢].

ومما يستحق النظر والاعتبار أن النواحى البارزه من مميزات الفكر الهندى و الأدب العربي والفارسى هى بنفسها موفقة لأن تتجلى بأسلوب من الاصطناع لازدهار والتنميق والتلميع. وها دونك الأدب الفارسى تجد فيه «أمير خسرو» كبر الشعراء فى الهند، وضع مثنوى «قران السعدين» وكتاب «إعجاز خسروى»، ـعرا ونثرا وكلاهما صناعيان بكل معنى الكلمة، وتجد فيه بين المتأخرين من ـشعراء أمثال ملا ظهورى وعبد القادر بيدل وأقرانهما ساءت بهم سمعتهم لهذه ـنقيصة. وهذا عرفى كبير الشعراء الفارسيين الذى قضى الشطر الأخير من حياته فى ـهند لم يستطع إلا أن يخضع لهذا التأثير. وكذلك فالقول صواب وكلاهما معجبان ـرجبان بين بلاد الهند وتركيا، وكلاهما نالا قبولا عاما من الأتراك وأهالى الهند ـلكن لم يكتسبا من بنى جلدتهما غير الاهمال والاستكراه. وقد قال عنهما ـواطنون «إنهما كانا يملكان عبقرية الشعر وقوة الابداع ولكنها انعمت عليهما ـلمنوحات عندما قاما بالهند واستقرا»[٣].

إن اللغة العربية لم تنل من بلاد الهند قبول الفارسية ولا إحتفائها بين أهاليها ـلكن ذلك لم يتركها بلا نصيب من هذه النزعات والاتجاهات من الفكر ـلهندى. إن المسلمين من كتاب الهند نراهم فى كل ما كتبوا عن اللغة والخطابة ـقد شغفوا بالصنعة المهملة إلى درجة الجنون لكونها صعبة المراس، شاقة العمل، ـواللغة العربية كذلك من هذه الناحية كما نعلم نصيب يذكر فمنه هذا الكتاب

١- شعر العجم. لشبلى طبع أعظم گڑھ. ١١١ - ٦٧.
٢- عبد الحق مقدمة تفسيره بالانكليزيه ص ٥٧٦.
٣- سخندان فارس. لمحمد حسين آزاد مزايا فارسية الهند.

« سواطع الالهام » لفيضى وله كتاب آخر المسمى بـ « موارد الكلم ». ثم هناك كتاب في تفسير سورة يوسف وكتاب فى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وضعه محمد صديق اللاهورى بلزوم هذه الصنعة بعينها.

لقد تبرع فيضى بوضع كتابه إلى الأدب العربى تبرعا صناعيا بالتمام كما تنفصل ميزة الفكر الهندى وأنا لا أعلم كتابا وضع خارج حدود الهند إلى هذا اليوم موفقا بالاحتفاظ كمثل هذا الكتاب.

٢ ـ « جب شغب » أو « فيض غيب » لواضعه عبد الأحد بن إمام على الالهآبادى، وهو كاتب حديث العهد جدا. وكتابه تفسير للجزء الأخير من القرآن بلزوم الصنعة المنقوطة. فهو ضد السواطع فى صنعته. وفيما يلى من تفسيره ما يتعلق بسورة الفاتحة وهو يمثل لك أسلوب الكتاب ويعرض عليك مزية أخرى من الذوق الهندى:

الحمد لله	يثنى ثنية
رب العلمين	يغذى غذية
الرحمن الرحيم	يفضى فيض جيب
مالك يوم الدين	يغبن شقى يزقن تقى
إياك نعبد	ثبتنى نيتى
إياك نستعين	تغيثنى
إهدنا الصراط المستقيم	فى غى بغى نجنى
صراط الذين انعمت عليهم	بششت بشيشة
غير المغضوب عليهم	غضبت غضبة
ولا الضالين	نفى بغى ـ خذنى بخفض غض

وحيث أن هذا الأسلوب من الكتابة مجلوب بالتطرية والاصطناع جلبا نهائيا
حيث أنه يصعب به الايضاح عن المطالب والأفكار لأجل الالتزام بالكلمات
نقوطات، فكان الشرح المقدم بين أيدينا بالطبع أنقص وأغمض مما قدمت به
سواطع. وما أراد الواضع أن يكتب كتابا فى التفسير إنما كل همه هو التظاهر
تفاخر بمعرفته باللغة العربية ليمدح به نفسه ولعله فيما أراد موفق مفلح. إن
تمسك بالصنعة المنقوطة لأشد وأصعب منالا من ضدها، فهذا التفسير يعود
ذكر الفضل وأجل الفخر إلى صاحبه مما تعود به «السواطع» إلى فيضى.

نعم ان «السواطع» تفسير للقرآن كله وهذا التفسير للجزء الآخر منه فقط
لكن ذلك لا ينقص شيئا من مقدرة الكاتب ولا يضر نبوغه وكفائته فانه لم
يختر سورة ما تلائمه فى عمله ولو فعل ذلك لاستدلوا على عجزه وانه ما استطاع
انجاز العمل. فلعله لم يجد من الوقت متسعا أو أدرك عاجلا أن فى ذلك ضياع
وتلاف لنشاطه العقلى وفعاليته الذهنية، وفى خاتمة الكتاب أنشد منظومة مثلثة
بالصنعة المنقوطة وهى حسبنا للحكم على عبقريته فى الأدب العربى.

وجب شغب اسم تاريخى تستخرج بحروفه سنة ١٣٠٧ من الهجرة وهى أيام
وضع الكتاب.

والاسم مثل الكتاب غامض مغلق لا يدرك ما أريد به إلا بالرجوع إلى
القاموس. فالجب معناه البئر ولكن الشغب كلمة عديدة المعانى منها «الحياد عن
الطريق والابتعاد عنه». فالمفهوم إذاً بئر على بعد عن الطريق، وهذا التفسير
أسلوبه كالبئر على حياد من الطريق اعنى الأساليب العادية ولذلك سمى الكتاب
«جب شغب».

(٤) فى أصول التفسير — ١

فى هذا الباب كتاب واحد وهو «الفوز الكبير» وضعه الشاه ولى الله الدهلوي وقد اسلفنا بذكره وكان الكتاب موضوعا بالأصل باللغة الفارسية ثم ترجمه رجل من أهالى مقاطعة مدراس إلى اللغة العربية ولم يعرف اسم الناقل. والكتاب منقسم إلى خمسة فصول. فالفصل الخامس ككتاب مستقل موسوم بـ «الفتح الخبير» وقد تكلمنا عليه فيما سبق، وأما «الفوز الكبير» فمركز قدره وجلالته هو إتقانه فى تبيان مبادى التفسير وإيضاحه الدقيق عن الأصول لشرح آيات القرآن.

رتب الواضع مواضيع القرآن على خمسة أقسام، وهى:

١ - الأحكام ٢ - المجادلة ٣ - التذكير بأحكام الله ٤ - التذكير بأيام الله ٥ - التذكير بالموت وبعد الموت.

والقرآن يجادل الذين أشركوا من الناس والذين نافقوا والذين هادوا والنصارى. فالواضع بعد ما أوضح من القرآن مواضيعه وتكلم عن المجادلين من أحزاب الناس، وضع رسما كاول مبدأ ليتمسك به من أراد كتابة التفسير ويتخذ لخطوته دليلا أن القرآن فى كل ما يدعو إليه وفى كل مايبين للناس من المواضيع المذكورة يذهب بأشد الدقة والاحتفاظ مذهب العرب القدماء فى أسلوب الكلام ولا يسلك مسلك الواضعين والكتاب المتأخرين البارعين المحنكين فى وضع الكتب بالنظم والترتيب.

ونقطة أخرى التى عالجها الواضع لقرائه أن يدركوا أن موضوع القرآن ومطمح أنظاره فى آيات التذكير بأحكام الله ليس ان تلقى أمام الانسانية خطبات الفلسفة أو دروس من التاريخ، إنما القرآن أتاها بها ليطهرها ويخلصها. فيذكر

بصائر والحقائق بديهيات أمام الأعين ولدى الانكار ويقص من الروايات القصص، هو معروف بين الناس.

كاد المفسرون على وجه العموم يعتقدون أن هناك باعثا ما نزلت الآيات كلها بدافع منه، فحاولوا أن يفسروها على ضوء الروايات التى هى سبب النزول، قام الشاه ولى الله يخالف هذا الاعتقاد السائد ويعارضه قائلا:

«ما دامت الغاية من وحى القرآن تطهير الانسانية وتشريفها وما دام القرآن يقصد بآياتها تقويم المعوجات من العقائد وتحسين الأعمال بالصالحات فوجود الاعوجاج فى الاعتقاد ووجود السيآت فى الأعمال هو الباعث لنزول الآيات من الجدال والأحكام».

وقال الواضع فى الفصل الثانى من الكتاب، نزل القرآن بلسان عربى مبين، فأدركه العرب كلية بمجرد ما سمعوا أو قرأوا من آياته، من دون تفكير طويل، بحيث أن الرسول لم ينشط لهم أن يخوضوا فى الآيات المتشابهات فما سألوه عن التعليل العقلى لأمثال تلك الآيات. فلما أسلم العجم واعتنق بالديانة الاسلامية غير العرب قامت على وجهها من العقبات والعراقيل أمثال ما تأتى:

١- التورط والابهام فى بعض الكلمات.

٢- قصور العلم بما يتعلق بالناسخ والمنسوخ.

٣- قصور المعرفة بما يتعلق بأسباب النزول لبعض الآيات.

٤- التعقيدات من علم النحو، والاشكالات من علم البلاغة والبيان.

فكل ما يتعلق بالتعقيد فى الكلمات والغموض فى بعض المفردات، يقول الواضع عنها إن مدلولات أمثال تلك الكلمات وصلت إلينا سندا عن عبد الله

ابن عباس عن عديد من الرواة وقد جمعها الواضع فى كتاب سماه «الفتح الخبير»، وهو الفصل الخامس من هذا الكتاب.

وعلى ذكر المنسوخات يقول الشاه إن المتقدمين من الكتاب عبروا عن كلمة «ناسخ» أوسع معانيها حتى بلغت أعداد الآيات من نوعها إلى ما لا يقل عن خمسمائة آية. فأنزلها السيوطى سندا عن ابن العربى إلى عشرين آية ثم هبط بها الواضع فقللها إلى خمس فقط.

وأما مسئلة مناسبات نزول القرآن فيوكد الواضع فى بابها أن منطوق «سبب النزول» هو محل الخلاف فى البحث. فكل حادثة وقعت أيام النبوة وانطبقت على حدوثها آية ما أحرى بأن توضع بالأهمال وعدم الاكتراث موضع «السبب» لنزول تلك الآية. والتصريح العام «نزلت الآية فى هذه» من الكاتبين القدماء لا يحتم علينا أن نقول إن هذه الأحدوثة كانت سببا لهذا التنزيل.

وأما قضية الأخلاق الأدبية اللغوى والاشكال النحوية فأتى الواضع بقائمة طويلة ذهب فيها بكل تعقيد من اللغة، وحل فيها كل إشكال من النحو.

وفى الفصل الثالث من الكتاب أوضح الواضع صفات اختصاصية لأسلوب القرآن، وبيت القصيد فى ذلك أن نصوص القرآن ومتونه ليست موزعة منظمة ككتاب مرتب موضوع. فالواضع يقارن السور بالأحكام والمامورية التى تصدر الأوامر لتابعيها من حين إلى حين كما تتقاضاه الأحوال والظروف. ومن الحق أن هذه المقارنة التى قام بها الواضع بالبراعة والاتقان وبشىء من البسط والتفصيل هى فكرة جديدة بالتقريب.

فى الفصل الرابع من الكتاب انتقاد عمومى من الواضع على البقية الباقية من

فى التفاسير، والنقطة المهمة فيما قال عن الاتقـاد أن المفسرين المختلفين فيما بينهم اتجاهاً. راقهم أن يكتبوا وفق ما يتمتعون بالاختصاص فى نواحى العلم والأدب. فالنحوى مثلا وضع تفسيره على وجوه نحوية وكذلك الفلسفى فسر فى ضوء من دلائل عقلية. وهذه الناحية من العمل هى أضرت فى فهم القرآن أشد الضرر، فحالت دون درك الروح الحقيقى من القرآن.

وكذلك علم التجويد الذى ألهى قراء القرآن عن الخوض فى المعانى الحقيقية للآيات وإدراكها وحولهم ليرتلوها حق الترتيل ولا غير.

(٥) الشروح والحواشى على التفاسير السابقة — ٣

١ - لقد ذكرت فيما سبق خطورة تفسير البيضاوى وما له من الأهمية والاعتبار ومن الحواشى التى وضعها كتاب الهند على البيضاوى أعمها مطالعة وأكثرها رواجاً هى ما كتبها عبد الحكيم السيالكوتى (١٦٥٦ — ١٠٦٧) الذى كان عالما شهيرا ومثقفا كاملا من أعيان الدولة فى بلاط الملك «شاه جهان»، وقد طار صيته وصوته وهو حى كمفسر متضلع يضع الشروح ويكتب الحواشى إلى أبعد الحدود. إلى ما وراء تخوم الهند حتى بلغت صاحب كشف الظنون فى قسطنطينية فذكره فى «كشفه» وهما كانا معاصرين. وحيث أن المهم من البيضاوى هما السورتان الأوليان فقد قام عبد الحكيم بتحشيته ولكنه لم ينجز العمل فأتمه إلى ثلثة أرباع الجزء الثانى فقط وحواشيه كلها مزينة مدبجة.

وقد تكلم صاحب «خلاصة الآثار» عنه وعن حواشيه برفعة الشأن وجلالة القدر ويقول عن حاشيته على البيضاوى «رأيتها وطالعت فيها أبحاثا دقيقة».

وفيما يلي من حاشيته بعض المزايا والصفات :

١ - هي تقدم تعليلات لغوية وتشريحات نحوية للكلمات المغلقة والعبا
الملتوية من البيضاوى.

٢ - هي توضح الغموض والابهام من العبارات للبيضاوى.

٣ - هي تحقق الأحاديث التي أوردها البيضاوى وتختبرها ثم تاتى باسنادها
لم يأت بها البيضاوى وهى كذلك تسرد متون الحديث بتمامها عندما أج
بها المفسر.

٤ - ومن مزايا هذه الحواشى المهمة أن عبد الحكيم لكونه حنفيا يدافع
الادلة لكونه معارضا للبيضاوى لانه شافعى فى مسلكه.

٢ - «الكمالين حاشية الجلالين»، لكاتبه سلام الله (١٨١٣ - ١٢٢٩) و
من سلالة عبد الحق الحق المحدث الشهير فى دهلى وكان هو محدثا بنفسه صن
عديدا من الكتب وحاشيته على الجلالين مجملة موجزة كاجمال المتن نفسه و
نالت قبولا فى الهند عظيما.

٣ - «الهلالين حاشية الجلالين»، لكاتبه تراب على (١٨٦٤ - ١٢٨١) و
كتب أخرى عديدة وحاشيته ليست بحتة عادية من الحواشى ولكنها كالشر
الممزوج فهى أجمع وأوسع من الكمالين. ولو لم تقصر دون الجزء الأخير
القرآن وكانت كاملة كالكمالين، لكانت أعظم نفعا وأكثر خيرا.

ولما لم تكن العربية يوما ما لغة البلاد، آثرت الهند لطبيعة الحال إ
المؤلفات وإبداع الموضوعات على نوع الحواشى والشروح لتمكن من أولاد
وتجعلهم قادرين على أن يفهموا مستوى الكتب العربية المدرسية، أن الحوا

الملاحظات التي وضعت في الهند هي نافعة جدا وهي أكبر مساعد كما أشار إليه الأستاذ مارگوليتهِ في مقدمة كتابه Charestomathia Baudiana عند ذكره عن الحواشي المطبوعة في لكناو وقد كانت بين الحواشي الثلاثة التي استفاد منها الأستاذ في كتابه فقال «لو كانت طباعة الحجر لهذه الحواشي أجلى وأوضح لكانت أجدى نفعا للتعلمين».

ذلك ما قاله الأستاذ على حاشية معلومة ولكنه ينطبق على أكثر الحواشي والشروح الموضوعة في الهند ويمثلها بلا جدال.

(٦) فهرس القرآن وقاموس كلماته — ٢

أن المثل الأوربي المتقن للفهرس اليوم لا شك عمل عصري حديث، ولكن كلمة بأوسع المعاني معروفة المدلول منذ عهد قديم بأنها قائمة محتويات الكتاب، أما الفهرس كقاموس لكلمات كتاب فليس له من القدامة عهدا يذكر، فقد أدركه العلماء المسلمون وعرفوا به عندما هموا بعلم أطراف الحديث ولعل كتاب أطراف الصحيحين لابن عبيد الدمشقي (١٠٠٩ - ٤٠٠) أول كتاب من جنس الفهرس وضعه كاتب مسلم.

فهرس القرآن

١ - «هادية قطب شاهي»[١] وضعه محمد على الكربلائي وأهداه إلى السلطان عبد الله قطب شاه (١٦٧٢ - ١٦١١ — ١٠٨٣ - ١٠٢٠). والكتاب على قسمين، قسم رتبت الآيات فيه وفق أوائل الحروف منها وقسم يأتي بالآيات بأواخر أحرف منها، وفي كلا القسمين يذكر الواضع «الجزء»، و«الحزب»، و«السورة».

١ - هذا الكتاب في عداد الكتب الفارسية كما قال عنه مستر استوري في فهرسه عن الآداب الفارسية (أنظر رقم ٨٤) ولكن لنا أن نسجله كتبرع إلى اللغة العربية لأنه ليس إلا قاموسا للكلمات العربية.

٢ ـ «نجوم الفرقان»[١]. لكاتبه مصطفى ابن محمد سعيد الذى أهداه إ
السلطان اورنگ‌زيب وهو ليس كتاب فواتح الآيات أو خواتيمها ولكنه قاد...
لكل كلمة القرآن، فهو عصرى فى نسقه ونظامه بالكلية كمثل فهرس فليوگل من د...
النوع المسمى كذلك بنجوم القرآن.

بين النجومين

يبدأ فليوگل بوضع الكلمات طبق مادتها ثم يأتى بكل مشتقاتها من الأص...
ولكن مصطفى يرتب الكلمات من غير قيد المادة والاشتقاق، فكتابه إذاً أرفق
وأيسر من كتاب فليوگل الذى لا يقود بالطالب إلى الكلمة المطلوبة إلا إذا كان
عارفا بالمادة، ولكن نظرا إلى المقاصد اللغوية نجد فهرس فليوگل أنفع من غير
فلو جمعنا بينهما لكان فى ذلك ما يكفى ويغنى.

وثمة فارق آخر بين الكتابين وهو أن فليوگل يذكر السور والآيات بالرقو...
بينما المصطفى يشير إلى الجزء والركوع. فليوگل يأتى بالأعـــداد ومصطفى يضـ...
حروف الأبجد وفيه من الوعورة والنقص ما لا يخفى.

وقصارى الكلام أن نجوم مصطفى كانت من أحسن الفهارس للكلمات القرآنية
إلى أن وضع فليوگل نجومه وليس من دواعى العدالة أن نفتكر فى المقارنة بين
النجومين نظرا إلى التيسيرات المدهشة العصرية.

١ — يرى مصطفى المشورى هذا الكتاب كذلك فارسيا ولكنه عمل عربى لما قيل ولأن مقدمته نقلت إلى العربية
وفى طبع مدراس ١ - ح ١٢٩٢ — نشرت المقدمة العربية المترجمة عن الفارسية.

الخـــالـــة

قصة قصيرة بقلم الشاعر رابنـدراناث طـاغور
تعريب: الأستـاذ عبد الحليم الندوى

«خالتى......!»

«حاول أن تنام يا جوتين. لقد تأخرت كثيراً!»

«لا بأس به. لا تهتمى فانى لا أعيش كثيراً؛ ..... نعم كنت أفكر أن انى' لا بد وأن تذهب إلى والدها...... آه لقد نسيت اين هو ساكن الآن؟»

«بسيتارام پور».

«إى نعم. سيتارام پور. أرسليها هناك، إلى سيتارام پور. فليس من المستحسن ن تبق عند مريض مثلى إلى زمن طويل، ثم إنها بنفسها ليست قوية. تتمتع سحة جيدة».

«يا له من حكيم عاقل، اسمع لهذا الولد! وهل تظن أنهـا تتحمل فراقك أنت فى هذا الحال من المرض؟»

«وهل هى تعرف ما قالته الدكاترة؟»

«ولكنها بنفسها تستطيع أن تدرك ما أنت فيـه بمجرد النظر إليك! ثم إنها

ذلك اليوم انفجرت بكلا بمحض الاشارة منى للذهاب إلى بيت أبيها».

وهنا يجدر بنا أن نوضح على الأقل أن الخالة فى قولها هذا تعمدت تقيب الأمور. إنها لم تصدق لجوتين. لأن مجرى الحديث الحقيقى الذى دار بين وبين «مانى» كان على النحو التالى:

«أرى، يا بنتى، انك لا بد أن تحصلت على معلومات عن أبيك؟ وكذلك أتذكر أنى رأيت عمك هنا منذ يوم».

«نعم. ستعقد يوم الجمعة القادم حفلة 'ان پروشن' بمناسبة إعطاء الأرز لأول مرة لاختى الصغيرة وتسميتها. ولذلك أفكر أن......».

«جميل جداً يا بنتى. ابعثى لها عقداً لهذه المناسبة الكريمة. وسوف تسر أمك أيضا».

«لا لا. أنا أفكر أن أذهب إليها بنفسى. لأننى لم أر أختى الصغيرة إلى الآن، مع أنى كنت أتوق إليها كثيرا».

«مهما تقولين، فانك طبعا لا تعنين أنك تتركين جوتين وحيداً. ألم تسمع ما قاله الدكتور حول مرضه؟».

«ما ذا؟ سوى أنه قال إن حاله الآن لا تدعو إلى سبب خاص ل...

«ومع ذلك فانك تستطيعين أن ترى ما به بنفسك؟».

«ولكن هذه الوليدة هى البنت الوحيدة بعد ثلاثة أخوة، إذاً فلها أهميتها ثم إنى سمعت أن لهذه الحفلة شأن عظيم، وإن لم أشترك فيها لا بد أن تكدر الأم جد.......».

«نعم نعم . ما أنا قادرة أن أفهم أمك . ولكنى أعلم أن أباك سيغضب يك جداً لو تركت جوتين الآن» .

«صدقت . ولذلك أريد منك أن تكتبي له سطراً تقولين له إنه ليس هناك يدعو إلى القلق ، وإننى لو ذهبت لا يؤدى هذا إلى......» .

«أصبت . إن ذهـابك الآن لا يؤدى إلى خسارة كبيرة . ولكنى لو كتبت ى أبيك لأبديت له بموضوع ضمرته فى قلبى» .

«إذاً لا حاجة لكتابتك إليه . أنا أسأل زوجى وأتأكد أنه......» .

«اسمعى ، يا بنت ! لقـد تحملت منك أكثر من اللزوم . فان فعلت ذلك ، ا أحتمله ولا لدقيـقة واحـدة . ولا تنسى أن أباك سيعلم جيداً خـداعك له ما تمكرين» .

فلما ذهبت الخالة وتركتها ، ألقت مانى بنفسها على الفراش وهى ثائرة هائجة . بما جاءهـا جيرانها وصـديقاتها يسألنها عن الأمر . فاندفعت تقول «يا له من خزى والعـار . إن حفـلة 'أن بروشن' لأختى الصغيرة الوحيـدة عـلى وشك لانعقاد . ومع ذلك هؤلاء لا يسمحون لى بالذهاب إليها» .

«وهل تفكرين فى الذهاب إليها وزوجك يعانى مرضاً شديداً ؟ هل أنت...؟» .

«ولمـا ذا لا ؟ أنا لا أعمل له شيئاً . ثم أنا لا أستطيع ولو حاولت ما حاولت ! إن هذا البيت محل قتال وأنا لا أستطيع أن أتحمل فوق ما تحملت !» .

«إذن أنت امرأة غريبة الأطوار !» .

«ولكننى لا أقدر أن أتصانع — كما تفعلن أنتن — وأجلس عابسة مـ
مخافة أقاويل الناس وسوء ظنهم بى».

«إذن ما ذا قررت؟ أخبرينا!»

«لا بد أن أذهب وما هنا غير ذلك. ولن يستطيع أحد أن يمنعنى!»

«شش شش — بالك من شابة عاتية مستبدة!»

ولما سمع جوتين من خالته أن مانى كانت قد بكت لمجرد فكرة إرسالها بيت أبيها، فقد تأثر من ذلك إلى حد أنه هب ناهضا وجلس على الفراش وجذب مخدعه إليه، وأسند ظهره به ثم قال:

«من فضلك يا خالتى، افتحى هذه النافذة قليلا، وأبعدى عنى ذلك المصباح

والدنيا ليل لم ينتهِ بعد. بل ما زال متلاصق النافذة فى صمت رهيب زائر سرمدى. والنجوم — شاهدات مناظر الموت من زمن طويل — ما زا ترمق وتطل عليها من علياء السماء. وفى هذه اللحظة رأى جوتين وجه متجليا على ستار هذا الليل المظلم وهنا تراآى له عيناها الكبيرتان السوداو تترقرق بالدموع كأنها أزلية لا تفنى.

وأحست الخالة شيئا من الراحة حين رأته فى سكون تام، وحسبته نا ولكنه بغتة هب وانفجر قائلا:

«خالتى، كنتم كلكم تظنون أن مانى شرسة، طائشة لحد أنها لا تستطيع تعيش سعيدة راضية فى بيتنا. ولكنكم سترون أن......».

«لقد تأكدت الآن، يا ولدى، أنى كنت مخطئة إذ ذاك. وإن خير ميز

، هو الاختبار».

«خالتى!»

«حاول النوم، يا عزيزى».

«اسمحى لى أفكر برهة. خلينى أتحدث. أرجوك يا خالة لا تغضبى».

«طيب».

«ذات مرة، منـذ زمن بعيد، حين كنت أفكر، لم أستطع أن أفوز بقلب
نى ولكننى تحملت ذلك فى سكوت وهدوء تام. ولكنك أنت.....».

«لا لا، أبداً يا حبيبى. أنا لن أسمح لك بهذا الكلام، أنا أيضا تحملته».

«إن أذهـاننا — كما تعرفين — ليست مجرد قطعة من طينة جامـدة يمتلكها
لو بمجرد التقاطهـا من الأرض. وأنا أعتقـد أن مانى نفسها لا تعرف ذهنها
لك لو أصابتها صدمة من الحياة......».

«نعم يا جوتين، أنت مصيب».

«ولهذا السبب لم أقم كبير وزن لخشونتها وعصيانها».

وظلت الخـالة صامتة تخفى أنينها. وليس مرة واحدة بل مرارا كثيرة رأت
تين يقضى لياليه فى الشرفة تحت رشحات المطر ولا ينتبه للذهـاب إلى غرفة
. وكم من الأيام ظل جوتين مستلقيا على فراشه، وهو يحرك رأسه رغبة منه
كما هى تعتقد — فى أن تجىء مانى وتمسح جبينه وتلطف به وتسليه، ولكنها
تلك اللحظة قـد تكون استعدت للذهاب إلى المسرح. وأما الخـالة فعندما
تذهب إليه لتحرك المروحة يستنكرها ويصدها بشدة. وهى وحـدها تعلم

مدى الألم الذى يعانيه من تلك الحوادث. وكم مرة أرادت أن تقول له ..
تهتم كثيراً لهذه البنت الحمقاء يا حبيبى، دعها تتعلم كيف تكون المطالبة — ...
لجلب الأشياء». ولكن مثل هذه الأشياء ليست جديرة أن تقال إذ يحتمل ...
يغلط المخاطب فى فهمها.

وكان جوتين قد بنى معبداً فى قلبه لاله الحب، وهنا فى هذا المعبد كانت ...
متربعة على عرشها، ولذلك ما كان جوتين يتصور حرمان نفسه نصيبها من ...
الحب التى صبته بيدها هذه الفاتنة. ولهذا لم تبرح طقوس العبادة تقام ...
تزل الأضاحى تقدم، ورجاء البركة لم ينقطع أبداً.

بينما كانت الخالة للمرة الأخرى تظن جوتين نائماً، إذ هو يصرخ فجأة قائلا

«لقد عرفت إنك تريننى أنى لست راضيا من ... مانى، ولذلك أنت ...
تكرهينها. وإنما السعادة يا خالتى مثل تلك النجوم التى لعدم قدرتها على السيطرة
على الظلام كله تترك فراغا بينها وبينه. إننا نخطىء فى الحياة ونغلط ومع ذا...
لا يزال هناك فراغ يشرق منه نور الصدق. ليتنى عرفت متى تأتى إلى تلـ...
السعادة التى تفعم قلبى الليلة».

وأخذت الخالة تمسح بيديها جبين جوتين بحب ووله، ودموعها تختنق ...
الظلام وتغيب.

«أفكر يا خالتى، أنها فتاة ما زالت فى ريعان شبابها، ما ذا ستعمل إن أنا...

«فتاة فى ريعان شبابها، جوتين؟! بل هى مسنة لحد ما. أنا أيضا كنت ...
نضرة شبابى حين فقدت معبودى وروح حياتى، لكى أجده دائما فى قلبى.
نظنها خسارة؟ ثم هل السعاده شىء لا بد منها؟»

«آه يا خالتى! يظهر أن الساعة التى يستيقظ قلب مانى لأجلى، فى نفس تلك الساعة كتب لى أن......»

«لا تهتم بها ولا بقلبها، جوتين! فهل هناك يرجى أكثر فائدة من أن يستيقظ قلبها؟»

وهنالك فى تلك اللحظة تذكر جوتين فجأة قطعة من أغنية لمطرب ريفى سمعها منذ زمان بعيد:

«ويحك يا قلبى! لم تستيقظ حين قدم رجل قلبى إلى بابى،
وها أنت أفقت على صوت أقدامه المتراجعة.
ويحك، لقد استيقظت فى الظلام»!

«كم الساعة الآن. يا خالة؟»

«التاسعة تقريبا».

«التاسعة فقط إلى الآن؟! كيف! لقد ظننت أنها لا بد أن تكون الثانية أو الثالثة. ليلى النصف — كما تعلمين — يبدأ بعد غروب الشمس مباشرة. ولكن لما ذا كنت تريدين منى أن أنام إذن؟»

«ولما ذا لا؟ أ لا تذكر أنك سهرت الليلة الماضية كثيراً تتحدث؟ فلا بد لك أن تنام الليلة مبكراً».

«وهل نامت مانى؟»

«أوه لا. هى مشغولة فى صنع شوربة لك».

«أ حقا ما تقولين، يا خالتى؟ هل هى.....»

«حقا. إنها بنفسها تطبخ لك طعامك. يا لها من زوجة ذات عطف وحنان وكد مع صغر سنها!»

«ولكنني كنت أظن أن مانى لا تستطيع أن......»

«ولماذا لا؟ إنه لا يتطلب وقتا طويلا وفن الطبخ فن بسيط يتقنه بنفسه مع الضرورة».

«وشوربة السمك التى تناولتها صبيحة اليوم وكانت تفوح برائحة ممتعة. حسبتها أنك أنت التى صنعتيها».

«أنا؟ كلا! وهل تظن أن مانى تسمح لى أن أعمل لك شيئا؟ ألا تعلم أنها تنظف بنفسها كل ملابسك. لأنها تعرف أنك لا تحتمل شيئاً من الأقذار حواليك. ليتك رأيت حجرة جلوسك. كيف أنها نظيفة تلمع بفضل اهتمامها بتنظيفها. ولو أنى سمحت لها بالدخول فى حجرتك هنا لأنهكت نفسها عملا وتعبا. وأمنية مانى الوحيدة هى العمل».

«إذن. فهل صحة مانى أيضا........»

«الدكاترة لا يسمحون لها بالدخول فى حجرة المريض كثيراً ظنا منهم أن قلبها ضعيف جداً».

«ولكن يا خالتى كيف استطعت منعها من الدخول؟»

«لأنها تطيعنى طاعة عمياء. ولكن مع ذلك أوافيها بكل أخبارك دائماً».

وكانت النجوم تلمع فى السماء كأنها دموع تترقرق فى العيون. وطأطأ جوتين رأسه امتنانا لحياته التى كادت تفارقه فى لحظات. ولما مد الموت يده اليمنى نحو من بين الظلام حملها باعتماده الوثيق.

وتنفس جوتين الصعداء — وكان صبره على وشك النفاد :

« خالتى ، إن تك مانى مستيقظة بعد ، فهل يمكن لى ان أراها ولو دقيقة واحدة — إن ..... » .

« حسناً . أنا ذاهبة لأدعوها إليك » .

« وإنى لا أبقيها طويلا عندى . فقط خمس دقائق . أريد أن أفضى إليها بسر خاص » .

وقامت الخالة متنهدة لتدعو مانى ، بينما كان نبض جوتين يزداد سرعة لقلبه الخفاق . وكان يعلم جيداً أنه لم يتمكن أبداً من التحدث إلى مانى فى جو من الصراحة لا تعلوها كلفة ولا تصانع . إن هاتين الآلتين كانتا قد ركب أطارهما بألحان مختلفة متناقضة تماما . ولذلك لم يكن من السهل أن يعزف عليهما فى وئام وانسجام تام .

وكم مرة انتابت جوتين صدمة من الآلم والحسرة للاستماع إلى مانى وهى تحادث زميلاتها وتضاحكهن فى سرور وغبطة . ولكنه كان يحمل مسئولية عملها هذا على نفسه . لما ذا لم يحاول هو ولو لمرة واحدة أن يتحدث إليها — أسوة بزميلاتها — فى الأحاديث الطفيفة التى لا علاقة لها بالعلم ، ولا يربطها موضوع خاص بين أخراها . ولم يكن ذلك لعدم استطاعته بها إذ أنه كان يتجاذب أطراف الأحاديث السطحية الممتعة وهو جالس بين أصدقائه ، وكان يثرثر بكلام فارغ لا يشوبه تفكير ولا علم ولا دقة . ولكن الأحاديث الطفيفة التى تليق وتناسب الرجال ليست جديرة بأن تفضى بها إلى النساء . ثم يمكن لك أن تحدث نفسك بنفسك فى المواضيع الفلسفية وتتغافل عن مستمعيك الراغبين عنك تماما ، ولكن السمر والتحادث ، لا يمكن أن يجرى إلا إذا شاركه الاثنان على الأقل . ويمكن

العزف على واحد من الزمارة (Bagpipe) ولكن العزف على واحد من الصـ (Symbals) محال لا يمكن إلا إذا كان زوجين اثنين.

وكان جوتين عبثا قد حاول مرارا — وهو جالس مع مانى فى الأيام الماضـ فى الشرفة المفتوحة — أن يحث نفسه على الكلام لكى تتدخل مانى بالقطع عليه ولكن محاولاته هذه كانت تبوء بالفشل لما اعتراه من طأطأة رأس سكو وحسرة وخجلا.

وكان جوتين يحس أن مانى تحاول أن تنسحب، ولذلك كان يتمنى من صمـ قلبه أن يجيئه رجل ثالث إذ أن الحديث يكون حلوا ممتعا إذا اشتركت ثلاثة فيه ولربما ثقل على الأثنين.

وأخذ يفكر فى هذه اللحظة. ماذا سيقول لمانى إذا جاءت، ولكن هذ الأحاديث المختلفة لم تكن لتطمئنه. ولذلك كان جوتين يخاف أن الدقائق الخـ السانحة له فى هذا الليل ستمضى سدى. ولكن مع ذلك كانت عنده بعض لحظات تكفى للحديث الحقيقى.

«ما هذا يا بنتى؟ هل أنت ذاهبة إلى مكان ما؟ هل أنت؟»

«بلا شك. أنا ذاهبة إلى سيتارامپور».

«ما ذا تعنين؟ ومن يأخذك إلى هناك؟»

«أناتها».

«اليوم؟ لا يا بنتى. فى يوم آخر».

«ولكن المقعد فى القطار قد حجز فعلا».

«لا بأس به. هذه الخسارة يمكن تحملها. اذهبي صباح الغد مبكرا».

«لا لا، يا خالتى، أنا لست تاركة إرادتى لأيامك المتشائمة. وأية خسارة
ثى إذا سافرت اليوم؟»

«جوتين يريد أن يتحدث إليك».

«حسناً، ما زال فى الوقت متسعا. أذهب الآن أزوره».

«ولكن إياك أن تقولى له أنك ذاهبة اليوم».

«حسنا جداً لن أقول له. ولكننى لن أستطيع أن أقعد عنده وقتا طويلا.
اً ستبدأ حفلة 'انپروشن' لأختى، لذلك لا بد أن أذهب اليوم».

«ايه..... يا بنتى. أرجوك أن تستمعى إلى لهذه المرة. أزيلى من فكرتك
خامرها واجلسى عنده برهة. ولا تبدين له أنك مستعجلة».

«ما ذا أعمل أنا عنده؟ القطار لا ينتظرنى ثم إن اناتها برجع بعد عشر
دقائق. إلى ذلك الحين أستطيع أن أجلس عنده».

«لا..... ذلك لا يفيد. أنا لا أخليك تذهبين عنده فى هذه الحالة.
آه! يا لك من قاسية. الرجل الذى تعذبينه راحل عن هذا العالم عما قريب.
لكننى أحذرك أنك لا تزالين تذكرين هذا اليوم إلى نهاية أيامك، أعنى انك
ستعلمين يوما ما أن هناك إله، أن هناك إله».

«خالتى، لا بد وأن تكفى من هذه الشتمات».

«آه، يا بنتى العزيزة، يا حبيبتى، كيف تحلو لك الحياة بعد هذا. أ لهذا الاثم
ست نهاية؟ ومع ذلك لست أستطيع أن أمنعك منه».

وعادت الخالة بعد تأخير قليل إلى جوتين وهي ترجو أن تراه نائماً الآن ولكن جوتين تحرك على فراشه عند شعوره بدخولها – وهنا بدأت الخالة تقول

«انظر ما ذا فعلت!»

«ما ذا حدث؟ ألم تجيء مانى؟ ولما تأخرت كثيراً، يا خالة؟»

«وجدتها تبكي أحر البكاء، لا لشيء سوى أنها غفلت عن حليب شوربتك فاحترق. حاولت أن أسكنها وأهدئها قائلة، ولم تحزنين؟ فان هناك حليب آخر تستعملينه. ولكنها بفكرتها أنها كانت لاهية عن صنع شوربتك إلى هذا الحد جعلتها متأثرة هائجة. وبعد جهد شاق تمكنت من أن أهدأ من حزنها واستطعت أن أطرحها على الفراش. ولذلك ما جئت بها اليوم، خليها تنام الليلة مرتاحة البال».

مع أن جوتين أحس بألم لعدم مجيء مانى إليه، إلا أنه وجد شيئاً من الراحة أيضا. وكان يخاف بعض الشيء – نظراً لما كان قد حدث من قبل – أن قدوم مانى إليه ومثولها أمامه ليحدث الضغط على قلبه ويسبب تهيجاً فيه ولكنه لما فكر أنها حزنت على احتراق حليبه وجد قلبه يفعم فرحا وسروراً.

«خالة!»

«ما ذا تريد، بابا؟»

«أعتقد حق اليقين أن أيامى كادت أن تنقضي. ولكننى لا أتأسف لها لا تحزنى لى يا خالة».

«لا لا أبداً، يا حبيبي. أنا لا أحزن لك. إذ لست أعتقد أن الحياة خير ما يملكه المرء وأن الموت ليس شيئا بغيضا».

«خالتى، أقول لك بصدق، أن الموت يترآى لى حلوا سائغا».

ولمح جوتين، وهو يحملق بعينيه نحو السماء المظلمة أن مانى هى التى تدنو إليه فى شبه الموت، تتهادى بجمالها الأزلى. وكأن النجوم أزهـار فرشت بها أيدى آلام العالم طرقها المظلمة. وهنا خيل إليه أنه لمرة ثانيـة ينظر إلى عروسها من وراء ستار الأسود، وقد أضاء الليل كلـه بنور عينيهـا السوداوين الحبيبتين وانقشعت ظلمته. وقامت مانى البنت الصغيرة، عروس هذه الدار أمامـه متمثلة فى صورة حلم، وهى تتمكن على عرش قد اتخذته لها على قمم النجوم حيث تلتقى الحياة بالموت. وقال جوتين وهو يشـد يديه: «وأخيراً لقد رفع الستار واختفى الغطاء فى هذه الظلمة الحالكة!» آه! رائع! رائع! كم مرة عذبت قلبى، ولـكنك بعـد اليوم لن تستطيعى أن تتركينى أبداً».

«أنا فى ألم يا خالتى! ولـكنه ليس كما تظنين. ويخيل إلى أن آلامى أخذت تجر نفسها من حياتى تدريجيا كأنها سفينة مشحونـة كانت مربوطة بحبال وثيقـة، وقد قطعت حبالها، وهى تسيرها بسرعة حاملة كل أثقالى. أنى أستطيع أن أشاهدها الآن، ولـكنها ليست ملكى. ولـكن يا خالتى، أنا لم أر مانى ولو لمرة واحدة فى اليومين الماضيين».

«جوتين، هل أجىء لك بمخدع آخر؟»

«يبدو لى، يا خالة، أن مانى أيضا قـد تركتنى مثـل تلك السفينة المشحونة بالآلام التى ما زالت تخترق سبيلها نحو الأمام».

«ارشف شيئاً من عصير الرمان. إن حلقك أخذ ينشف».

«لقد كتبت وصيتى أمس هل أريتك إياها؟ لا أستطيع أتذكرها!»

«لا حاجة لى بمشاهدتها، يا جوتين».

«لما توفيت أمى لم أكن أمتلك لنفسى شيئاً، أنت التى غذيتنى وربيتنى ولد
كنت أقول.....»

«ما هذه الخرافة يا ولد؟ إنما كنت أمتلك هذا البيت وقليلا من الن
فقط، والباقى فمن كدك».

«ولكن هذا البيت......»

«وليس هذا بشىء. ولما ذا لا. إنك قد أضفت إليه شيئا كثيرا
كدت لا أعرف بيتى الآن».

«أنا متأكد من أن حب مانى لك فى الحقيقة......»

«نعم نعم، أنا عارفة ذلك تماما، يا جوتين. أما أنت فحاول أن تنام الآن

«مع أنى قد أوصيت بكل عقارى لمانى، ولكنها طبعا تكون تحت تصرفك
يا خالتى، لأن مانى لن تعصيك أبداً».

«لما ذا تهتم بمثل هذه الأشياء، يا حبيبى؟»

«كل ما أملك يا خالتى فهو لك، لا تظنى لحظة واحدة عندما ترين
وصيتى أن......»

«ما ذا تعنى، يا جوتين؟ هل تظن أنى أجد عليك ولو لحظة لأجل إعطا
مانى ما تمتلكه يديك؟ كلا، لست دنيئة لهذا الحد».

«ولكنك أنت أيضا......»

«اسمع يا جوتين، أنا اغضب منك الآن، أنت تريد أن تسلينى بالد

«آه يا خالتى، كم أتمنى لو أعطيتك شيئاً أحسن من الدراهم».

«وذلك قد فعلت، يا جوتين، وأكثر من ذلك. ألم تعطنى نفسك لأملأ به بيتى الوحيد؟ أما هذه الثروة فاننى لا شك كنت امتلكت منها الكثير فى حياتى الماضية فى الأزمان الغابرة. ومع ذلك فانك قد أعطيتنى منها قدرا كبيراً فى هذه الحياة أيضا. إننى — ولو حرم حظى منها للأبد — لا أستطيع أن أشكو أو أرغب فيها. نعم نعم أوص بكل شىء لمانى — بيتك، ثروتك، سيارتك، عقارك، لأن أحمالا كهذه ثقيل علىّ حملها».

«لا شك، وإنى متأكد من انك قد فقدت طعم التلذذ بالحياة ولكن مانى لاتزال فى نضرة شبابها حيث......».

«لا. لا تقولن هذا، إذا كنت تريد أن تهب ملكيتك لمانى فذاك حسن لا بأس به. ولكن التلذذ بالحياة ف......».

«ولكن أية خسارة يا خالتى تخشى إذا أتيح لمانى أن تتمتع بالحياة؟».

«لا لا. هذا مستحيل، لأنها تصبح غصة فى حلقها، ثم تتحول إلى رماد وتراب».

وظل جوتين صامتا يخيم عليه الوجوم لعدم استطاعته من التأكد ما إذا كان فى الأمر شىء من الصدق أم لا؟ وهل هى مسألة أسف أم غيره بأن مانى تصبح لا تجد لذة فى العالم بمجرد فقدها إياه؟ وهنالك تراآى له أن النجوم تهمس فى أذنيه قائلة لقلبه «إنه صدق بلا شك. إذ أننا ما زلنا نرى منذ آلاف السنين ونعتقد أن هذه الاستعدادات الفخمة للذات والتمتع لا تنوى إلا عن الرياء والتفاخر.

وتنهد جوتين قائلا:

«إننا لا نستطيع أن نترك وراءنا ما هو خليق بأن يعطى!».

«إن ما تمنحها، يا حبيبي، ليس بشيء ضئيل. وأنا إنما أدعو الله أن يهب أهلية تستطيع بها تقدير عظمة موهبتك لها».

«اعطني من فضلك، يا خالتي، قليلا من عصير الرمان لقد أصبحت ضم... حقا إني أستغرب ما إذا كانت ماني جاءتني يوم أمس؟».

«إي نعم، كانت قد جاءت، ولكنك كنت نائماً. فجلست بجانب رأسك تحرك لك المروحة وقتا طويلا ثم تركتك لتغسل ثيابك».

«عجيب حقا. أذكر أنني في اللحظة التي كانت ماني تحاول أن تدخل حجر... كنت أرى حلما. يتخيل إلي أن الباب كان مغلقا إلا قليلا فأخذت تدفعه. ولكـ... أبى أن ينفتح. ولكن يا خالتي. لقد نسيت خطورة الموقف. ولا بد أ... تسمحي لها أن تراني لأنني سأموت. وإلا سيصبح موتي صدمة كبرى لا تطيقها».

«إيه! يا ولد، خلني أضع هذا الشال على قدميك. إنها أخذت تبرد».

«لا يا خالة، لا أقدر أتحمل شيئاً مثل هذا على جسمي».

«وهل تعرف يا جوتين أن ماني نفسها نسجت لك هذا الشال. وكيف قد ضحت بأوقات استراحتها ونومها منهمكة به، حتى كملته يوم أمس فقط».

فأخذ جوتين الشال بيديه وأخذ يلمسه بحب وحنان. وبدأ له كأن نعوم... صوفه هي نفس نعومة ماني. وأن عواطفها الحبيبة لا بد وان كانت قد نسجت مع خيوطه وهي منهمكة في نسجه ليلة تلو الأخرى. وليس هذا الشال مصنو... بمجرد الصوف فقط بل لقد حظي بلمس أناملها أيضا. ولذلك لما ألقت خ...

الشال على قدميه، خيل إليه أن مانى ما زالت تقبل جسمه المنهوك وتلاطفه طوال الليالى!

«ولكننى اعتقد يا خالة، إن مانى لا تعرف كيف تنسج، وعلى كل فانها لم تحب النسيج أبدا».

«صحيح. ولكن معرفة شىء لا يتطلب وقتا كثيراً. وأنا بدورى قمت بتعليمها وتدريبها. ولذلك تجد فيه كثيراً من الغلطات النسجية».

«ولا حرج. اننا لا نرسله لمعرض باريس. وهو يدفأ قدمى مع ما كان فيه من غلطات».

وهنالك أخذت مخيلة جوتين ترسم له صورة مانى، وهى منهمكة فى العمل تارة تخطىء وتارة تصيب، تواصل الليلة تلو الأخرى. تنسج له الشال بصبر وثبات. يا له عن عمل حلو حامض، ومرة ثانية اندفعت أصابعه إلى الشال فى حنان ووله.

«خالتى! هل الدكتور موجود تحت؟»

«اى نعم هو يبيت الليلة هنا».

«ولكن قولى له أن لا يعطينى دواء منوماً فانه لا ينفع. وبدلا من أن يمحى يزيد فى ألمى. أريد أن أبقى فى حواسى الكاملة. هل تعرفين يا خالتى أن قران زواجنا كان عقد فى ليلة من ليالى «بيساكم» كاملة القمر، وغداً ستأتى تلك الليلة، ونفس نجوم تلك الليلة ستلمع فى السماء. لعل مانى قد تكون ناسية ولذلك أريد أذكرها بها فأدعيها إلى لدقيقة أو دقيقتين .... لما ذا أنت صامتة يا خالة؟ أظن أن الدكتور قد أخبرك بأنى ضعيف. فأى صدمة تودى بى...... ولكننى أصدق لك القول يا خالتى، إنى لو تمكنت الليلة ولو لبضع دقائق من التكلم مع مانى. لما احتجت إلى أية جرعة من الدواء المنوم. لا

تشجى بالبكا. هكذا يا خالتى. فانى فى حالة حسنة. أجد اليوم قلبى كأنه مفعم عهد له به من قبل. ولذلك أريد أن أرى مانى — لا لا يا خالة لا أستطيع أراك وأنت تبكى. عجبا لقد كنت طيلة هذه الأيام الطوال فى سكون وهد. ما بالك الليلة تعذبين نفسك هكذا؟»

. آه يا جوتين. كنت أفكر أننى قد فقدت كل دموعى ولكن يظهر لى أنه ما زالت فيها الكثير باقية إلى الآن. آه لا أستطيع أن أتحمل كل هذا بعد

«من فضلك ادعى مانى. أذكرها بليلة زفافنا لكى تستطيع غداً أن.. .

«أنا ذاهبة يا عزيزى. ستجد «شمبو» جالساً بجانب الباب. تدعوه احتجت إلى شىء» .

وقامت الخالة متثاقلة ودخلت غرفة مانى وألقت نفسها على الأرض تنفجر بكاء:

«آه! تعالى — تعالى يا بنت ولو لمرة واحدة. يا لك من بنت فاقدة القلب — تعالى. لبى إلى طلبه الأخير. إلى طلب الرجل الأخير الذى أعطاك كل ملكته يديه. لا تقتلى الرجل المسكين الذى يتجرع كأس الموت بنفسه!»

«وفجأة نهض جوتين إثر سماع خطوات تدنو منه وهو يقول:

«مانى!»

«أنا شمبو. هل دعوتنى؟»

«اسأل سيدتك أن تجىء» .

«أسأل من؟»

«سيدتك».

«ولكنها لم ترجع بعد، يا سيدى».

«لم ترجع؟ ومن أين؟».

«من سيتارامپور»

«متى ذهبت إلى هناك؟»

«منذ ثلاثة أيام»

وفى لحظته تلك أحس جوتين كأنه فقد وعيه، ورأسه دوران يهز سائر جسمه. فسلل عن المخدع أسفله، وضرب الشال ضربة بقدمه أطارته من الفراش وألقت به بعيداً على الأرض.

ولما رجعت الخالة إلى غرفة جوتين بعد مدة طويلة، ورأته وهو لا يذكر اسم مانى ظنته قد نسى كل شيء عنها.

وفجأة صاح جوتين قائلا:

«هل أخبرتك يا خالة عن الحلم الذى رأيته الليلة الماضية؟»

«أى حلم تعنى؟»

«الحلم الذى رأيت فيه مانى وهى تحاول فتح باب غرفتى بشدة. ولكنه أبى أن ننفتح إلا قيد بوصة، فظلت واقفة خارجها لم تستطيع الدخول. نعم ذلك الحلم. لقد تأكدت منذ اللحظة أن مانى لا بد وأن تظل واقفة خارجة بابى إلى الأبد».

وظلت الخالة صامتة لم تنطق بكلمة. وتأكدت أن القلعة التى كانت قد بنتها

لجوتين قد تحطمت أخيراً بخطأ منها وتناثرت أجزاؤها. إن الهموم والأحزان كان لا بد منها فأحرى بها أن يعترف ويذعن لها فى حينها، وإلا إذا ضربنا الله نصبح لا نطيق لها دفاعا ونجاة.

«خالتى! أنا متأكد أن الحب الذى منحتينى إياه لا يزال يصاحبنى فى حياتى، لأننى قد ملأت حياتى هذه بقسط أوفر منه لكى أدخره لحياتى القادمة وكذلك أتأكد من أنك ستولدين لى كبنت فى حياتى الأخرى. وأنا أرانى بكل حي!»

«ما ذا تعنى، يا جوتين؟ هل تريد أن تقول إننى سأخلق مرة أخرى فى شكل امرأة؟ لما ذا لاتدعو إن اخلق فى شكل ابن لك أساندك فى المصاعب

«لا لا أبداً. لتجىء فى بيتى فى ذلك الجمال النضر الذى كنت تحظين به فى ريعان شبابك، وفى لحظتى هذه أستطيع أن أتصور الزى الذى اختاره لك وأنا أسميك لكشمى».

«ولكنه إسم من طراز قديم، يا جوتين».

«صحيح. ولكنك أنت أيضا خالتى من الطراز القديم. ادخلى بيتى فى تلك الخلقة ذات الطراز القديم مرة أخرى».

«أما أنا فلا أستحسن أن أجىء إلى بيتك فى شكل بنت فاملأ بيتك بمأساة البنت».

«خالة، أنت تحسبيننى ضعيفا فتحاولين أن تخفى منى جميع الآلام».

«أنا امرأة — يا ولدى — ولى نقائصى — ولذلك فانى حاولت طول حياتى أن أقيك من سائر الآلام — لكى أفشل فقط!»

« خالتى، لم تسنح فرصة سعيدة أن أمارس كل الدروس التى تلقيتها فى حياتى،
كنها ستبقى معى لأمارسها فى حياتى القادمة. وحينذاك أبرهن مدى أهلية الرجل
لقيام من جليل الأعمال. أنى قد تعلمت أنه من الخطأ الفاحش أن يفكر الفرد
ئماً لنفسه ».

« مهما قلت يا حبيبى. ولكنك لم تدخر لنفسك شيئاً، بل جدت بكل شىء
لآخرين ».

« ولكن يا خالتى، مهما كان الأمر فانى أستطيع أن أقول شيئاً واحداً، وهو
نى لم أتحول قط إلى طاغية جبار فى حين الفرح، ولم أحاول أن أسلط رغباتى
عف وكره، لأن الأكاذيب لم تقنعنى، ولذا ما زلت أنتظر إلى زمن طويل عسى
ن يرحم الصدق بى أخيراً — من هو ذاك يا خالتى؟ من هو ذاك؟ ».

« أين؟ ليس هنا أحد يا جوتين؟ ».

« من فضلك اذهبى وانظرى فى الحجرة الأخرى. كأنى به أرانى...... ».

« لا يا حبيبى، لست أرى أحداً ».

« ولكنه يبدو لى بوضوح كأنه...... ».

« لا يا جوتين ليس هناك شىء. فالزم السكوت، يأتى الدكتور الآن ».

ولما دخل الدكتور الغرفة قال مخاطباً الخالة:

« اسمعى، حذار أن تقعدى عند المريض طويلا. أنت تهيجينه. اذهبى أنت
لى فراشك. ومساعدى هو الذى يقيم عنده ».

« لا يا خالة، أنا لا أتركك تذهبين ».

« حسناً يا بابا. أنا أجلس صامتة فى تلك الناحية ».

« لا لا . لا يمكن . لا بد أن تجلسى بجنبى . أنا لا أترك يديك ، لا
يديك ، حتى تأتى نهايتى . يداك هاتان هى التى ربتنى ، ومن يديك هاتين
فليأخذ الله نفسى » .

« لا بأس » قال الدكتور « أقعـــدى عنده . ولكن ، سيدى جوتين
تخاطبها ولا تكلمها . وها قد آن الوقت لتناول دوائك » .

« الوقت لأتناول دوائى ؟ خرافة . لقـــد مضى الوقت لمثل هذه الأش
الدواء فى مثل هذا الوقت خدعة . ثم أنا لست بخائف من الموت . أنظرى
خالة الموت مشغول بطبـه . أولم تكن آلامى التى أقاسيها تكفى حتى أضفت إ
شيئاً جـديداً مؤلمـاً فى شكل دكتور ؟ أطرديه — أبعـديه — أنا أحتاج فى هـ
الوقت إليك فقط . لا أحد سواك أياً كان ، لا أبتغيه . كفايـة من ال
والاختلاق ! »

« أنا أقول بصفتى طبيباً أن هذا التأثر يضر بك » .

« إذن فاذهب يا دكتور ، ولا تهيجنى » .

« خالة هل ذهب هو — ؟ هذا أحسن . . . . . تعالى إلى الآن وخذى رأ
فى حضنك . . . . . »

حسناً يا حبيبى ، والآن حاول النوم بابا . »

« لا يا خالة ، لا تطلبى منى أن أنام لأننى إذا نمت لن أستيقـظ أبدا
زلت فى حاجة إلى اليقظة لفترة قصيرة — أ لا تسمعين صوتاً ؟ شخص يأتى
« حبيبى جوتين ، إفتح عينك قليلا ، هـا هى ذى قد وصلت الآن
عينك وانظرها » .

« من ؟ من جاء ؟ حلم ؟ »

« ليس بحلم يا عزيزى . بل مانى ، إنها بنفسها قد جاءت فى صحبة أبيها » .

« من أنت ؟ »

« أ لا تقدر أن ترى ؟ هذه مانى — مانى حبيبتك » .

« مانى ؟ فهل انفتح ذلك الباب ؟ »

« نعم يا بابا . إنه قد انفتح على مصراعيه وتوسع » .

« لا يا خالة ، لا ذلك الشال ، ذلك الشال لا ، إنه زور ! »

« هذا ليس بشال يا جوتين ، هذه مانى ، مانى العائدة لنا ، وهى جاثية برأسها على قدميك ، ضع يديك على رأسها وبارك فيها . لا تبكى هكذا يا مانى ، فلك متسع فى الوقت للبكاء — إسكتى الآن لبرهة واصمتى ! — لقد انتهى كل شىء ! »

أشوكا — الامبراطور الهندى العظيم

للأستاذ محمد عامر الأنصارى

عندما نخوض غمار الماضى، وندع الفكر يجول فى حومات التاريخ. نجد هناك شخصية عظيمة تطل من خلال ستائر الأساطير، تستوقفنا وتجتذبنا بفداد بطلها وكمال صاحبها. وهى محاطة بأساطير خيالية، إلا أنها تصور لنا نبذاً من حياة هذا الرجل الفذ. الملك الكبير. أشوكا، محب السلم والسلام. أوتى ملكا واسعا وسلطانا قاهرا ثم تنازل عن هذا كله، وآثر التواضع على الآمرية، والخضوع على الكبرياء، وصار يبغض ما يتقاتل الناس فى سبيله من حب المال، والجاه، والملك فاختار الاحسان، والأسعاف العام، والسلام التام، وهجر كل راحة ولذة. فاشتهر بأعماله الحسنة إشتهارا يرن صداه إلى الآن. فهو الملك الوحيد الذى نبذ الحرب واتخذ السلام مبدأ لسياسته وأساسا لحكمه.

ولكن الأسف كل الأسف، لم يترك لنا الدهر تاريخا واضحا عنه. وباد كثير من الآثار التى خلفها الملك العظيم، إلا أنه لا يزال باقيا منها ما يدل على نزعته النفسية الفريدة التى لا نجد لها نظيرا فى سيرة ملوك العالم أجمعين قديما وحديثا.

وإذا جمعنا الآثار الباقيـة والروايات التى اشتهرت عنـه، سهل علينا أن نصل إلى نتيجة صادقة وتمكنا من وصف حياته، فنبدأ الكلام بأسطورة تخبرنا عن نهايتـه من طغيانه الأول، فقد روى أن أشوكا كان أشجع المحاربين وأفتكهم، وأشد المولعين بالصيد وأقسامه، لا يعرف للعطف والمرحمة معنى، ورث من أبيه وجده إمبراطورية واسعة فخمة، تمتد من أقصى البلاد الى أقصاها، مملوءة بأجناس

والطغيان. وكانت الشعوب التابعة تعانى الشدائد حتى لم يوجد داخل البلاد من لا يشكو واليه، وكانت الشمس تطلع بجور حديث وتغرب بظلم جديد، حتى حدث ذات يوم أن صادف حرس الامبراطور قديسا بوذيا، دفعه القدر إليهم، فألقوا عليه القبض لا لذنب إقترفه بل لأنهم وجدوه صفر اليدين، فألقوه فى تنور تتأجج النيران فيه، ولكنهم بهتوا عند ما رأو التنور انقلب إلى زهرة لوطس بهجة، والقديس فى وسطه متربع متعبد!

ولما علم الملك ذلك طلب القديس، واستخبره عما وقع من العجب العجاب، واعدا نصف ملكه كجائزة له إن صدق القول. فقال القديس إن القناعة أغنتنى عن كل شيء، ولا أمنية لى إلا أن يهتدى الملك إلى سواء السبيل. فما كان من الملك إلا أن انقاد له وأصبح أخلص مريديه، فاكتسب منه المعارف، وتخلق بالأخلاق الحسنة، وتاق إلى نشر السلام، وعزم أن تشرق بلاده بأنوار المعارف البوذية. فسرعان ما تكللت جهوده بالنجاح وطفحت البلاد بالمعابد والأديرة، وتزينت بالمدارس والكليات.

فى هذه الأسطورة من الغلو ما فيها، إلا أنها دليل إلى الحقيقة. ثم إنا لا يهمنا إذا كان سبب تغير الملك مثل هــذه المعجزة أو غيرها، لأنا نرى أشوكا نفسه يعترف بتغيير فجائى حدث فى قلبه فأصبح يفكر غير ما كان يفكر، ويرسم غير ما كان يرسم، ويرمى غير ما كان يرمى.

كان جد أشوكا، چندرگپتا، أول ملوك أسرة موريا، عاصر الاسكندر ودرس حياته دراسة وافية، وروى أنه حظى بزيارة الفاتح المقدونى. ولما مات الاسكندر، وسع چندرگپتا امبراطوريته، ودافع عنها دفاع الأبطال. وحكم نحو اثنين وعشرين عاما. وخلف دولة عظيمة لابنه بندهو سارا، الذى حكم عليها نحو ربع قرن، ومات هـذا حوالى ٢٧٢ ق.م. وله أبناء، منهم أشوكا الذى

نحن بصدد حياته.

إرتقى أشوكا العرش على رغم حداثة سنه، وحكم البلاد ثمانية أعوام كـ
وجده لا يحيد عن سيرتهم، فلا نجد له مزية تذكر، أو فضيلة تسجل. إلا
كان شجاعا. صائب الرأى. وصفاته هذه هى التى حملت أباه على اصطفائه لهـ
دون إخوته. ولا يبعد أن أباه عرف أهليته عندما ولاه حكومة المقاطـ
الغربية الشمالية من امبراطوريته. وكان أشوكا أول الحكام على تلك المقاطعـ
التى كانت عاصمتها «تاكسيلا» الزاهية الشهيرة بمدنيتها وثقافتها الراقية، إذ كـ
فيها أكبر معهد علمى فنى. يؤمه الطلاب من سائر الأقطار. ثم انتقل أشوكا
المقاطعات الغربية التى عاصمتها «أجين» وشغل فيها كذلك وظيفة النيابة وقا
بواجبه أحسن قيام، وكانت «أجين» إذ ذاك بلدة ذائعة الصيت لثقافتها وفنو
إلى جانب أنها كانت أقدم مدن الهند. شهدت البلاد رقيها وتطوراتها. ومكـ
أشوكا فيها سنين، وفى تاكسيلا سنين. فمن المحتمل أنه أفاد من معارفـ
وتشرب بأفكار وعقائد لم تزل كامنة فى قلبه حتى حدثت أمور قوتها. وجعلـ
مسيطرة على نفسه، فانساق معها وجعلها رائد حياته العملية.

وكان أشوكا فى أجين عندما تلقى نعى أبيه.

لا يحدثنا التاريخ عن السنين الأولى من حكمه شيئا. غير أننا نقدر أن نتصو
المشاكل والعراقيل التى لا بد أن واجهته فى حفظ السلام، وتنفيذ الأوامر
مثل هذه البلاد الواسعة، لا سيما ما كان من حدوث القلاقل عند موت المـ
وتتويج خلفه.

ومهما يكن من أمر، فاننا نرى البلاد كلها هادئة خاضعة للامبراطور عـ
قام لبسط سلطانه من البحر إلى البحر، وذلك بفتح بلاد «كالنجا» فى الجنو

وضمها إلى امبراطوريته. وكانت «كالنگا» دولة مستقلة على الساحل الشرقى من القطر العظيم. فلم يلبث أن أغار الامبراطور واستولى عليها بعد حرب دامية. ولكن يا للعجب، هذه الحرب التى انتصر فيها خلقت منه رجلا غير الذى كان، فقد شاهد فيها ما تأتى به الحرب من قتل النفوس، وسفك الدماء، وسبى الأبرياء وما إلى ذلك، فاكتئب من كل ذلك، وأصبح يمقت الحرب، ويقرر لنفسه منهجا جديدا للفتح، لم يعرفه التاريخ لغيره. فنبذ فكرة الحرب من أصلها، وعمد إلى تشييد إمبراطوريته على دعائم الصداقة والسلام والفضيلة والاحسان. فأقام مسلات وأعمدة كثيرة فى أنحاء البلاد، نقش عليها وعلى الصخور من الجبال وصاياه السلمية. ولا تزال خمسة وثلاثون من هذه المسلات باقية الى الآن. وكذلك بدل أشوكا إسمه باسم آخر فتسمى «پريادرسن» (Priyadarsin)، معناها «حبيب الآلهة».

وها كم ترجمة ما نقشه على أشهر المسلات وأهمها:

«فتح صاحب المعالى الملك، حبيب الآلهة كالنگا فى العام التاسع من ولايته لقد جلبت هذه الحرب الشقاء على عدد كبير من البشر، فقد أجلى من أبناء البلاد المفتوحة مائة وخمسون ألفا، وذبح فى أثناء المعمعة مائة ألف، ومات أضعاف مضاعفة لهذا العدد بسبب الحرب.

«ويجتهد الامبراطور منذ ضمه كالنگا الى امبراطوريته فى الاحتفاظ بدين السلم. وقد أصبح من محبى هذا الدين وهو ينشر وصاياه.

«لقد تألم حبيب الآلهة جدا من كل ما وقع فى فتح كالنگا. وحزن له حزنا عميقا. الحرب هكذا عاقبتها. وفتح البلاد المستقلة غير الخاضعة يتطلب المذابح والدمار وإجلاء الأهالى من أوطانهم. أمور تؤلم الملك أشد الألم. وفوق ذلك

لا ينتهي شر الحرب بسفك دماء المحاربين وأعوانهم، بل يتجاوز إلى غيرهم. الذين يعيشون في تلك البلاد من البراهمة والرهبان، ومن الذين يطيعون سادتهم، ويخضعون لآبائهم وأمهاتهم، ويحترمون كبرائهم، ويراعون حق الأصدقاء والـ والجيران وذوي القربى والعبيد والخدم، ويخلصون في الدين ولا يمتون بسبب إلى الحرب. فهؤلاء الأبرياء كذلك تطحنهم الحرب طحنا، فيذبح أحبائهم، وتخرب بيوتهم. ويجلون من ديارهم، ويفارقون ذويهم وأصدقائهم، أو يتألمون بما تأتي به الحرب على أقاربهم.

• وإن حبيب الآلهة ليأسف أن يصيب الناس مثقال ذرة مما أصابهم من جراء الحرب في كالنگا، وإنه يرى الصبر على الشدائد أولى، وإذا ظلم أحد أحدا فليصبر ما استطاع الصبر. وحبيب الآلهة كذلك يصبر إذا أوذي، ويعطف على القبائل البادية الذين احترفوا الأغارة وقطع الطريق، ويأمرهم بأن يقلعوا عن الأعمال المخربة، فينجوا من الدمار والهلاك. إذ الملك ذو سلطان يقدر أن يؤدبهم ويقتلهم، على أنه لا يرضى إلا عن المرحمة والحنان.

• ويريد حبيب الآلهة لكل حي عائش سلاما وعافية، ويرجوا منهم ضبط النفس، وكظم الغيض، وهدوء الفكر، والسعادة العامة. فقد اقتنع الملك حبيب الآلهة أن النصر الحقيقي ليس بالقوة، ولكنه بالفضيلة والحق.

• وعلى الناس أن يتبعوا أوامر الملك في كل مكان، سواء وصل إليهم رسله أو لم يصلوا. ولا يزال هذا الفتح يسمى بالفتح الودي لأنه لم يحصل إلا بالمودة إلا أن حبيب الآلهة لا يراه فتحا حقيقيا من كل الوجوه ولكنه يرى الانتصار الكامل ما يحصل في العقبى.

• وقد سجل هذا القرار كي يعرف أبنائي أن الانتصار بالعساكر والأسلحة

ِ بشىء يزينهم، فلا يبذلوا جهودهم لمثل هـذا الانتصار، ويشعروا بسكون
ل والفرح فى المرحمة والعطف، وليتأكدوا أنهما ينفعانهم فى الآجل والعاجل!»

ولا ريب، أن الامبراطور العظيم الفذ فى تاريخ الانسانية، قد نجح فى نيل هذا
نتصار داخل بلاده وخارجها على السواء.

لقد كان إيمان الملك بالبوذية من الأعاجيب، ولكن ما نتج من إيمانه كان
بر من كل عجيبة. درس البوذية ورأى فيها دينا يصلح للعالم، وينفعه قدر ما
يه نفسه.

وتقول الروايات إن الامبراطور فى نفس السنة التى فتح فيها كالنكا تلمذ
ط من العلماء البوذيين، ولازمهم كتلميذ حقير مجتهد، وكرس حياته لاكتساب
رفهم، واستخدم لنشرها الوسائل التى تهيأت له كملك عظيم، واثقا بأنها العقيدة
حيدة التى تكفل السعادة، لا لشعبه وحده، بل لسائر الشعوب فى العالم. ولم يكن
امبراطور كساسة العصر الحاضر الذين اتصفوا بالرياء والزور، فيقولون ما لا
ملون، بل تشرب بمبادى دينه الجديد تشرباً لا مزيد عليه، وأفرغ حياته فى
لبها، فقام بكل ما يأمر بها الدين حق القيام، فعاش ثلاثين شهراً، وقد تخلى عن
ل ماكان يملكه، واكتفى من ملكه العريض وخزائنه المتدفقة بثمانية أشياء، لا بد
ا للحياة: أردية ثلاثة صفراء للبسه، نطاق لشدها، إبرة لترقيعها موسى لحلق
سه، غربال لشف مائه خشية أن يبلع نفساً وهو لا يعلم، وقصعة للتسول!

ماذا؟ قصعة التسول! الامبراطور العظيم يحمل فى يده قصعة ليتسول
شحذ، ويجمع من صدقات الرعية قوته اليومى! بالله عليك، هل سمعت، أو
ت، أو تخيلت ملكا عظيما، يفعل شيئا مثل هـذا؟ كلا إنك لا تعلم ملكا
كهذا، ولست أنت وحدك، بل التاريخ الانسانى كله لم يعرف ملكا

كامبراطورنا هذا الذى تفرض الانسانية علينا بأن ننعته بأعظم الملوك .

كانت هذه الأيام من أشد أيام حياته صعوبة وابتلاء ، فقد مثل فيها ـ
متضادتين : حياة ملك عظيم صاحب امبراطورية فخمة ، وحياة فقير متسول ـ
قوته اليومى من هنا ومن هناك . وكان زاهدا فى الدنيا ، راغبا عن مزخرو
بينما كان إمبراطورا عظيما ترتعد من خوفه فرائص الملوك . ولم يحل تقشفه د
حكمه على البلاد ، فلم يزل ينظم أمورها ، ويجمع شملها ، ويعمرها عدلا وهنا

يعترف أشوكا بأنه لم يقم بواجبه فى السنين الأولى حق القيام إلى الع
الحادى عشر من ولايته ، فأحس بغتة فى قلبه تغيرا عظيما ، ورغبة صادقة . و
ملحا لانهاض الناس من ضعفهم ، وإصلاحهم الخلقى والاجتماعى ، وإعدا
لمهاجمة الشياطين ، فصار فى العام الحادى عشر من حكومتـه شعلة ذكاء . و
هائلة متحركة محركة ، وها هو يحدثنا بنفسه عن مشاعره فى مسلة .

« أبلغ أنا الرسالات الدينية ، وأنفذ الأوامر الفاضلة ، ليصل الناس إلى ا
عندما يطلعون عليها ويعملون بها عملا ينفعهم ، فيعلون درجات فى الدنيا والد
وهذا هو الغرض الذى هدفت إليه بهذه الاعلانات والرسالات ، وسيفسرها نو
لهم ، وقد أمرت عمالى بأن يهدوا الذين عضوا على الدين بالنواجذ . وهذه
الغاية السامية التى بنيت لها مسلات دينية وعينت عمالا وكتبت ألواحا .

« ويقول حبيب الآلهة :

« غرست الأشجار على الطرق ، ليستريح النـاس والحيوانات تحت ظلاله
وحفرت الآبار على كل ميل ، وشيدت محلات الاستراحة ، واعتنيت بسقاة الم
فى كل مكان يقل فيـه الماء . هذا كله ليتفع الناس والبهائم على السواء . ولأ ـ
أنا ومن يخلفنى المسالك التى تهيء للشعوب الهدوء والطمأنينة .

« ويقول حبيب الآلهة :

« يقوم عمالى بالواجبين : واجب الزاهدين فى الدنيا والراغبين عنها ، فهم يخدمون الناس بأى دين يدينون ، وإلى أى أسرة ينتمون ، وأمرتهم بأن يخدموا البراهمة والرهبان . وهؤلاء الرجال يتصدقون عنى وعن زوجاتى ، وأمرتهم بأن يكثروا فى العطاء عن أبناء زوجاتى ، ليزداد الناس عملا بالدين ويتعودوا الخصال الحسنة . ألا ، وإن نفسا لن تنجو من الفساد والدمار إلا بأن تعمل بالدين ، وتجهد فى نشر المرحمة والجود والصدق وطهارة القلب وغير ذلك من الفضائل .

« ويقول حبيب الآلهة :

« الرقى منوط بشيئين : قوانين الدين ، والفكر الصحيح السديد . ولا ريب أن الأول أقل تأثيرا من الثانى ، فان القانون لا يفيد شيئاً إلا إذا أراد الناس العمل به . ألا ! وقد كتبت هذا كله ، ليعرف أبنائى وأحفادى أن خير الطرق ، طريق الدين ، وهو جدير بأن يتبع ما دامت الشمس تضئ الفضاء ، وما دام القمر يمنح النور للعالمين » .

وقال فى لوحة أخرى :

« لا بد أن أعمل لنفع الشعب ، وإن نفع الشعب يتوقف على الجهد والاشتغال بالأعمال النافعة . والجهد والاشتغال لا ينوب عنهما شىء آخر مهما كان كبيرا ، ولا يبلغ ما لهما من التأثير مهما كان فخما — ولماذا أعانى المتاعب وأقاسى الشدائد ؟ ليس لى بغية إلا أن أودى واجباتى نحو الأحياء ، وأبرأ مما أدين لهم » .

ووضع الامبراطور لبث دعاية الدين مشروعا هاما ، استعان فى تحقيقه بأخيه ماهندا (Mahinda) واخته سنگهامترا (Sanghamitra) فأخذ يرسل البعثات التبشيرية إلى أنحاء المعمورة المختلفة ، وكانت كل بعثة تتألف من خمسة أعضاء . وإلى

القراء بيان هذه البعثات والبلاد التى توجهت إليها:

(١) سيلان	تحت رآسة	مهندر
(٢) الامبراطورية اليونانية	»	ركسيت
(٣) نواحى هماليا	»	مجهما
(٤) المقاطعات الغربية للهند	»	دهرم ركسيت (وكان من اليونان)
(٥) مهاراشترا	»	مهادهرم ركست
(٦) ميسور	»	مهاديو
(٧) كنادا	»	ركست
(٨) بيگو ومولمين	»	سون واتر
(٩) كاشمير	»	مجهانتك

وكذلك أرسل بعثة إلى مصر، وكان يحكمها اذ ذاك البطالمة. وكان أهل يدينون بدين اخترعه ذكاء بطليموس الأول. قال الاستاذ سلامه موسى:

«لم يكن فى العالم مذهبان هما أمعن فى التناقض من هذين الدينين، د الملك أشوكا أى البوذية التى تدعو إلى الاخاء والسلام وكراهة القتل، وإلى الز والتقشف ومقاطعة اللذات وإماتة الشهوات، ودين هولاء البطالمة الذى اخترعه ذ بطليموس الأول فى الاسكندرية، بؤرة الدسائس واللذات والشهوات. وع قدر ما نقرأ عن حياة الطهر والشرف والانسانية عند الملك أشوكا، نقرأ عن ـ الدنس والخسة والهتك فى حياة البطالمة. ولا بد أن رجال الوفد الهندى صع عند ما رأوا الاسكندرية وقارنوا ما فى بلاط بطليموس بما فى بلاط أشوكا. و الوفد الهندى خائبا. ولا بد أن أشوكا قد انسحق قلبه عندما سمع عن الظل الروحى الذى كان يخيم على الاسكندرية.»

لا يحدثنا التاريخ عن سيرة هؤلاء الأبطال الذين قاموا بأعباء الرحلات الطويلة الشاقة، إلا ما ذكرت آنفاً من أسمائهم والبلاد التى وفدوها، ولكننا نستطيع أن نقدر عظمتهم وحماسهم الدينى حق التقدير.

كانت البوذية قبل عهد أشوكا، مذهبا من المذاهب الهندية الدينية وكان محصورا فى وادى سهالكنج، ولكن أشوكا وسع نطاقها وجعلها من الأديان العالمية وسرعان ما لبى أهل سيلان دعوة أشوكا فاعتنقوا الدين الجديد، وقد يكون الدافع لهم إلى هذا الاعتناق السريع ما كان بين حاكمها وبين أشوكا من روابط الصداقة.

وروى أن أهل الجزيرة أرسلوا كذلك بعثة إلى أشوكا لتتعلم البوذية. وأن الامبراطور أرسل مع إحدى بعثاته إلى سيلان غصنا من «شجرة المعرفة» التى نال تحت ظلالها بوذا المعرفة والبصيرة. فغرس الغصن وأصبح دوحة عظيمة لا تزال باقية بها إلى الآن، وهى أقدم شجرة فى المعمورة على ما نعلم.

ولم يكتف أشوكا باقامة المسلات، بل ندب رجالا يتجولون فى البلاد ويرغبون الناس فى النسك والورع، ويعلمونهم مكارم الأخلاق. ولأن يكونوا بأنفسهم قدوة لما يدعونهم إليه. ليسهل للناس الاقتداء بحياتهم اليومية. فيجارهم فى سيرتهم الرشيدة وصبرهم على الشدائد، وعهد إليهم كذلك النظر فى الأعمال الخيرية وإدارة شؤنها لتزداد نفعا، وخولهم بعض السلطة فكان لهم إطلاق سراح المسجونين إذا اقتنعوا ببرائتهم، وكانوا يحققون فيما إذا كان الناس يلتزمون سبل السلام، ويحترمون القانون، ويراعون حق الفقراء والأكابر.

ويسجل لنا الملك هذا على إحدى مسلاته:

«عينت الوزراء لينوبوا عنى، وسمحت لهم أن يحكموا على آلاف من الناس،

ويشجعوهم على الخير، واعدين إياهم جوائز كبيرة. وينهوهم عن الجرائم، منذر...
العقوبات المالية والبدنية. ويجب عليهم أن يقوموا بتحقيق ما وعدوه إذا ر...
من أحد حسنة أو سيئة. وقد وسعت لهم مجال السلطة ليتمكنوا من أداء واجب...
من إنهاض الناس وإنعاشهم بالسلام من دون خشية.

« وليفكر الوزراء فى وسائل السعادة والراحة للشعب، ويرشدوه إلى الخ...
وفقا لقانون الفضيلة، ويساعدوه فى نيل السعادة فى كلا العالمين.

« وهؤلاء نوابى من أى وظيفة كانوا ينفذون ما أمرتهم بتنفيذه. ويدعون الناس
إلى الطريق المستقيم فيقومون بواجباتهم الانسانية. ومثل نوابى كمثل المرضعة المر...
التى إذا سلم إليها الولد، يطمئن أبوه على نشأته وتربيته. وإنى كذلك أسلم إليهم
شعوبى، وأنتظر منهم تربيتها بأحسن ما يستطيعون، وعليهم أن يقيموا العدل أين
كانوا، وينفذوا الأوامر من غير محاباة. وإنى أمرتهم بأن يمهل المجرمون الذين
حكم عليهم بالاعدام ثلاثة أيام، ليتمكن فيها أقاربهم من السعى لدى نوابى لالغا...
أو تخفيف عقوباتهم، أو قد يريد المجرمون أنفسهم أن يتصدقوا بأكثر ما فى وسعهم
خشية من العذاب فى العقبى. إذ أمنيتى أن لا يضيع عمر أحد سدى، حتى ولو
بقيت للمسجونين ساعة من عمرهم. وأستحسن أن لا يغفلوا من التصدق والصوم».

ولم يكن الامبراطور متكلا على ما يعمله عماله، بل كان يأمر أن يرفع إليه كل
أمر مهم لينظر فيه بنفسه. وليس هذا فحسب، بل أمر أن ترفع إليه فى حينها
ولا يراعى فيه حتى أوقات راحته، فقال:

« جرت العادة من القديم إن لا ترفع الأمور إلى الملوك، فلا يطلعون ع...
حاجات شعبهم مهما كبرت وعظمت. نعم، كانت ترفع إليهم بعض الأمور ولكن
فى أوقات مخصوصة، فلا ينظرون فى الطلبات فى وقتها، غير أنى آمركم بأ...

هاتين العادتين القبيحتين، إذ يجب أن يعرفني الناس بحاجاتهم وطلباتهم في أي ساعة شاءوا. فاطلعوني عليها سواء كنت على مائدة طعامي، أو أتنزه في البساتين أو أكون عند زوجاتي، إذ على أن أخدم الشعب راكبا، جالسا، متفرجا، آكلا، وغير ذلك من الأحوال.

«وإذا اختلف أعضاء المجلس في فهم أمر من أوامري فليراجعوني فيه توا، وإني لا أبالي بتعبي، لأني أوجبت على نفسي الجهد المستمر لاصلاح الشعب ورفاهيته. وهذا لا يتأتى إلا بالاجتهاد الشديد، و بذل المال والنفس، والاسراع إلى الخير.

«وإن أهم الواجبات على المرء خدمة الناس، وإني لا أبذل جهدي فيها إلا لأن أؤدي واجبي نحوهم. ويا ليتني أتمكن من إيجاد وسائل الخير والفلاح لهم ثأرا مما أدين لهم من الخدمة.

«وقد نقشت أوامري هذه لتظل باقية إلى مدة طويلة ترشد الناس إلى ما فيه صلاحهم».

كان الناس في زمن أشوكا يقومون بطقوس موروثة خلت من الروح، رآها الامبراطور وعرف أنها لا تجدى نفعا، فاهتم بالأمر ونقش في شأنه ما يأتي:.

« يقول حبيب الآلهة:

« تعود الناس بطقوس مختلفة يقومون بها عند النوازل، والزواج، والولادة، والسفر. ولكن هذه الطقوس غير مجدية، اللهم إلا ما يتعلق منها بالدين، فهي لا تخلو من ثمرات حسنة. وإنما هي الخصال الطيبة التي يجب أن يتصف بها الشعب من حسن المعاملة مع الخدم والعبيد والجواري. وتعظيم الوالدين، وإكرام الأساتذة، وكظم الغيظ، والعطف على كل ما يدب على الأرض. هذه أمور

تستحق الثناء وهى نافعة، وهى كلها من الدين فينبغى المواظبة عليها حتى يفوز
كله بالسلام، وإذا لم يكتسب أحد منها منفعة فى هذا العالم فلا يحزن، لأنها
فى العالم الآخر.

«وأما الطقوس التى لا علاقة لها بالدين، فمن المحتمل أن تجود بالفائدة
ترجى منها، وإن جاءت بفائدة فهى لا تنفع إلا فى العالم الحاضر. بخلا
الطقوس الدينية، فان نفعها عام لهذه الحياة الفانية وللحياة الخالدة معا. وهى
كل حال تسبب للقائم بها الراحة فى عالم الخلود.

«وليست هدية ولا عون، أفضل من هداية الناس إلى الدين وتحليتهم بالع
والأخلاق الحسنة والحلم والسماح».

وفى العام الحادى عشر من حكمه وسعت رحمته كل ما دب على الأرض
فترك الصيد وأصدر أمرا يمنع به قتل الحيوان وجرحه وكيه. وفى السا
والعشرين من حكمه منع قتل كثير من الطيور، والحشرات، والأسماك. كالب
والبط، والأوز والخفاش، والسلحفاة والنمل، وكذلك منع ذبح الشاة وا
والخنازير. وكل حيوان ما لم يدرج فى الشهر السادس من عمره، ومنع إخ
الحيوانات وأمر بالتجنب عن إيذائها قدر ما يمكن، حتى أمر بأن لا يحرق الحشي
إذا ظن أن فيها حشرات، ولا تحرق الغابات بدون حاجة شديدة.

وهو يقول:

«الدين نعمة، ولكن ما هو الدين؟ تقليل الشر وتكثير الخير، المر
والاحسان، والصدق. لقد منحت الناس بصيرة القلب ومددت يد المرحمة
البشر، والبهائم، والطيور، وسائر الحيوانات البرية والبحرية فأعطيتها الحياة».

ولم يقف نشاط الملك عند إرسال البعثات، وتوظيف العمال، وإقامة المسلا

ل قام بنفسه بجولة تبشيرية فى أنحاء البلاد، وعرض على الناس حياته العملية
تية النقية. أ ليس من العجب العجاب أن يطوف أمبراطور عظيم فى مملكته،
، لمآربه الشخصية، بل لنشر الفضائل ومكارم الأخلاق!

ولا يخفى أن الناس فى عصره ما كانوا يفرقون كثيراً بين الملك والاله. كان
شعب يرى أنه لم يخلق إلا ليعبد ملكه ويشبع رغباته. ولكن أمبراطورنا هذا
يشأ أن يستفيد من جهل الشعب. فبذل كل ما فى وسعه لاصلاحه وتثقيفه.

اعتنق الامبراطور البوذية وبذل فى نشرها ما استطاع، لكنه لم يظلم الأديان
لأخرى قط، وإنما كان يرمى إلى إيجاد الاتحاد والاتفاق بين الناس، ولم يكن
ينه مؤسسا إلا على الأسس الخلقية لا تخالف دينا ولا فضيلة، ويتخلص دينه
يما نجمله هنا:

١ تعظيم الوالدين والأساتذة وجميع المعمرين.
٢ حسن المعاملة مع البراهمة والأقرباء والخدم والأصدقاء.
٣ الجود للرهبان والبراهمة والأصدقاء والأقرباء والضعفاء.
٤ الاجتناب من إيذاء الحيوان وقتله.
٥ الاقتصاد فى سائر الأمور.
٦ وقد صرح بأن العصبية من أقبح الخصائل:

وهو يقول:

«إن حبيب الآلهة يحترم الناس كلهم من أى أسرة كانوا وبأى دين اعتنقوا،
ولا يستعظم هدية وجاها أكثر من اتصافهم بالأخلاق الحسنة. ولقد وجدت
عقائد لا تحصى، وهى ترمى إلى التسوية بين الناس، ولا يليق للمرء أن يمدح
دينه وينال من دين الآخرين. وليعلم الناس أن من أكرم الأديان الأخرى،

فقد أكرم دينه، ومن أهانها، فقد أهان دينه. وإن من يمدح دينه، ويحقر د
غيره ويزعم أنه يخدم دينه فانما يقوض دعائم دينـه. والتباحث شيء حسن.
نعلم به ما فى الدين الآخر من المبادئ القيمة، ويقوى به الميل فى الناس إلى مع
سائر الأديان.

« يريد حبيب الآلهة أن يكون أفراد كل شعب ودين عارفين وناشرين الخيرات
ألا، ليعلم الناس قاطبة أن الملك لا يحفل بالجاه ولا يكترث بالمال أكثر مم
تتوق نفسه إلى نشر المبادئ الحسنة بين الناس ».

إن هذا الأمبراطور الفـذ العظيم، لم يكن دينا زاهـدا فقط، بل إنما اعتنى
بترقية شعبه وتحسين بلاده، فغرس الأشجار الظليلة، وحفر الآبار فى أنحاء البلاد
وأسس المستشفيات للمرضى من البشر والحيوان، واعتنى لهم بالأدوية.

فيقول فى لوحة.

« جمعت الأدويـة والعقاقـير، وأمرت بتوفـيرهـا للمرضى من الناس وغـيرهم
وأرسلت الأدوية إلى القرى النائية التى يتعذر فيها حصولها ».

ولم يكتف بالمستشفيات فى أمبراطوريته بل أسسها كذلك فى البلاد الأخرى
فذهبت إليها بعثاته بالأدوية والعقاقير، وعرفت أهلها بخواصها ومنافعها، وشجعتهم
على مكافحـة الأمراض، وبنى مظلات متقاربـة فى الطرق، يستظل بهـا الركبان
عند اشتداد الشمس، ويبيتون بها فى الليـل. وكانت معها آبار أو ذخائر المياه
للناس والبهائم.

وبنى أبنيـة شامخة وقصورا شاهقة. وإن ما نجد من الأبنية التى شيدت في
عصره عـلى ثلثة أقسام: « أستوپا »، وهى المقـابر المـدورة التى تحتوى على رما
بوذا أو تلاميذه الـكبار. و « چيتيا »، وهى معابد داخلها استوپا صغيرة. والتكا

التى كان الرهبان يسكنون فيها. وكانت مراكز للعلم والعرفان يقصدها الطلاب، وفى كل غرفة منها صورة لبوذا ليستعين بها المرء فى المراقبة.

وأما فن الرسم، والنحت، والهندسة فى عصره وإزدهاره إذ ذاك فلا نظير له. نقشت الأوامر على الصخور الصلبة بطريقة لم يستطع الدهر إمحائها على رغم القرون الكثيرة التى مرت عليها. ثم المسلات، وبعضها يبلغ خمسين قدما، نحتت من صخرة واحدة، وصقلت، وطليت بطلاء لا يزال بهائها باقيا إلى الآن. وهذه المسلات تدل على أن الفن كان فى أقصى مراتب الكمال. ثم هنالك الكهوف التى حفرت للرهبان تنطق بكمال صناعها، وحفرت فيها غرف واسعة، جدرانها مطلاة بطلاء يتلألأ إلى الآن.

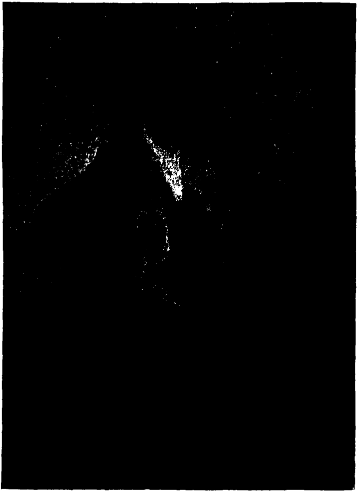
وأشوكا هو أول من بنى بالحجر، فان الهند لم يكن فيها أبنية من الحجر قبله. وكانت الدور والمعابد تتخذ من الخشب حتى كان قصر جد أشوكا، الامبراطور «چندر موريا گپتا» أيضاً من الخشب. فجاء أشوكا وعرف الناس أن الحجر أولى بالبناء من الخشب. عرف الناس فى عصره هذا الفن، ولم يلبثوا أن بلغوا أوج الكمال فيه، وشيدوا من البنيان ما لم يوجد له نظير.

صورة الشيخ مصلح الدين السعدى الشيرازى الشهير

يوجد فى النوادر التى جمعها متحف كلكتا، رسم للشيخ مصلح الدين السعدى الشيرازى مؤلف «جلستان» و «بوستان» أقر له الفنيون الغربيون بأنه نموذج نادر قيم لفن الرسم الشرقى. والغالب أن الرسم وصل من إيران إلى الهند فى عصر الأمبراطور جلال الدين أكبر أو إبنه الأمبراطور جهانكير. وقد أعجب به الرسامون فى الهند إعجابا جعلهم يعمدون إلى نسخه. فنجد له نقولا عديدة.

ومن المعلوم أن الرسامين الصينين قد سبقوا عصر الشيخ إلى إيران. فتقدم فن الرسم الايرانى تقدما يعتد به. إذ وصلتنا رسوم عديدة لمشاهير ذلك العصر. كرسم العلامة نصيرالدين الطوسى الذى عاش فى عصر الشيخ نفسه. وهو لا يزال موجودا فى متحف طهران. وكذلك وجد رسم للصوفى العارف الشهير من ذلك العصر. وهو مولانا جلال الدين الرومى صاحب المثنوى، وضم إلى مجاميع الرسوم القديمة. ولذلك لا نرى مسوغا للريب فى صحة هذا الرسم، رسم الشيخ السعدى. واللباس الذى نراه فيه، هو نفس اللباس الذى كان شائعا فى ذلك العصر.

وأكبر شهادة على صحة الرسم، هيئة الوجه ومعنويته، فصورة الشيخ العقلية والأخلاقية التى تتشكل فى مخيلتنا من مطالعة مؤلفاته، تطابق هذا الرسم كل المطابقة، فالحلم والرفق والحب المنبعث من تقاطيع الوجه لينادى بأن وجه صاحب «جلستان» و «بوستان» ينبغى أن يكون مثل هذا الوجه تماما.



الفقه الهندوسي الأكبر — منودهرما ساسترا

(تابع لما فى العدد السابق)

خلق الله الخالق الملك ليصون البلد الذى ليس فيه ملك ليدافع عنه ، لذلك لا تحقرن ملكا . وإن كان طفلا رضيعا ، لأنه إله فى صورة الانسان وق الأرض .

وقد منح الله الملك السلطان الذى يعاقب به المذنبين ، فلا ملك إلا بسلطان ، لا طاعة إلا بسلطان العقاب .

وعلى الملك أن لا يعاقب إلا من يستحق العقوبة . لأن الملك الذى لا يميز بين المذنب والبرىء ، يزول ملكه وتهلك رعيته .

والملك الذى يتساهل مع الجناة والمذنبين ، لا محالة تأكل اقوياء الرعية ضعفاءها .

وعلى الملك أن يعلم الدين والشريعة حق العلم ، وذلك لأن الملك الجاهل لا يعرف كيف يقيم العدل . ولا كيف يسوس .

إن الملك الجاهل الطماع المنغمس فى الشهوات ، يعجز عن التزام سبيل الحق بإقامة العدل .

وعلى الملك أن يعدل فى رعيته ، فيعاقب المجرمين ، ويكافىء الأبرياء ، ويعفو عن البراهمة اذا ارتكبوا جنايات خفيفة . والملك العادل ينتشر خيره على الأرض كما تنتشر قطرة الزيت على الماء .

وعلى الملك أن يستيقظ مبكرا فيغتسل، ويتلو ما تيسر من كتب ويدا. يزور البراهمة العلماء الأتقياء ويتبرك بهم، ثم يزاول أعمال ملكه.

وعلى الملك أن يتعلم الدين من علماء الدين. ويتمسك بنصائح الاختصاصيي فيما يتخذ من الوسائل لترقية الزراعة، والتجارة، وتربية الماشية، وسائر مصالح الدولة

وعلى الملك أن يحاول التغلب على نفسه، لأن الملك الذى يملك نفسه هو الذى يستطيع بسط سلطانه على رعيته.

وليعلم الملك أن أمورا عشرة تنشأ من الهوى، وأمورا ثمانية تنشأ من الغضب وهذه وتلك كلها مجلبة للهلاك.

أما الأمور العشرة التى تنشأ من الهوى. فهى الصيد، والقمار، والنوم فى النهار، وتتبع معائب الناس، والافتتان بالمرأة، والعربدة من السكر، والرقص والغناء، والموسيقا، والتجول من دون غاية.

أما الأمور الثمانية التى منشأها الغضب. فهى إتهام الناس. والاستبداد بالملك واغتيال الناس، وجحد عظمة الآخرين، والتنقيص لكمال الكاملين، وإخفاء العلم ومنع ما يجب بذله، والخطاب بالبذى من الكلمات.

وجماع هذه الشرور، الطمع. فعلى الملك أن يطهر قلبه من الطمع. لأنه إن خلى من الطمع، سهلت عليه سائر الفضائل.

وفى شرب الخمر، والقمار، والافتتان بالنساء، والصيد، والشتم، والبخل، كل واحد من هذه الأمور أشد قبحا وأكثر ضررا من غيره.

وعلى الملك أن يصطفى لنفسه الوزراء من الأسر الطيبة، ممن اتصفوا بالله والشجاعة والنزاهة. وينبغى أن لا يقل عددهم من سبعة أو ثمانية، وذلك لأ

رجل الواحد يصعب عليه القيام بعمل سهل ، فكيف بأعباء الملك الثقيلة؟ لأن رجل الواحد لا طاقة له بادارة دفة الملك .

وعلى الملك أن يشاور وزراءه كل يوم فى أمور السلم والحرب؛ والخزينة ، الجيش ، وجرايات الجند ، وترقية الزراعة ، والبحث عن المناجم ، والدفاع عن لملكة . وما ينفقه فى المصالح الخيرية .

ويستخدم الملك من الناس من يرجو منهم النفع للبلاد ، وليكن هؤلاء من نبهاء الأذكياء ، طاهرى الذيل ، ذوى الهمم العالية .

وعلى الملك أن يختار سفراءه من أهل العلم والفراسة الذين تكفيهم الاشارات نفوذ إلى الأسرار العميقة .

يجب أن يكون السفير فطينا ، مهذبا ، حلو الكلام ، جميل الطلعة ، عليما لظروف ، عارفا بأحوال سائر البلاد ، نزيها ، شجاعا ، ناصحا لملكه . وليعلم الملك أن سفير هو الذى بيده أمر السلم والحرب .

وعلى السفير أن يفطن لمرامى ملكه بمجرد النظر إلى وجهه . ويدرك مقاصده شاراته ، وكذلك يصل إلى قلوب الملوك الآخرين بحكمته من دون أن يلجأ إلى يلة خبيثة يمقتها ضميره .

وليقم الملك فى الأرض الخصبة الصحية الآهلة بالسكان الطيبين ، حيث تتوفر سائل الزراعة والتجارة .

وليبنى القلاع فى الأرض الجبلية التى تكثر فيها الأشجار ، ويقطنها الرجال لأشداء المحاربون ، ولا يترك الجيوش المعادية أن تحتل مثل هذه الأرض .

وليعلم الملك أن رجلا واحدا يحسن الرماية ، يستطيع أن يحارب من داخل

القلعة مائة جندى. ويتمكن مائة رجل فى القلعة من الدفاع، ولو بلغ عدد المهاجمين عشرة آلاف.

وليخزن فى القلعة كل ما يحتاج إليه فى الحرب كالسلاح، والمال، والمراكب والصناعين، والكهنة، والعلف، والماشية، والماء. وليحفر حول القلعة خندقا عميقا وليبنى لنفسه داخل القلعة بيتا ويصبغه بالبياض.

فاذا استقر فى بيته هذا، يبحث لنفسه عن زوجة جميلة، طيبة السيرة، متأدبة محتشمة، عاقلة من أسرة نبيلة، حسنة السمعة.

وليأخذ الملك حقه من رعيته سنويا طبقا للشريعة. وليكن لرعيته أبا شفيقا وعلى الرعية أن تحترمه وتطيعه كأنه أب لها.

وليكن فى سائر البقاع المهمة من المملكة نواب الملك، يراقبون الموظفين ويخبرون الملك بالحوادث المهمة.

والملك الذى يعدل فى رعيته، ويتبع دينه، لا يتأخر عن النزول إلى الميدان إذا تحداه ملك آخر بالحرب.

وليعلم الملك أن الثبات فى معمعة القتال، والعدل فى الرعية؛ وخدمة البراهمة هذه هى الأمور الثلاثة التى تضمن له النجاة فى الآخرة، وحسن السمعة فى الدنيا.

إن الرجل الذى يُقتل مقبلا فى الحرب لا مدبرا، يدخل الجنة بغير حساب

ولا يجوز مواجهة العدو بالأسلحة المسمومة ولا بالأسلحة الخشبية التى داخلها الحديد، ولا بالأسلحة التى حميت بالنار.

ولا يجوز قتل العازل الواقف على الأرض، ولا المخنث، ولا الذى يطلب

العفو، ولا الذى نشر شعر رأسه، ولا الذى ينادى بأنى منكم، ولا الذى قعد على الأرض.

وكذلك لا يجوز قتل النائم، ولا الذى تعرى من درعه، ولا الذى ألقى سلاحه، ولا الذى لا يريد الحرب، ولا الذى جاء مع غيره متفرجا، لا محاربا.

وكذلك لا يجوز قتل الذى تكسر سلاحه، ولا المفجع بموت ابنه، ولا الذى أصيب بجروح بالغة، ولا الذى فر من الحرب، فهولاء لا ترفع عليهم يد من يدين بدين الصالحين الطيبين.

والذى يفر من الحرب جبنا وخوفا، فيقتل، فهو يبوء بإثمه وإثم سيده.

وإن العربات، والخيل، والفيل، والمظلة، والنقود، والماشية، والمرأة، وكل المعادن ماعدا الفضة والذهب، يملكها من غنمها فى الحرب. أما الذهب والفضة، وكل شيء ثمين من المغنم فهو من حق الملك، والملك يمنح منه الذين امتازوا فى الحرب من الأبطال.

وعلى الملك أن يحافظ على ما ملكه، ويسعى للتحصيل على ما لم يملكه.

وعلى الملك أن يتقن الفروسية وفنون الحرب، ويكون عالما بفنون السياسة، ولا يفشى أسراره، وليكن واسع الاطلاع، فيعلم أسرار عدوه ونقائصه.

لا ينبغى للملك أن يلجأ إلى الخديعة، ولكن لا يغفل عن مكائد العدو، وعن صون رعيته من كل سوء.

لا ينبغى لأحد أن يشتغل بما فى الملك من عيب، ولكن على الملك أن يعرف عيوب غيره، ويخفى عيبه كما يخفى ستره.

وليفكر فى مقاصده كالك الحزين، وليفترس عند الحاجة كالأسد، وليجر إلى

مراميه كالذئب، وليعد بقوزه كالأرنب.

للملك أن يتغلب على أعدائه بالصلح، أو ببذل المال، أو بالحرب، أو بتفريق كلمة جيوشهم.

وكما يحافظ الزارع على زرعه، ويزيل الحشائش عن مزرعته. كذلك يجب على الملك أن يحافظ على ملكه، ويبيد أعداءه.

أن الملك الذى ينقاد للطمع، فيؤذى رعيته، فانه سيحرم من ملكه ويفقد كل من يحبه، بل يفقد حياته أيضا.

وعلى الملك أن يبنى فى كل قرية ثلاثة أو خمسة حصون، يقيم بها عماله. ويفوض إلى كل واحد منهم حسب أهليته أمر قرية واحدة، أو عشرة. أو عشرين. أو مائة قرية. فان حدث حادث فى قرية، يرفع صاحبها خبره إلى من هو فوقه من العمل، حتى يصل إلى مسامع صاحب ألف قرية. وهذا يخبر به وزراء الملك. وعلى هؤلاء العمال أن يأخذوا كل يوم حق الملك من أهل القرى فى الحبوب، والتنبول، والحطب وغيرها من الأشياء.

وعلى رئيس الوزراء أن لا يكتفى بعمله فى حضرة الملك، بل يراقب عماله فى المملكة كلها.

وإن كثيرا من العمال يظلمون الناس ويأكلون أموالهم بالباطل، فعلى الملك أن يحمى منهم رعيته، ويعاقبهم بمصادرة أملاكهم ونفيهم من البلاد.

وكما تمص العلقة الدم قليلا قليلا، كذلك يجب على الملك أن يكتفى بالقليل من الضرائب على رعيته. فيأخذ من أرباح الفضة، والذهب النصف، ومن الحبوب الثمن أو السدس. ويقرر الخراج على الأرض بالنظر إلى نوعها. وللملك

السدس من ثمار الأشجار، وأما قصب السكر، والخبز، والسمن، والعطور، والعقاقير، والأزهار، والخضار، والعشب، والظروف الخشبية أو الفخارية، فيأخذ الملك السدس من ربح كل ذلك.

أما الصناع، والعمال، والمنبوذون فيسخرهم الملك يوما واحدا فى كل شهر لأعماله. هذه هى الضريبة عليهم.

والملك الذى لا يأخذ حقه من رعيته رحمة بها، أو يأخذ منها أكثر من حقه جشعا، فانما يقلع جذور ملكه بيده وهو لا يدرى.

وعلى الملك الرفق بالطيبين والشدة مع الأشرار، فالملك العادل الذى لا يداهن الناس، يحبه الناس.

وعلى الملك أن ينظر بنفسه فى منازعات الناس. فان عجز عنها لكثرتها، يندب لها رئيس وزراءه الذى يجب أن يكون عالما بالشريعة ومتصفا بالنزاهة.

وعلى الملك أن يباشر جميع الأعمال التى تخصه نابذا من نفسه الكسل، وليعلم أن الملك الذى تستغيث به رعيته من السراق، وهو لا يغيثها، فهو من الأموات، وإن كان حيا لاشباع رغباته.

وعلى الملك أن يستيقظ فى الفجر الأول ويغتسل، و بعد أن يفرغ من العبادة، يتوجه إلى قاعة البلاط، ويسمح لسائر الناس بالحضور ومواجهته، فاذا خرجوا من عنده، يعمد إلى وزرائه، فيستشيرهم فى أمور المملكة.

وعلى الملك أن لا يشاور الوزراء وأهل الحل والعقد من رجاله إلا فى خلوة تامة، فالملك الذى لا تفشى أسراره، يملك العالم كله، ولو كان قليل المال. ولا يقترب من مجلس شورى الملك، المجنون، أو الأبكم، أو الأعمى، أو الأصم،

أو الشيخ الهرم، أو المنبوذ، أو المرأة، أو الذى قد عضوا من أعضائه. وذلك لأنهم معذبون بما جنوا من السيئات فى حياتهم السابقة. أما الشيخ الهرم والمرأة فقد نقص عقلهم. فيجب أبعادهم جميعا من شورى الملك، لأنهم لا يحفظون سر.

وأحسن وقت لشورى الملك هو منتصف النهار أو منتصف الليل، إذ يخلد الناس إلى راحتهم فى مثل هذه الساعات. فعلى الملك ان يخلوا فيها مع وزرائه وسفرائه، فيقرر ما يراه صالحا لمملكته.

وعلى الملك أن يبث جواسيسه فى أنحاء البلاد ليدلوا اليه بأخبار الناس. وله أن يجعل من جواسيسه من يتظاهرون بالنسك والرهبنة. فيمدهم بالمال. ويوجد لهم من يقومون بالدعاية لهم: فيشهرون أنهم من أولياء الله. فاذا وثق بهم الناس، وقفوا على أسرارهم وأحوالهم، فيعلم الملك بذلك أصدقاءه وأعداءه.

إن ملك البلاد المتصلة بالمملكة عدو. والملك الذى يلى تلك البلاد صديق. فعلى الملك أن يتقى عدوه، وينتفع من صديقه.

وليعلم الملك أن نجاحه يتوقف على أمور ستة: الصلح، والحرب، وتسيير الجيوش، والحياد فى الحروب، والتجسس، والالتجاء بملك آخر. فلينظر فى الظروف ويختار أمرا من هذه الأمور حسب الظروف. وإذا وجد نفسه أقوى من عدوه فلا يمهله، بل يخلق من المشاكل ما يبرر هجومه على العدو، ولكن حذرا، ولا يستعجل فى اعلان الحرب. لأن الحرب ربما انتهت على هزيمته.

وعلى الملك أن يحتاط أشد الاحتياط فى مأكله و مشربه، لأن أعداءه قد يدبرون له السم، فلا يأكل ويشرب كل ما يقدم اليه، بل يجربه أولا. وإن هناك عقاقير وجواهر، تبطل أثر السم، فليستخدمها.

فاذا فرغ الملك من تدبير أمور مملكته، فله أن يدخل حرمه ويتمتع

سعادة الأهلية.

وعلى الملك أن يرتدى لباسا ساذجا ويتوجه إلى دار القضاء مع مشيريه البراهمة العلماء، ويفصل فى القضايا بنفسه أو يراقب أعمال قضاته.

وتتلخص المنازعات فى ثمانى عشرة نوعا: الديون، والأمانات، وبيع الأشياء لتى لا مالك لها، والشركة، وجحد الديون، والتخلف عن دفع الاجرة، ونقض لعهد، والاختلاف فى البيع والشراء، والخلاف بين السيد والمستخدم، والنزاع على حدود الأرض، والتشاتم، والتضارب، والسرقة، وقطع الطريق، وخطف لمرأة، والخلاف بين الزوجين، والنزاع فى القسمة، والقمار، والرفق بالحيوانات.

ودار القضاء التى يخلط فيها بين الحق والباطل، لدار سوء، يعذب الله كل ن حل بها، وهو يؤيد الباطل.

إن الذين يحيون الباطل بقتلهم الحق، فانما هم أموات، وليعلم الناس والملك أن الحق هو الذى ينفع المرء فى الآخرة: ولا ينفعه الأهل والأقرباء والمال والجاه.

وعندما يغلب الباطل الحق فى دار القضاء، فالشهود، والقضاة، والملك كل هؤلاء ينالون سهمهم من العذاب، وذلك إذا آثروا الباطل وهم يعلمون.

وعلى الملك، إذا جلس للقضاء، أن ينشر الحق الصراح، ولا يميل مع هواه، ولا يقيم وزنا لاعتبارات اجتماعية، فان وجد برهميا قد أذنب، فليعاقبه، ولا يبالى بقداسة طبقته.

وليعلم الملك أن البرهمى، وإن ساءت سيرته، فله أن ينصح الملك إذا شاء.

وعلى الملك أن يراقب أصحاب القضايا وشهودهم بكل انتباه، فيستخلص الحق بفراسته من أقوالهم، ونبرات أصواتهم، وإشاراتهم، وسحناتهم.

وإذا حاول عم صبي صغير أن يستولى على أملاكه، فيمنعه الملك من ذلك ويحول الأملاك إلى إدارته حتى يبلغ الصبى الرشد.

وكذلك لا يتركن الملك أملاك العاقر، والأرملة، والتى مات أولادهن عرضة لأقاربها فيستولون عليها. وإن فعلوا ذلك يعاقبهم الملك عقاب السارقين.

أما العقار والمال الذى لا يوجد صاحبه، فيبقيه الملك فى يده ثلاث سنوات فان لم يعرف صاحبه خلال هذه المدة، يصبح ملكا للملك بعدها.

وإذا وجدت لقطة فى مكان، يأمر الملك بحفظها حتى يوجد صاحبها. والذى يسرق مثل هذا المال، يلقى أمام الفيل ليدوسه نكالا لجنايته.

أما الذى يعثر على كنز مدفون، فيذهب به إلى الملك، فالملك يأخذ من السدس سهما له، وإن وجد الكنز برهمى فهو له كله، وليس فيه حق للملك وإن عثر عليه الملك بنفسه، فلخزينته منه النصف، والنصف الآخر للبراهمة.

أما الشيء المسروق، فيرد إلى صاحبه، إن عرف. ولا يحل للملك أن يأخذه فان فعل فهو سارق.

وإذا تقدم رجل إلى الملك، وهو يقول أن رجلا آخر استدان منى، فينظر الملك فى وثيقته المكتوبة ويسمع شهوده. فان ثبت صدقه، يرغم المديون برد مال الدائن.

والمدعى الذى ثبت كذبه، يعاقب على كذبه.

وللمدعى أن يأتى بشهوده من أى طائفة كانوا. ويصلح للشهادة كل من عرف بالصدق وحسن السيرة، ولا يصلح لها من له مأرب فى الدعوى، ولا من هو صديق المدعى ولا عدوه. وكذلك لا تقبل شهادة الملك، والطباخ والمهرج

والتلميذ الذى طرده معلمه ، والعبد ، والسارق ، والذى بلغ الثمانين من عمره ، والصبي الذى لم يبلغ الحلم (ست عشرة سنة) ، والذى فقد طرفا من أطرافه ، والمكروب ، والسكران ، والمدخول فى عقله . والذى لا يجد ما يرتزق به .

والأوفق أن تشهد النساء للنساء . والرجال للرجال . وشهادة النساء ، وإن كن نزيهات ، لا يقام لها كبير وزن ، لأن عقولهن لا توازن فيها .

فاذا حضر الشهود ، يأمرهم القاضى أن يتوجهوا بوجوههم شطر المشرق أو الشمال ، ثم يقول للبرهمى « قل ما تعرف » ويقول للكشترى (من الطائفة المحاربة) اصدق فى قولك ، ويحلف الويشية (من الطائفة المكتسبة) بالبقرة ، والغلاة ، والذهب . ويقول للشودر ، (المنبوذ) « تبوء بسائر الذنوب إن كذبت »

وليعلم الشاهد أن من يكذب فى شهادته ، فانما يبوء باثم الذى يقتل البرهمى ، ويقتل المرأة ويقتل الطفل ، والذى يعادى صديقه ، والذى يكفر الاحسان ، إى والله ، إن الشاهد الكذوب ليبوء بآثام جميع هؤلاء المجرمين ، ولكن الصدق فى بعض الأحيان يسبب مقتلة عظيمة ، فان خاف ذلك ، فللشاهد أن يكذب ويكفر بعده عن ذنبه .

وإن حدث حادث للشاهد فى خلال سبعة أيام بعد شهادته كاحتراق بيته أو موت قريب عزيز عليه ، فهذا دليل على كذبه ، وعليه أن يدفع من عنده العشر من الدين الذى كذب فى شهادته .

وإن جاءت قضية ، ليس لها أو عليها شهود ، ولا يستطيع القاضى أن يعلم الحق من الباطل ، فليحلف المدعى والمدعى عليه . وليعلم الناس أن اليمين الكاذبة إثم ليس فوقه إثم .

ومن حلف زورا ليحفظ حياة امرأة ، أو أرملة ، أو برهمى ، أو علف البقرة

فلا إثم عليه.

والملك الذى يعاقب البرئ، ويكرم الجانى، تسوء سمعته فى الدنيا، ويدخل النار فى العقبى.

لا يجوز أكل الربا الفاحش، ولصاحب المال أن يأخذ روبية وربع روبية ربا على مائة روبية فى كل شهر.

أما الرهن، فان كان الشىء المرهون ينفع الراهن كالأرض الخصبة، أو العبد أو البقرة الحلوبة فلا يجوز فيه الربا. وإذا طال أمد الرهن واستحصل المرتهن منه ضعفين لمبلغه الذى دفعه للراهن، فليس له أن يبقى الشىء المرهون فى يده. بل عليه أن يهبه لصاحبه أو يبيعه، لأن الذى ينتفع بعد ذلك من المرهون. فانما هو سارقه.

يتبع

تنبيه هام

وقع خطأ فى مقال العلامة الأستاذ مولانا أبى الكلام آزاد عن أبى الريحان البيرونى فى العدد الثالث من المجلد الثانى من «ثقافة الهند» ص ٢٧ س ١١، فنشر «صنع الادريسى قبل البيرونى بستين أو سبعين سنة......»، وكان يجب أن يقال «بعد البيرونى» عوضاً عن «قبل». فنرجوا من القراء أن يصححوا العبارة فيما عندهم من هذا العدد — المدير.

غرائز الطفل

وكيف نستخدمها فى تربيته وتعليمه ؟

لحضرة الأستاذ عبد المجيد محمد أبوغربية
ناظر المدرسة العربية بيومباى

للطفل غرائز كامنة ، تلازمه فى جميع ظروفه ، وتظهر فى شتى تصرفاته بشكل اضح ملموس. وهى تختلف باختلاف سنه والبيئة التى يعيش فيها. وكثير من ناس يعمد إلى كبت هذه الغرائز والتصدى لها ، ظانين أنهم بذلك يلجأون إلى تويمه وإصلاحه ، معتقدين أنهم بعملهم يحققون ما تقضى به القواعد التربوية ، لكنهم واهمون ؛ فعملهم هذا لا يتفق وأبسط القواعد التى وضعها المربون.

ومن العسير أن يتحكم الانسان فى طبيعة الطفل ، ولا بد من أن تأخذ ذه الطبيعة مجراها ، وتسير مع الطفل وتلازمه ، وتتطور فيه بتطور حياته إلى أن كمل تفكيره ، ويتم إدراكه لما يحدث عنه من تصرفات وما يترتب على أعماله ن نتائج. وعندما يصل الطفل إلى هذا الحد نستطيع أن نحاسبه على حركاته ، نرشده إلى ما يجب اتباعه ونحمد فيه المصيب من تصرفاته ونذم الخاطئ منها.

ثم إن هذه الغرائز المسيطرة على الطفل نستطيع أن ننتفع بها ونستخدمها فى هذيبه وتعليمه. فمثلا غريزة « حب الاستطلاع » تدعو الطفل إلى أن يلقى على ن حوله كثيرا من الأسئلة فى شتى الموضوعات ، وقد يكون بعض هذه الأسئلة مريبا أو محرجا أو يكون الجواب عنه صعبا لا تستطيع عقلية الطفل أن تدرك

معناه أو غير ذلك من الحواجز التي قد تحول بين الانسان وبين الاجابة عن هذه الأسئلة. والواجب يقضي إزاء هذه الحالة بأن نحترم شعور الطفل، ونذل كبرياءه، ولا نقتل فيه اعتداده بنفسه، وذلك بألا نزجره أو ننهره، أو نحاول أن نمنعه عن إلقاء مثل هذا النوع من الأسئلة، أو نبين له ما فيها من شذوذ أو غرابة أو سخف، فان ذلك يلحق بالطفل وبشخصيته كثيرا من الأضرار. ولا بد من الاجابة عن جميع أسئلته مع محاولة تبسيطها بشكل يلائم هذه العقلية الصغيرة. وإن عزّ ذلك علينا خرجنا بالطفل من المحيط الذي يحلق فيه خياله إلى محيط آخر نشغله به ليترك باختياره هذا الجو الذي كان يسيطر على تفكيره وحدا به إلى هذا النوع من الأسئلة دون أن نشعره بذلك، مع ملاحظة حسن اختيار الموضوع الذي نريد أن نشغل به الطفل بحيث يهدف إلى غاية سامية أو معنى خلقي أو أمر اجتماعي أو غرض إنساني نبيل.

بذلك نكون قد أدينا واجبنا نحو الطفل، وألقينا عليه درسا مفيدا، وعملنا على توسيع مداركه، وغرسنا في نفسه معنى من المعاني السامية دون أن نفجعه في حريته أو نتصدى لشخصيته.

ثم هناك غريزة «اللعب»، وهي من أهم الغرائز التي يجب أن نستعين بها على تعليم الطفل والوصول بعقليته إلى طريق الكمال. فينبغي أن نختار له من أنواع اللعب ما يوافق هواه ويناسب ميوله على ألا نخرج به إلى أكثر من مستواه، وأن نحافظ في ذلك أيضا على ما نريد غرسه فيه من أنواع الفضائل. ولا بأس من أن ننسج له من الخيال قصصا خلقية واجتماعية تدور فصولها وحوادثها حول هذه اللعب التي لديه.

ولو أننا أمعنا النظر فيما تعمد إليه مدارس رياض الأطفال في البلاد الراقية

من استخدام اللعب كوسيلة لتعليم الطفل وتهـذيبه لعلمنا أن لهذه الغريزة خطرها وعرفنا أنها تلعب دورا هاما فى حياة الطفل وأن لها أثرهـا الفعال فى ميـدان التربية والتعليم.

وما يقال عن هـذه الغريزة وسابقتها يجب أن يقال عن غيرهما من الغرائز المتمكنة من الطفل والمسيطرة على شعوره وحواسه والتى لو أحسنا استخدامها لسرنا به فى الطريق الذى يوصلنا للغاية المرجوة والأمل المنشود؟

أعيان الهند فى القرن السابع من الهجرة

للعلامة الشريف المرحوم مولانا عبد الحى

(تابع لما فى العدد الأول من هذا المجلد)

﴿ الشيخ بابا رتن الهندى ﴾

الشيخ المعمر المشهور أبو الرضا رتن بن كربال بن رتن الهندى التبريزى. رجل مشهور من أهل الهند ظهر بعد الستمائة وادعى الصحبة فسمع منه بعض الناس وأنكره آخرون.

قال اللكهنوى فى بحر زخار، إنه ولد فى بهٹنده على مسيرة ستين ميلا من لاهور، فلما بلغ سن الرشد والتمييز اشتاق إلى أن يظهر أحد من عباد الله فيهديه إلى الصراط المستقيم. فلما سمع أنه ظهر رجل فى العرب وهو يدعى النبوة ذهب إلى مكة المباركة وأدرك النبى صلى الله عليه وسلم، ثم رجع إلى الهند وجاوز عمره ستمائة سنة، وألف « الرسالة الرتنية » فأدرج فيها الأحاديث التى سمعها من النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بلا واسطة. وقد صدقه الشيخ علاء الدولة السمنانى، والخواجة محمد بارسا، والشيخ رضى الدين لالا، أحد أصحاب الشيخ نجم الدين الكبرى، قدم الهند فى سنة عشرين وستمائة ولقيه وأخذ عنه الحديث، وأعطاه رتن مشط النبى صلى الله عليه وسلم. مات بعد ستمائة من الهجرة

وقبره بيهتنده — انتهى.

وقد ذكر الصلاح الكتبى فى فوات الوفيات بسنده إلى قاضى القضاة نورالدين أبى الحسن على بن أبى عبدالله محمد بن الحسين الأثرى الحنفى عن جده الحسين بن محمد، قال كنت فى زمن الصبا وأنا ابن سبع عشرة سنة أو ثمان عشرة، قد سافرت مع عمى من خراسان إلى الهند فى تجارة، فلما بلغنا أوائل بلاد الهند وصلنا إلى ضيعة من ضياع الهند، فعرج أهل القفل نحو الضيعة وضج أهل القافلة، فسألنا عن الخبر فقالوا هذه ضيعة الشيخ رتن المعمر. فلما نزلنا الضيعة رأينا شجرة عظيمة تظل خلقا كثيرا وتحتها جمع كثير من أهل الضيعة. فبادر الكل نحو الشجرة ونحن معهم، فرأينا سلة عظيمة معلقة فى بعض أغصان الشجرة فسألنا عن ذلك. فقالوا هذه السلة فيها الشيخ رتن المعمر الذى رأى النبى صلى الله عليه وسلم وروى عنه، فتقدم شيخ من أهل الضيعة إلى السلة فأنزلها فاذا هى مملوءة قطنا والشيخ فى وسط القطن. ففتح رأس السلة وإذا بالشيخ فيها كالفرخ فوضع فمه على أذنه وقال، يا جداه هؤلاء قوم قدموا من خراسان وفيهم شرفاء من أولاد النبى صلى الله عليه وسلم، وقد سألوا أن تحدثهم كيف رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وما ذا قال لك؟ فعندها تنفس الشيخ وتكلم بصوت كصوت النحل بالفارسية ونحن نسمع ونفهم كلامه، فقال:

«سافرت مع أبى وأنا شاب من هذه البلاد إلى الحجاز فى تجارة، فلما بلغنا بعض أودية مكة وكان المطر قد ملأ الأودية بالسيل فرأيت غلاما أسمر اللون حسن الوجه رائع الجمال وهو يرعى إبلا فى تلك الأودية وقد حال السيل بينه وبين إبله وهو يخشى من خوض السيل لقوته، فعلمت حاله فأتيت إليه وحملته وخضت به السيل إلى أن جئت به عند إبله، فنظر إلى وقال بالعربية بارك الله فى

عمرك ثلاثا . فتركته ومضيت إلى سبيلى إلى أن دخلنا مكة وقضينا ما كنا أتينا له من أمر التجارة وعدنا إلى الوطن » .

وقال ، ثم بعد مدة طويلة سمعنا عن بعثة محمد صلى الله عليه وسلم . فتجهزت فى تجارة وسافرت إلى أن دخلت مكة وسألت عن الرجل الموصوف فدلونى عليه . فأتيت إلى منزله واستأذنت عليه . فأذن لى فدخلت عليه فوجدته جالسا فى صدر المنزل ، والأنوار تتلألأ فى وجهه وقد استنارت محاسنه وتغيرت صفاته التى كنت أعهدها فى السفرة الأولى فلم أعرفه . فلما سلمت عليه رد على السلام وتبسم فى وجهى ، وقال أدن منى . وكان بين يديه طبق فيه رطب وحوله جماعة من أصحابه كالنجوم . يعظمونه ويجلونه . فقال كل من هذا الرطب . فجلست وأكلت معه من الرطب وناولنى بيده المباركة ست رطبات سوى ما أكلت بيدى . ثم نظر إلى وتبسم وقال لى ألم تعرفنى ؟ فقلت كأنى غير أنى ما أتحقق فقال ألم تحملنى فى عام كذا وجاوزت بى السيل وقد حال بينى وبين إبلى ؟ قال فعند ذلك عرفته بالعلامة وقلت بلى يا صبيح الوجه . فقال امدد إلى يدك فمددت يدى اليمنى فصافحنى وقال قل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله . فقلت كذلك كما علمنى . فسر بذلك وقال لى عند خروجى من عنده بارك الله فى عمرك ثلاث مرات فودعته وأنا متبشر بلقائه وبالاسلام . فاستجاب الله تعالى دعاء نبيه صلى الله عليه وسلم وبارك فى عمرى بكل دعوة مائة سنة وها عمرى نيف وستمائة سنة ، وجميع من فى هذه الضيعة العظيمة أولاد أولادى . وفتح الله على وعليهم بكل خير وبكل نعمة ببركة رسول الله صلى الله عيه وسلم — (انتهى ما ذكره الكتبى فى فوات الوفيات) .

وقد أنكره العلامة الذهبى فى التجريد فقال إن رتن الهندى شيخ ظهر بعد

الستمائة بالشرق وادعى الصحبة فسمع منه الجهال أو لا وجود له بل اختلق اسمه بعد الكذابين وإنما ذكر تعجبا كما ذكر أبو موسى سرباتك الهندى بل هذا إبليس اللعين قد رأى النبى صلى الله عليه وسلم وسمع منه.

وذكره فى الميزان فقال، رتن الهندى وما أدراك ما رتن؟ شيخ دجال بلا ريب ظهر بعد الستمائة فادعى الصحبة — والصحابة لا يكذبون وهذا جرىء على الله ورسوله. وقد ألفت فى أمره جزءا وقد قيل إنه مات سنة اثنتين وثلاثين وستمائة. ومع كونه كذابا فقد كذبوا عليه جملة كبيرة من أسمج الكذب والمحال، قلت وزعم الأربلى أنه سمع منه بعد ذلك فى سنة ٦٥٥.

ثم قال الذهبى وأظن أن هذه الخرافات من وضع هذا الجاهل موسى بن على أو وضعها له من اختلق ذكر رتن وهو شىء لم يخلق. ولئن صححنا وجوده وظهوره بعد سنة ستمائة فهو إما شيطان تبدى فى صورة البشر فادعى الصحبة وطول العمر المفرط وافترى هذه الطامات. وإما شيخ ضال أسس لنفسه بيتا فى جهنم بكذبه على رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولو نسبت هذه الأخبار لبعض السلف لكان ينبغى لنا أن ننزهه عنها فضلا عن سيد البشر صلى الله عليه وآله وسلم، لكن ما زال عوام الصوفية يروون الواهيات، وإسناد فيه الكاشغرى والطيبى وموسى بن على ورتن سلسلة الكذب لا سلسلة الذهب.

ثم قال الذهبى ولعمرى ما يصدق بصحبة رتن إلا من يؤمن بوجود محمد بن الحسن فى السرداب ثم بخروجه إلى الدنيا. أو يؤمن برجعة على رضى الله عنه، وهؤلاء لا يؤثر فيهم العلاج. وقد اتفق أهل الحديث على أن آخر من رأى النبى صلى الله عليه وسلم موتاً، أبو الطفيل عامر بن واثلة. وثبت فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال قبل موته بشهر أو نحوه، أ رأيتكم ليلتكم هذه

فان على رأس مائة سنة منها لا يبقى على وجه الأرض ممن هو اليوم عليها أحد. فانقطع المقال، وماذا بعد الحق إلا الضلال — (انتهى ما ذكره الذهبي ملخصاً).

وقال الحافظ ابن حجر وقد تكلم الصلاح الصفدى فى تذكرته فى تقوية وجود رتن وأنكر على من ينكر وجوده وعول فى ذلك على مجرد التجويز العقلى وليس النزاع فيه، وإنما النزاع فى تجويز ذلك من قبل الشرع بعد حديث المائة فى الصحيحين. وتعقب القاضى برهان الدين ابن جماعة فى حاشية كتبها على تذكرة الصفدى فقال. قول شيخنا الذهبي هو الحق وتجويز الصفدى الوقوع لا يستلزم الوقوع إذ ليس كل جائز بواقع — (انتهى). ولما اجتمعت بشيخنا مجد الدين الشيرازى شيخ اللغة بزبيد من اليمن وهو إذ ذاك قاضى القضاة ببلاد اليمن رأيته ينكر على الذهبي إنكاره وجود رتن. وذكر لى أن رجلا من ضيعته[1] لما دخل بلاد الهند ووجد فيها من لا يحصى كثرة ينقلون عن آبائهم وإسلافهم قصة رتن يثبتون وجوده. فقلت هو لم يجزم بوجوده[2] بل تردد وهو معذور. والذى يظهر أنه كان طال عمره فادعى ما ادعى وتمادى على ذلك حتى اشتهر. ولو كان صادقا لاشتهر فى المائة الثانية أو الثالثة أو الرابعة أو الخامسة لكنه لم ينقل عنه شىء إلا فى أواخر السادسة ثم فى أوائل السابعة قبيل وفاته. واختلف فى سنة وفاته كما تقدم والله أعلم — (انتهى ما ذكره الحافظ ابن حجر).

وقد أنكر عليه الشيخ حسن بن محمد بن حسن بن حيدر الصغانى صاحب المشارق المتوفى سنة سبع وثلاثين وستمائة وهو ممن أدرك زمانه. فقال فى تبيين الموضوعات ما يحكى عن بعض الجهال أنه اجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم

---

١ — وفى الاصابة «وذكر لى أنه دخل ضيعته».

٢ — وفى الاصابة «لم يجزم بعدم وجوده».

وسمع منه يقول له، عمرك الله، ليس له أصل عند أئمة الحديث، ولم يعش من الصحابة ممن لقى النبى صلى الله عليه وسلم أكثر من خمس وتسعين سنة وهو أبو الطفيل، بكوا عليه وقالوا هذا آخر من لقى النبى صلى الله عليه وسلم واجتمع به، وهذا هو الصحيح لقوله عليه الصلاة والسلام فى آخر عمره حين صلى العشاء الآخرة أ رأيتكم ليلتكم هذه فان رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو على وجه الأرض أحد، وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى. وأحاديث رتن الهندى المنقولة عنه من جنس الأحاديث التى تنسب إلى الحكيم الترمذى أنه سمع من أبى العباس الخضر، وكل هذا ليس له أصل يعتمد عليه بل تنقلها الفقراء فى زواياهم، ودين الله أشرف من أن يؤخذ من جاهل أو يثبت بقول غافل غبى، لقوله عليه الصلاة والسلام ذرونى ما تركتكم، وإنى تركتكم على البيضاء النقية ليلها كنهارها إن تمسكتم بها لن تضلوا بعدى، كتاب الله وعترتى واتباع أصحابى وسنتى — (انتهى).

﴿ الشيخ الحاج بابا رجب الگجراتى ﴾

الشيخ الحاج المعمر بابا رجب النهروالى الگجراتى أحد المشائخ الكرام، أخذ الطريقة عن السيد أحمد الكبير الرفاعى رقدم بلاد گجرات فى سنة ست عشرة وستمائة، وأرخ لقدومه بعض الناس من قوله «آفتاب اسلام»، وسكن بمدينة نهرواله من أرض گجرات، فهدى الله سبحانه به خلقا كثيرا من عباده إلى الاسلام وكانت وفاته فى الثانى عشر من شهر رجب سنة سبعين وستمائة، فأرخ لموته بعضهم من قوله «كفر شكن» كما فى مرآت احمدى.

﴿ رضية بنت الايلتمش ﴾

الملكة الفاضلة رضية بنت شمس الدين الايلتمش رضية الدنيا والدين ملكة

الهند، اتفق الناس عليها بعد أخيها ركن الدين ابن الايلتمش سنة أربع وثلاثين وستمائة، فاستقلت بالملك أربع سنين. وكانت عادلة فاضلة تركب بالقوس والكنانة والقربان كما يركب الرجال، وكانت لا تستر وجهها، ثم إنها اتهمت بعبد لها فاتفق الناس على خلعها وتزويجها فخلعت وزوجت من بعض الأمراء. وولى الملك أخوها معز الدين فخالفا عليه وركبا فى ماليكهما ومن تبعهما وتهيّأ لقتاله فخرج ناصر الدين ابن الايلتمش ووقع اللقاء بينهما فانهزم عسكر رضية وقتلت سنة تسع وثلاثين وستمائة وقبرها على شاطىء نهر جمن على مسافة فرسخ من مدينة دهلى كما فى تاريخ فرشته.

﴿ القاضى رفيع الدين الكاذرونى ﴾

الشيخ الفاضل الكبير القاضى رفيع الدين الحنفى الكاذرونى المدرس المشهور. كان يدرس ويفيد فى عهد السلطان غياث الدين بلبن، ذكره القاضى ضياء الدين البرنى فى تاريخه وقال إنه كان من كبار الأساتذة بدهلى.

﴿ القاضى ركن الدين السامانوى ﴾

أحد كبار الفقهاء فى عهد السلطان غياث الدين بلبن، لم يزل يشتغل بالدرس والافادة، وكان الملك يكرمه غاية الاكرام — (فيروز شاهى).

﴿ الشيخ ركن الدين الدهلوى ﴾

الشيخ الصالح الفقيه ركن الدين الفردوسى الدهلوى. أحد المشايخ المشهورين فى عصره، اشتغل على الشيخ بدر الدين السمرقندى الدهلوى من صباه، ولازمه وأخذ عنه الطريقة الفردوسية. وهو أخذ عن الشيخ سيف الدين الباخرزى عن الشيخ الكبير نجم الدين الكبرى صاحب الطريقة الكبروية.

ولما مات بدرالدين تولى الشياخة مكانه بدهلى وكان صاحب وجد وحالة، أخذ عنه ابن أخيه نجيب الدين بن عماد الدين الدهلوى وخلق آخرون. مات فى أيام الشيخ نظام الدين الدهلوى فى القرن السابع، فما فى خزينة الأصفياء أنه توفى سنة أربع وعشرين وسبعمائة لا يصح.

﴿ مولانا رضى الدين الصغانى ﴾

الشيخ العالم المحدث رضى الدين الصغانى البدايونى أحد العلماء المشهورين ناب المشرف بمدينة كوئل، فأقام بها ثم سافر إلى الحرمين الشريفين، ثم إلى بغداد فحج وزار وصحب العلماء والمشايخ وأخذ عنهم ثم رجع إلى الهند ومات بلاهور، وله مصنفات فى الحديث، وكان الشيخ المجاهد نظام الدين محمد بن احمد البدايونى يذكره بالخير كما فى فوائد الفؤاد.

﴿ الشيخ زكريا بن محمد الملتانى ﴾

الشيخ الامام العالم المحدث زكريا بن محمد بن على القرشى الأسدى شيخ الاسلام بهاء الدين بن وجيه الدين بن كمال الدين أبو محمد الملتانى المتفق على ولايته وجلالته، ولد بقلعة كوٹ كرور من أعمال ملتان يوم الجمعة لثلاث ليال بقين من رمضان سنة ست وستين. وقيل ثمان وسبعين وخمسمائة من بطن بنت الشيخ حسام الدين الترمذى. ولما بلغ الثانية عشرة من سنه توفى والده فسافر إلى بخارا وأخذ العلم بها عن كبار الأساتذة ثم سافر إلى الحجاز فحج وزار وأقام بالمدينة المنورة خمس سنين، وأخذ الحديث عن الشيخ كمال الدين محمد اليمانى ثم رحل إلى القدس الشريف وزار المسجد الأقصى ومشاهد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ثم رحل إلى بغداد وأخذ الطريقة عن الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردى صاحب العوارف ثم عاد إلى ملتان وتصدر للارشاد فرزق من القبول ما لم يرزق

أحد من المشايخ، وكان قد منحه الله سبحانه أموالا غزيرة وجعله ممن قال في حقهم «وآتيناه في الدنيا حسنة وأنه في الآخرة لمن الصالحين». قيل إنه لما توفى إلى رحمة الله سبحانه خلف سبعة بنين غير البنات. فقسموا بينهم ما ترك من الأموال على تخريج الشرع فنال كل واحد منهم سبعين لكا (أللك. مائة ألف) من الدنانير فضلا عن الدور و الظروف والأقمشة وغيرها.

قال الشيخ محمد نور بخش في سلسلة الذهب أنه كان رئيس الأولياء، ببلاد الهند وكان عالما بالعلوم الظاهرة صاحب أحوال ومقامات من مكاشفات ومشاهدات، مرشدا ينشعب منه كثير من طرق الأولياء. وله في الارشاد وهدايه الناس إلى الايمان وإلى الطاعة وإلى الروحانية شأن كبير.

وفي مجمع الأخيار من وصاياه أن الواجب على العبد أن يعبد الله بالصدق والاخلاص. وذلك بنفي الأغيار ومحو الأشخاص في العبادات والأذكار. ولا سبيل إليه إلا بتحسين الأحوال ومحاسبة النفس في الأقوال والأفعال. فلا يقول ولا يفعل إلا عند الحاجة ويقدم لكل قول وفعل الالتجاء إلى الله والاستعانة به ليرزقه الله عز وجل خير العمل.

ومن وصاياه لبعض أصحابه، عليكم بدوام الذكر. وبالذكر يصل الطالب إلى المحب، والمحبة نار تحرق كل دنس. فاذا تحقق المحبة كان الذاكر ذاكرا مع مشاهدة المذكور، وهذا هو الذكر الكثير الموعود به الفلاح في قوله تعالى «واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون».

ومن وصاياه، سلامة الجسد في قلة الطعام وسلامة الروح في ترك الآثام وسلامة الدين في الصلاة على محمد عليه الصلاة والسلام — (انتهى ما في الأخبار الأخيار).

وكانت وفاته يوم الخميس سابع صفر سنة ست وستين وستمائة وله مائة سنة من العمر. غسله الشيخ عمر العمودى وصلى عليه ولده صدر الدين محمد ودفنوه فى حصار ملتان القديم، كما فى أخبار الجمال.

﴿ الشيخ زكى بن احمد اللاهورى ﴾

الشيخ الفقيه الزاهد زكى بن احمد اللاهورى شيخ الاسلام وقدوة العلماء الكرام زكى الدين، كان يدرس ويفيد بلاهور، وسافر للحج والزيارة. فلما دخل هراة استقبله الوجوه والأعيان ومدحوه ببدائع أبيات، منهم الامام فريد الدين محمود ابن البشار الهروى. وكان ممن أدركه نور الدين محمد بن محمد العوفى البخارى صاحب لباب الألباب، وروى عنه فى كتابه شيئا كثيرا.

﴿ مولانا زين الدين البدايونى ﴾

الشيخ العالم الكبير خواجه زين الدين الأويسى البدايونى أحد العلماء المشهورين فى عصره. كان يدرس ويفيد فى المدرسة المعزية عقيب الجامع الكبير بمدينة بدايون، يذكره الشيخ المجاهد نظام الدين محمد بن احمد البدايونى بالخير، كما فى فوائد الفؤاد.

﴿ سراج الدين الساوْلى ﴾

الشيخ الفاضل سراج الدين الساوْلى أحد الرجال المعروفين بالفضل والكمال أقطعه غياث الدين بلبن قرية من أرض سامانة.

فلما أقطع غياث الدين فيروز الخلجى سامانة طلب منه الخراج على الرسم المعتاد فتردد إليه السراج، ومدحه بأبيات رائقة فلم يلتفت إليه فيروز لاشتغاله بالأمور المهمة، فخرج السراج من عنده وهجاه بأبيات مضحكة. ثم لما قام

فيروز الخلجي بالملك خافه وألقى العمامة فى عنقه وتمثل بين يديه كالعصاة، فطلبه فيروز شاه وأدناه إليه وعانقه وأعطاه الصلات والجوائز، ورتب له الأرزاق السنية وجعله من ندمائه، كما فى تاريخ فرشته.

﴿مولانا سراج الدين الترمذى﴾

الشيخ العالم الصالح سراج الدين الترمذى البدايونى أحد رجال العلم والمعرفة، سافر للحج والزيارة ورجع إلى بدايون. وكان الشيخ الامام المجاهد نظام الدين محمد بن احمد البدايونى يذكره بالخير، كما فى فوائد الفؤاد.

﴿مولانا سديد الدين الدهلوى﴾

الشيخ العالم الفقيه سديد الدين الحنفى الدهلوى، أحد العلماء المبرزين فى الفقه والأصول والعربيه، كان يدرس ويفيد بدار الملك دهلى فى أيام غياث الدين بلبن. ذكره القاضى ضياء الدين البرنى فى تاريخ فيروز شاهى.

﴿القاضى سعد الدين الكردرى﴾

الشيخ الامام الفاضل الكبير القاضى سعد الدين الكردرى أحد الرجال المعروفين فى الفضل والكمال، كان أكبر قضاة الهند فى أيام السلطان شمس الدين الايلتمش. ذكره القاضى منهاج الدين الجوزجانى فى طبقات ناصرى.

(يتبع)

من أخبار الهند الثقافية

قررت لجنة ماهاراشترا لمؤسسة غاندى التذكارية الوطنية ، إنشاء جامعة خاصة للقبائل المتأخرة ، تخرج ثلاثين مصلحا إجتماعيا كل عام من بين أفراد هذه القبائل نفسها ، يعملون بدورهم على رفع مستوى بنى جلدتهم .

* * *

أثنى الدكتور هيلارى كوبروسكى العالم البولندى المولد ، والمشهور فى اللقاحات الواقية ، ثناء عاطرا على العلماء الهنود بأنهم « صنو لأحسن العلماء الموجودين فى الدنيا » . وقال إن الطلاب الذين يوفدون إلى الولايات المتحدة الاميركية للدراسات المتقدمة يمتازون بذكاء وافر . وسوف يتمكنون من تسجيل اسم الهند لامعا على خريطة الدنيا !

* * *

بلغت طلبات تسجيل الاختراعات فى السنة الماضية ٢٠١٠٨ طلبا ، بينما كانت طلبات سنة ١٩٥٠ لا تتعدى ١١١٥٨ طلبا . أما براءات الاختراع التى تمت فى الهند نفسها فقد بلغت ٤٦٤ براءة . وأهم ما يوجه إليه المخترعون والمصممون اهتمامهم فى الهند ، هو أنواع الطلاء ، وصناديق الاقتراع ، وآلات اللحام ، والبناء ، والانشاء ، واللعب ، والعقاقير .

* * *

أنفقت الحكومة أكثر من عشرة ملائين روبية لترقية قبائل أدى‌باسى المتأخرة .

12572
10.11.51

° ° °

تلقى أكثر من ٢٥٠٠ ٢ شخصا تعليمهم الصناعى والفنى فى مختلف المدارس والمعاهد الصناعية الحكومية فى بنجاب. وحكومة الولاية تدير ٢٧ مدرسة صناعية تدرس مختلف المهن والصناعات، وذلك بخلاف ١٣ مؤسسة لتعليم الصناعات الريفية الصغرى.

° ° °

صرح الدكتور گوش أستاذ الكيميا بجامعة كلكتا أن التنفس الصناعى قد يمنع كثيرا من الوفيات الناجمة عن نهش ثعبان الكوبرا. والتى يموت بها ما يقرب من ثلاثين ألف شخص فى الهند كل سنة.

° ° °

تمنح حكومة الهند سنويا حوالى المائة زمالة دراسية للطلاب المجتهدين من أصل هندى المقيمين فى بلدان الكومن ولث والبلدان الأجنبية، وللطلاب الأجانب. وينال كل طالب من هؤلاء مخصصات شهرية قدرها مأتين روبية، كما تدفع الحكومة جميع مصاريف ونفقات تعليم الطالب. ويدرس فى كليات وجامعات الهند وفق هذا المشروع طلاب من مصر، والعراق، وأندونيسيا، وتركيا وغيرها، ويشمل هذا المشروع مائة بلد فى العالم.

° ° °

أنشأت معارف حكومة الكويت ببومبى مدرسة لتعليم الثقافة العربية والدين الاسلامى لأبناء وبنات المسلمين من عرب وغيرهم وأرسلت من قبلها أحد الأساتذة المصريين وإحدى المدرسات المصريات. والتعليم بها بالمجان وتصرف للتلاميذ والتلميذات جميع الأدوات المدرسية اللازمة على نفقة، معارف الكويت. وقد التحق بالمدرسة عدد كبير من التلاميذ والتلميذات من العرب والهنود على السواء.

THAQĀFATU'L-HIND

(INDIAN CULTURE)

PUBLISHED QUARTERLY

in

MARCH, JUNE, SEPTEMBER and DECEMBER

CONTENTS

ANNUAL SUBSCRIPTION: Inland Rs 8 Abroad Sh 8. **SINGLE COPY :** Rs. 2

INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS
HYDERABAD HOUSE. NEW DELHI 1

PRINTED AT Q PRESS BY

KHALEEL SHARAFUDDIN, 29 MUHAMMADALI ROAD, BOMBAY 3, ON BEHALF OF INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS, HYDERABAD HOUSE, NEW DELHI 1

THAQĀFATU'L-HIND

(INDIAN CULTURE)

A QUARTERLY ORGAN OF
INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS

DECEMBER 1952